أكثر من 100 شخصية
من
عظماء التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م

رقم الإيداع

٢٠١٦/٢٦٤٥٦

دار المجد للنشر والتوزيع

ش عمر بن عبد العزيز - خلف مديرية الزراعة - طنطا

ت: ٠٤٠٣٢٧٤٠٢١ - ٠١٠٠٤٩٧٧١٤٢ - ٠١١١٣٥٧٥٩٩٥

E-mail: elmagdbook@yahoo.com

أكثر من 100 شخصية
من
عظماء التاريخ

رجال صدقوا
ما عاهدوا اللّه عليه

جمع وترتيب
عبد الرحمن بن محمد المصري




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمه

الحمد لله الذي اصطفى من عباده ما يشاء ليكونوا أوليائه، والصلاة والسلام على خير من اصطفاه من عباده محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

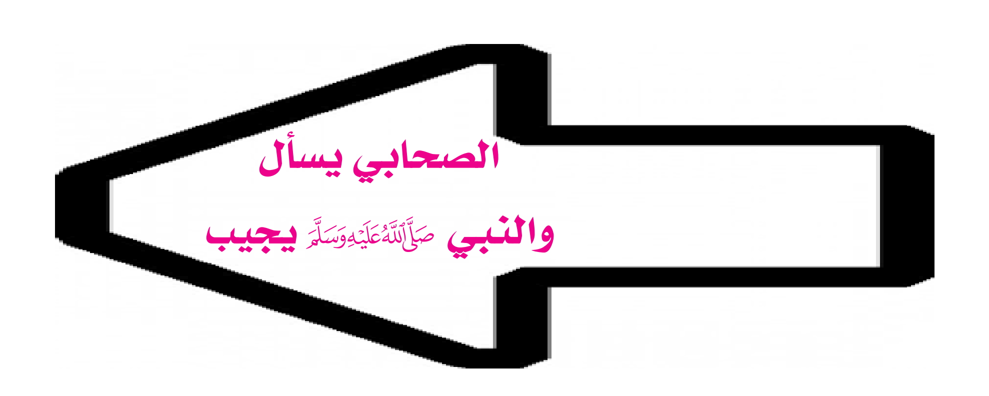
أما بعد،،،

أحبتي في الله نقرأ في هذا الكتاب أكثر من ١٠٠ شخصية من عظماء التاريخ، الذين برهنوا ببذلهم وعطائهم في سبيل الله تعالى على حبهم له، ولدينه، ولرسوله، ولإخوانهم من المؤمنين وعلى رأس هؤلاء العظماء رسل الله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وذكر مواقف صادقة عن عظماء في الأمم السابقة ثم ذكر مواقف لأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم مواقف لعلماء وأبطال وشباب كانوا مفخرة لأمة الإسلام وللتاريخ.

هذا والله تعالى أسأل أن يوفقنا للسير على دربهم والتشبه بهم في جميع أحوالهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفقير إلى عفو ربه

عبد الرحمن بن محمد المصري


الصحابي يسأل
والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجيب

الصدق

الصدق هو: حصول الشيئ وتمامه، وكمال قوته، واجتماع أجزائه.

والصدق أساس الإيمان، كما أن الكذب أساس النفاق؛ **ولهذا قال الحسن البصري**: «الكذب جماع النفاق»، وقيل: «استواء السر والعلانية، والظاهر والباطن؛ بألَّا تُكذب أحوالُ العبد أعمالَه، ولا أعمالُه أحوالَه»، وجعلوا الإخلاص لازمًا، والصدق أعم، فقالوا: «كل صادق مخلص، وليس كل مخلص صادق»، وسُئل الجُنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الصدق والإخلاص أهما واحدٌ، أم بينهما فرق؟ فقال: «بينهما فرق؛ الصدق أصل، والإخلاص فرع، والصدق أصل كل شيئ، والإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في الأعمال، والأعمال لا تكون مقبولة إلا بهما.

[انظر: التحفة العراقية، وموسوعة نضرة النعيم]

أنواع الصدق

١- **الصدق في القول**: ويسمى الصدق باللسان؛ فيكون في الكلام، وهو أشهر أنواع الصدق وأظهرها.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنْ الْأُفُقِ مِنْ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قَالَ بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ**» [صحيح البخاري ومسلم].

٢- **الصدق في القصد والإرادة:** ويرجع هذا إلى الإخلاص، فإذا خالطه شيئ بطل صدقه، ويكون كاذبًا، كما في حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار: المجاهد المرائي، والقارئ المرائي، والمتصدق المرائي؛ حيث يقول الله عَزَّوَجَلَّ لكل واحد منهما: «كذبت» [صحيح مسلم]، وعلى هذا فلابد أن يكون الصادق مخلصًا.

٣- **الصدق في الأعمال:** وهو أن تستوي سريرته وعلانيته حتى لا تدل أعمالُه الظاهرة على أمر في باطنه مما لا يتصف به، بل يتفق الظاهر مع الباطن، وإلا كان من المنافقين الذين قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء:١٤٢-١٤٣].

٤- **الصدق في أعمال القلب:** كالصدق في الخوف، والرجاء، والزهد، والرضى، والحب، والتوكل؛ فهناك فرق واضح بين الخوف حقيقةً والخوف اسمًا وادعاء، ففي الحديث: «من خاف أدلج، ومن أدلج فقد بلغ المنزل»، وكذلك الفرق واضح بين المحب حقيقةً وبين من يحب ادِّعاءً، فالذي يحب حقيقة هو: الذي يطيع محبوبه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:٣١-٣٢]، فالحب الصادق يكون بالمتابعة والانقياد في امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وهكذا لابد من الصدق حقيقة في جميع هذه الأعمال القلبية، فإن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا

يخفى عليه شيئ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران:٢٩].

٥- **الصدق في الوفاء بالعهد**: فإن الخلف فيه كذب، والوفاء به صدق، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥ـ٧٧].

[انظر: التحفة العراقية]

مراتب الصدق:

١- **الصدق مع الله** عَزَّوَجَلَّ: بأن تكون صادقًا مع الله تعالى في توحيده؛ فتوحده في أفعاله، بأنه هو الذي يملك الإحياء والإماتة والخلق وحده، وهو الذي يملك الرزق والتدبير والنفع والضر وحده، وهو الذي له الأمر والنهي والسيادة وحده، فلا يشاركه أحد في هذه الأفعال، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا ولي من أولياء الله؛ لأنهم جميعًا مخلوقون مفتقرون محتاجون إلى الله تعالى، لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولانفعًا، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم:٤٠].

وأن توحد الله في العبادة بجميع أنواعها، ظاهرة كانت أو باطنة، قولًا كانت أو عملًا، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله كائنًا من كان، فإن من صرف عبادته لغير الله فقد أشرك بالله، فلا تدع إلا الله، ولا تنذر إلا لله، ولا تخاف إلا من الله، ولا ترجو إلا رحمة الله، ولا تذبح إلا لله، ولا تطوف إلا بالكعبة لله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢ - ١٦٣].

وأن توحد الله بأسمائه وصفاته، فله الأسماء الحسنى، والصفات العلى، فتثبت كل اسم أو صفة أثبتها لنفسه، أو أثبتها له رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تكييف، عملًا بقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

٢- **الصدق مع الرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ويكون ذلك بطاعته المطلقة إذا أمر أو إذا نهى، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

ولا تقدم قول أو فعل أحد على قول أو فعل الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١].

وأن ترضى بحكمه في أمور الدنيا قبل أمور الدين، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

وأن يكون قدوتك في كل شيئ، كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

وأن يكون أحب إليك من كل شيئ، كما قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» [رواه البخاري].

وأن تكون شديدًا في متابعته، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:٣١ - ٣٢].

وأن تقوم بنشر سنته وتبليغ دعوته، كما قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بلغوا عني ولو آية**» [رواه البخاري].

وأن تكثر من ذكره والصلاة والسلام عليه، فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦].

٣- **الصدق مع المسلمين**: بأن تصدق الحديث معهم، ولا تخادعهم، ولا تغشهم، وتحب لهم ما تحب لنفسك، وتسعى في قضاء حوائجهم، وتفرح لفرحهم، وتحزن وتتألم لحزنهم وألمهم، ولا تؤذيهم بلسانك أو بيدك، ولا تخلف الوعد معهم، ولا تخونهم ولا تظلمهم، وأن تعطي كل ذي حق منهم حقه.

الصدق منزل القوم الأعظم

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن منزلة الصدق**: وهو منزل القوم الأعظم الذي تنشأ منه جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شئ إلا قطعه، ولا واجه باطلًا إلا أرداه وصرعه، ومن صال به لم ترد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته، فهو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل به الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين، ومن مساكنهم في الجنات تجري العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين، كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم في هذه الدار مدد متصل ومعين [انظر: مدارج السالكين].

أقوال الصحابة وغيرهم في الصدق:

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «من كانت له عند الناس ثلاث وجبت له ثلاث، من إذا حدثهم صدق، وإذا ائتمنوه لم يخنهم، وإذا وعدهم وفى لهم، وجب له عليهم أن تحبه قلوبهم، وتنطق بالثناء عليه ألسنتهم، وتظهر له معونتهم».

وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أربع من كن فيه فقد ربح، الصدق، والحياء، وحسن الخلق، والشكر».

وقيل للقمان الحكيم: ألست عبد بني فلان؟ قال: بلى، قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: «تقوى الله عَزَّوَجَلَّ، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني».

وقال عبد الواحد بن زيد: «الصدق: الوفاء لله بالعمل، وقيل: موافقة السر النطق».

وقال الجنيد: «حقيقة الصدق: أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب».

وقال يوسف بن أسباط: «الصدق سيف الله ما وضع في شيئ إلا قطعه».

وقال أيضًا: «لأن أبيت ليلة أعامل الله بصدق أحب إلي من أن أضرب في سبيل الله».

وقال بشر بن الحارث: «من عامل الله بالصدق استوحش من الناس».

وقال إبراهيم الخواص: «الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه، أو فضل يعمل فيه».

وقيل: «من طلب الله بالصدق أعطاه الله مرآة يبصر فيها الحق والباطل.

[انظر: التحفة العراقية، ومدارج السالكين، وموسوعة نضرة النعيم]

فضائل الصدق وفوائده:

١ - **الصدق يدخل صاحبه الجنة:** قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ**

يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا» [صحيح مسلم]. وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ» [صحيح الجامع]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا» [صحيح الجامع].

٢- **صاحب الصدق لا يحزن على ما فاته من الدنيا:** قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ» [رواه أحمد وإسنادة حسن].

٣- **الطمأنينة في الصدق:** قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ» [حسن الترمذي].

٤- **الصادقون هم أصحاب الغرف في الجنة:** قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنْ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قَالَ بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» [رواه البخاري]، والكوكب الدري: الكوكب العظيم، قيل: سمي دريًا؛ لبياضه، كالدر، وقيل: لإضائته [انظر: موسوعة نضرة النعيم].

٥- **البركة في كل شيئ**: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا أَوْ قَالَ حَتَّى يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**» [رواه البخاري].

٦- **صدق الرؤية الصالحة**: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنْ اللَّهِ وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنْ الشَّيْطَانِ وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ**» [رواه مسلم].

قال العلماء: لأن المؤمن إذا اقترب الزمان كثرت الفتن فتأتيه الرؤية المبشرة؛ لتكون سببًا في ثباته، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَمْ يَبْقَ مِنْ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ**» قَالُوا وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ قَالَ: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ**» [رواه البخاري]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ مِنْ الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ** »[رواه البخاري].

٧- **امتثال أمر الله تعالى**: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩].

٨- **المغفرة والأجر العظيم**: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

٩- **أهل الصدق هم أهل التقوى والإحسان**: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر:٣٣ـ٣٤].

١٠- **النجاة يوم القيامة والرضا**: قال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة:١١٩].

١١- **علامة على الإيمان**: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥]، وقال تعالى: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب:٢٤].

١٢- **أهل الصدق هم الصديقون**: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا**» [رواه البخاري]، فجعل الصدق مفتاح الصديقية ومبدأها وهي غايته فلا ينال درجتها كاذب ألبتة لا في قوله، ولا في عمله، ولا في حاله ولا سيما كاذب على الله في أسمائه وصفاته ونفى ما أثبته أو إثبات مانفاه عن نفسه فليس في هؤلاء صديق أبدًا [مدارج السالكين].

١٣- **لسان الصدق**: ولسان الصدق هو: الثناء الحسن، كما كان لنبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما قال تعالى عنه: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء:٨٤]، فكان الثناء الحسن عليه من سائر الأمم بالصدق ليس ثناء بالكذب وكذلك من ذريته من الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم:٥٠]، والمراد باللسان ها هنا: الثناء الحسن، فلما كان الصدق باللسان، وهو محله؛ أطلق الله سبحانه ألسنة العباد بالثناء على الصادق جزاء وفاقًا وعبر به عنه [مدارج السالكين] .

١٤- **قدم الصدق**: قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس:٢]، وأما قدم الصدق: ففسر بالجنة، وفسر بمحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وفسر بالأعمال الصالحة، وحقيقة (القدم) ما قدَّموه، ويقدمون عليه يوم القيامة، وهم قدَّموا الأعمال والإيمان بمحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويقدمون على الجنة التي هي جزاء ذلك، فمن فسره بها أراد: ما يقدمون عليه، ومن فسره بالأعمال الصالحة، وبالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ فلأنهم قدموها، وقدموا الإيمان به بين أيديهم، فالثلاثة قدم صدق، وأما مقعد الصدق: فهو الجنة عند الرب تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٤-٥٥] [انظر: مدارج السالكين].

١٥- **الثبات في القبر**: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنْ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ

وُجُوهَهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ قَالَ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ يَعْنِي بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ فَيَقُولُونَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ دِينِيَ الْإِسْلَامُ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولَانِ لَهُ وَمَا عِلْمُكَ فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ قَالَ فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ قَالَ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ لَهُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ فَيَقُولُ رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي قَالَ وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمْ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ

الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنْ اللَّهِ وَغَضَبٍ قَالَ فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنْ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ فَيَقُولُونَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا ثُمَّ قَرَأَ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ مَا دِينُكَ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ فَيَقُولُ رَبِّ لَا تُقِمْ السَّاعَةَ» [رواه الإمام أحمد وصححه الألباني].

مواقف صادقة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ورأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المشركين كثير الأذى وعظيم الشدّة، خصوصًا إذا ذهب إلى الصلاة عند البيت، وكان من أعظمهم أذىً لرسول الله

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جماعة سُمُّوا لكثرة أذاهم بالمستهزئين:

وقد روى فى صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**»، وقد روى البخارى فى صحيحه مختصرًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ، لَآتِيَنَّهُ حَتَّى أَطَأَ عَلَى عُنُقِهِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**لَوْ فَعَلَهُ لَأَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ**».

قال الحافظ ابن حجر: وإنما شدد الأمر فى حق أبى جهل فلم يقع مثل ذلك لعقبة ابن أبى معيط حيث طرح سلى الجزور على ظهره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يصلي لأنهما وإن اشتركا فى مطلق الأذية حالة صلاته، لكن زاد أبو جهل فى التهديد وبدعوى أهل طاعته وبإرادة وطأ العنق الشريف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفى ذلك من المبالغة ما اقتدى تعجيل العقوبة لو فعل ذلك ولأن سلى الجزور لم يتحقق نجاستها وقد عوقب بدعائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه وعلى من شاركه فى فعله فقتلوا يوم بدر [فتح الباري].

وكان أبو جهل كثيرًا ما ينهى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن صلاته عند البيت فقال له مرة بعد أن رآه يصلي: ألم أنهك عن هذا؟ فأغلظ له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

القول وهدّده، فقال: أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديًا؟ فأنزل الله تهديدًا له في آخر سورة العلق: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾ [العلق:١٥-١٩].

ومن أذيته للرسول ﷺ ما حكاه عبد الله بن مسعود من رواية البخاري[١] قال: كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد وهو يصلي، فقال أبوجهل: ألا رجل يقوم إلى فرث جزور بني فلان فيلقه عليه وهو ساجد؟ فقام عقبة بن أبي معيط[٢] بن أبي عمرو أمية بن عبد شمس، وجاء بذلك الفرث، فألقاه على النبي ﷺ وهو ساجد، فلم يقدر أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على إلقائه عنه لضعفهم عن مقاومة عدوهم، ولم يزل ﷺ ساجدًا حتى جاءت فاطمة ابنته فأخذت القذر ورمته، فلما قام دعا على مَن صنع هذا الصنع القبيح فقال: «**اللَّهُمَّ عليك بالملأ من قريش**» وسمّى أقوامًا، قال ابنُ مسعود: فرأيتهم قُتلوا يوم بدر.

ومما حصل لرسول الله ﷺ مع أبي جهل أن هذا ابتاع أجمالًا من رجل يقال له: الأراشي فمطله بأثمانها فجاء الرجل مجمع قريش يريد منهم مساعدة على أخذ ماله، فدلّوه على رسول الله ﷺ لينُصفه من أبي جهل استهزاء لما يعلمونه من أفعال ذلك الشقي بالرسول، فتوجه الرجل إليه وطلب

(١) البخاري في الوضوء [٢٤٠].
(٢) أسره المسلمون في بدر، وأمر رسول الله ﷺ بقتله، فقيل جزاء ما اقتربت يداه من أذية رسول الله ﷺ، وقتل معه لنفس السبب النضر بن الحارث ابن هشام: (١/ ٦٤٤).

منه المساعدة على أبي جهل فخرج معه حتى ضرب عليه بابه فقال: من هذا؟ قال: «**محمد**»، **فخرج منتقعًا لونه فقال له الرسول: «أعطِ هذا حقه»**، فقال أبو جهل: لا تبرح حتى تأخذه، فلم يبرح الرجل حتى أخذَ دَينه، فقالت قريش: ويلك يا أبا الحكم، ما رأينا مثل ما صنعت! قال: ويحكم! والله ما هو إلا أن ضرب على بابي حتى سمعت صوته فملئت منه رعبًا، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسى فحلًا من الابِل ما رأيت مثله قط، لو أبيُت أو تأخرت لأكلني.

ومن جماعة المستهزئين: أبو لهب بن عبد المطلب، عَمُّ رسول الله ﷺ كان أشد عليه من الأعداء، فكان يرمى القذر على بابه لأنه كان جارًا له، فكان الرسول ﷺ يطرحه ويقول: يا بني عبد مناف، أى جوار هذا؟! وكانت تشاركه في قبيح عمله زوجه أم جميل بنت حرب بن أمية، فكانت كثيرًا ما تسب رسول الله ﷺ وتتكلم فيه بالنمائم، وخصوصًا بعد أن نزل فيها وفي زوجها سورة المسد.

ومن المستهزئين: عُقبة بن أبي معيط كان الجار الثاني لرسول الله، وكان يعمل معه كأبي لهب، صنع مرة وليمة ودعا لها كبراء قريش وفيهم رسول الله فقال ﷺ: «**والله لا آكل طعامك حتى تؤمن بالله**»، فتشهد فبلغ ذلك أُبيَّ بن خلف الجمُحي القرشي، وكان صديقًا له فقال: ما شيء بلغني عنك؟ قال: لا شيء، دخل منزلي رجل شريف فأبى أن يأكل طعامي حتى أشهد له، فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يأكل طعامًا فشهدت له: قال أُبَيٌّ: وجهى من وجهك حرام

إن لقيت محمدًا فلم تطأ عنقه، وتبزق في وجهه، وتلطم عينه، فلما رأى عقبة رسول الله فعل ذلك فأنزل الله فيه: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

ومن أشد ما صنعه ذلك الشقيُّ برسول الله ﷺ ما رواه البخاري في صحيحه [(١)] قال: بينما النبي يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي مُعَيط فوضع ثوبه في عنق رسول الله فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [غافر:٢٨].

ومن جماعة المستهزئين: العاص بن وائل السهمي القرشي والد عمرو بن العاص، كان شديد العداوة لرسول الله ﷺ، وكان يقول: غرَّ محمدٌ نفسه وأصحابه أن يحيوا بعد الموت، والله ما يهلكنا إلا الدهر، فقال الله ردّا عليه في دعواه: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية:٢٤]، وكان عليه دين لخباب بن الأرت، أحد رجال المسلمين، فتقاضاه إياه، فقال العاص: أليس يزعم محمد هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما يبتغي أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم؟ قال خباب: بلى! قال فأنظرني إلى هذا اليوم، فسأوتى مالًا وولدا وأقضيك دينك، فأنزل الله: ﴿ أَطَّلَعَ

(١) البخاري في التفسير (٨/ ٤٨١٥).

ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ [مريم:٧٨-٨٠]، **ومن جماعة المستهزئين**: الأسود بن عبد يغوث، الزهري، القرشي، من بني زهرة، أخوال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان إذا رأى أصحاب النبي مقبلين يقول: قد جاءكم ملوك الأرض، استهزاءً بهم لأنهم كانوا متقشفين، ثيابهم رثة، وعيشهم خشن، وكان يقول لرسول الله سخرية: أما كُلّمتَ اليوم من السماء؟.

ومنهم: الأسود بن عبد المطلب الأسدي، ابن عم خديجة، كان هو وشيعته إذا مر عليهم المسلمون يتغامزون، وفيهم نزل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴾ [المطففين:٢٩-٣٢]، ومنهم: الوليد بن المغيرة، عم أبي جهل، كان من عظماء قريش وفي سعة من العيش، سمع القرآن مرة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لقومه بني مخزوم: والله لقد سمعت من محمد آنفًا كلامًا ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمُغدق، وإنه يعلو وما يُعلى، فقالت قريش: صبأ والله الوليد، لتصبأنّ قريش كلها، فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه، فتوجه وقعد إليه حزينًا وكلّمه بما أحماه[1]، فقال: فأتاهم فقال: تزعمون أن محمدًا مجنون فهل

(١) أحماه: المقصود بها هنا: أثار غضبه.

رأيتموه يهُوّس[١]؟ وتقولون: إنه كاهن، فهل رأيتموه يتكهن؟ وتزعمون أنه شاعر، فهل رأيتموه يتعاطى شعرًا قط؟ وتزعمون أنه كذّاب، فهل جربتم عليه شيئًا من الكذب؟ فقالوا في كل ذلك: اللهم لا، ثم قالوا: فما هو؟ ففكر قليًلا ثم قال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه؟ فارتجَّ النادى فرحًا، فأنزل الله في شأن الوليد في سورة المدثر مخاطبًا لرسوله: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر:١١-٢٦].

وأنزل فيه أيضًا في سورة القلم: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ ﴾ [العلق:١٠]، كثير الحلف وكفى بهذا زاجرًا لمن اعتاد الحلف ﴿ مَّهِينٍ ﴾ حقير، وأراد به الكذاب لأنه حقير في نفسه ﴿ هَمَّازٍ ﴾ عياب طعان ﴿ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ بنقل الأحاديث للإفساد بين الناس ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ ﴾ غليظ جاف ﴿ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ دخيل ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾ كناية عن الإذلال والتحقير؛ لأن الوجه أكرم عضو والأنف أشرف ما فيه، ولذلك اشتقوا منه كل ما يدل على العظمة، كأنفة وهى: الحمية، فالوسم على أشرف عضو دليل الإذلال والإهانة.

---

(١) يهوس: يحدّث نفسه، والهَوس: طرف من الجنون.

ومن المستهزئين: النضر بن الحارث، كان إذا جلس رسول الله مجلسًا للناس يحدثهم ويذكرهم ما أصاب من قبلهم، قال النضر: هلمّوا يا معشر قريش، فإنى أَحسَن منه حديثًا، ثم يحدث عن ملوك فارس، وكان يعلم أحاديثهم، ويقول: ما أحاديث محمد إلا أساطير الأولين، وفيه نزل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [لقمان:٦-٧].

وكل هؤلاء انتقم الله منهم، كما قال تعالى في التنزيل: ﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٩٥ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الحجر:٩٥-٩٦]، وقد وضع الله جَلَّ وَعَلَا الوعد في صورة الماضي للتحقق من وقوعه، لأن الآية مكية، وهلاك هذه الفئة كان بعد الهجرة؛ فمنهم من قتل كأبي جهل والنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط، ومنهم من ابتلاه الله بأمراض شديدة فهلك منها؛ كأبي لهب والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة [1] [كتاب نور اليقين].

❊ ❊ ❊

(١) ومنهم من عمى، كالأسود بن المطلب، انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٤٠٨) وما بعدها.

مواقف صادقة لأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تعذيب الكفار للمسلمين

فأما تعذيبهم المسلمين فقد أتوا فيه بأنواع تقشعر لها الجلود، وتتفطر منها القلوب.

كان بلال بن رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مملوكًا لأمية بن خلف الجمحي، فكان أمية يجعل في عنقه حبلًا، ويدفعه إلى الصبيان، يلعبون به، وهو يقول: أحدٌ أحدٌ، وكان يخرج به في وقت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في الرمضاء، وهى الرمل أو الحجر الشديد الحرارة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا يزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول: أحدٌ، أحدٌ.

ومر به أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومًا وهو يعذب فاشتراه وأعتقه لله.

وكان عامر بن فهيرة يعذب حتى يفقد وعيه، ولا يدري ما يقول.

وعذب أبو فكيهة - واسمه أفلح، قيل: كان من الأزد، وكان مولى لبني عبد الدار، فكانوا يخرجونه في نصف النهار في حر شديد، وفي رجليه قيد من حديد، فيجردونه من الثياب، ويبطحونه في الرمضاء، ثم يضعون على ظهره صخرة حتى لا يتحرك، فكان يبقى كذلك حتى لا يعقل، فلم يزل يعذب كذلك حتى هاجر إلى

الحبشة الهجرة الثانية، وكانوا مرة قد ربطوا رجليه بحبل، ثم جروه، وألقوه في الرمضاء، وخنقوه حتى ظنوا أنه مات، فمر به أبو بكر فاشتراه وأعتقه لله.

وكان خباب بن الأرت ممن سبي في الجاهلية، فاشترته أم أنمار بنت سباع الخزاعية، وكان حدادًا، فلما أسلم عذبته مولاته بالنار، كانت تأتي بالحديدة المحماة فتجعلها على ظهره ليكفر بمحمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فلم يكن يزيده ذلك إلا إيمانًا وتسليمًا، وكان المشركون أيضًا يعذبونه، فيلوون عنقه، ويجذبون شعره، وقد ألقوه مرارًا على فحم النار، ثم وضعوا على صدره حجرًا ثقيلًا حتى لا يقوم.

وكانت زبيرة أمة رومية، أسلمت، فعذبت في الله، وأصيبت في بصرها حتى عميت، فقيل لها: أصابتك اللات والعزى، فقالت: لا والله ما أصابتني، وهذا من الله، وإن شاء كشفه، فأصبحت من الغد، وقد رد الله بصرها، فقالت قريش: هذا بعض سحر محمد.

وأسلمت أم عبيس: جارية لبني زهرة، فكان يعذبها مولاها الأسود بن عبد يغوث، وكان من أشد أعداء رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ومن المستهزئين به.

وأسلمت جارية عمرو بن مؤمل من بني عدي، فكان عمرو بن الخطاب يعذبها، وهو يومئذ على الشرك، فكان يضربها حتى يفتر، ثم يدعها، ويقول: والله ما أدعك إلا سامة، فتقول: كذلك يفعل بك ربك.

وتذكر فيمن أسلمن وعذبن من الجواري: النهدية، وابنتها وكانتا لامرأة من بني عبد الدار، واشترى أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هؤلاء الجواري، وأعتقهن كما أعتق بلالًا وعامر بن فهيرة، وأبا فكهية، وقد عاتبه أبوه أبو قحافة، وقال: أراك تعتق رقابًا ضعافًا، فلو أعتقت رجالًا جلدًا لمنعوك، فقال: إني أريد وجه الله، فأنزل الله قرآنا مدحه فيه وذم أعداءه، فقال: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل:١٤-١٦]، وهو أمية بن خلف، ومن كان على شاكلته ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل:١٧-٢١]، وهو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعمن أعتقهم، وعن الصحابة أجمعين.

وعذب عمار بن ياسر وأمه وأبوه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكانوا حلفاء بني مخزوم، فكان بنو مخزوم -وعلى رأسهم أبو جهل- يخرجونهم إلى الأبطح، إذا حميت الرمضاء، فيعذبونهم بحرها، ويمر بهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: «**صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ**» أما ياسر والد عمار- وهو ياسر بن عامر بن مالك العنسي- فقد مات تحت العذاب، وأما أم عمار- وهى سمية بنت خياط مولاة أبي حذيفة المخزومي، وكانت عجوزًا كبيرة ضعيفة، فطعنها أبو جهل في قُبُلِهَا بحربته، فماتت، وهى أول شهيدة في الإسلام.

وأما عمار فثقل عليه العذاب، فإن المشركين تارة كانوا يلبسونه درعًا من حديد في يوم صائف، وتارة كانوا يضعون على صدره صخرًا أحمر ثقيلًا، وتارة كانوا يغطونه في الماء، حتى قال بلسانه بعض ما يوافقهم، وقلبه مليء بالإيمان، فأنزل الله: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل:١٠٦].

وعذب في الله مصعب بن عمير، كان من أنعم الناس عيشًا، فلما دخل في الإسلام منعته أمه الطعام والشراب، وأخرجته من البيت، فتخشف جلده تخشف الحية.

وعذب صهيب بن سنان الرومي، حتى فقد وعيه، ولا يدري ما يقول.

وعذب عثمان بن عفان، كان عمه يلفه في حصير من ورق النخيل، ثم يدخنه من تحته.

وأوذي أبو بكر الصديق، وطلحة بن عبيد الله، أخذهما نوفل بن خويلد العدوي وقيل: عثمان بن عبيد الله، أخو طلحة بن عبيد الله، فشدهما في حبل واحد، ليمنعهما عن الصلاة وعن الدين، فلم يجيباه، فلم يروعاه إلا وهما مطلقان يصليان، وسميا بالقرينين لكونهما قد شُدَّا في حبل واحد.

وكان أبو جهل إذا سمع برجل قد أسلم وله شرف ومنعة، أنبه، وأخزاه، وأوعده بإلحاق الخسارة الفادحة في المال والجاه، وإذا كان الرجل ضعيفًا

ضربه وأغرى به، والحاصل أنهم لم يعلموا بأحد دخل في الإسلام إلا وتصدوا له بالأذى والنكال.

كانت هذه الاعتداءات ضد ضعفاء المسلمين وعامتهم، أما من أسلم من الكبار والأشراف فإنهم كانوا يحسبون له حسابًا، ولم يكن يجترىء عليهم إلا أمثالهم من رؤساء القبائل وأشرافها، وذلك مع قدر كبير من الحيطة والحذر [روضة الأنوار].

موقف صادق لأصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين هاجروا إلى الحبشة

قال ابن اسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة وأنهم قد أصابوا دارًا وقرارًا، ائتمروا بينهم أن يبعثوا منهم رجلين من قريش جلدين إلى النجاشي، فيردهم عليهم، ليفتنوهم في دينهم، ويخرجوهم من دارهم التى اطمأنوا بها وأمنوا فيها؛ فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص بن وائل، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته، ثم بعثوهما إليه فيهم.

قال ابن اسحاق: حدثني محمد بن مسلم الزهرى عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت: لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنّا على ديننا، وعبدنا الله تعالى لا نُؤذى ولا نسمع شيئًا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين، وأن

يهديا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم، فجمعوا له أدمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بطارقته بطريقًا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشى هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم[١].

قالت: فخرجا حتى قدما إلى النجاشي، ونحن عنده بخير دار، عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم؛ فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم؛ فقالوا لهما: نعم.

ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

(١) سبحان الله! إحساس قوي عندهم راسخ في قلوبهم الضعف حجتهم واتهام رأيهم وفساده. فإنهم يخشون كلامهم مع النجاشي، ومن هنا ندرك قيمة الكلمة التي تُصلحُ أقوامًا. والكلمة التى تدمر.

قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي، قالت: فقالت بطارقته حوله: صدقًا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم.

قالت: فغضب النجاشي، ثم قال: إذن لا أسلمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنتُ جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول: والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنًا في ذلك ما هو كائن.

فلما جاءوا وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني، وفي دين أحد من هذه الملل؟ قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال له: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولًا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا

إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

قالت: فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما قال، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: قال له جعفر: نعم؛ فقال له النجاشي: فاقرأه عليَّ، قالت: فقرأ عليه صدرًا من﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ [مريم:١]، قالت: فبكى والله النجاشي حتى اخضلَّت لحيته، وبكت أساقفته حتى خَضَّلُوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يُكادون.

قالت: فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غدًا عنهم بما أستأصل بها خضراءهم، قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة، وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل، فإن لهم أرحامًا، وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد، قالت: ثم غدا عليه من الغد فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولًا عظيمًا، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه.

قالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنه، قالت: ولم ينزل بنا مثلهم قط، فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله، وما جاء به نبينا، كائنًا في ذلك ما هو كائن، قالت: فلما دخلوا عليه، قال لهم: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟ قالت: فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عودًا، ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، قالت: فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال؛ فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شُيوم بأرضي، والشيوم: الآمنون، من سبكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم، ما أحب أن لي دبرًا من ذهب، وأني آذيت رجلًا منكم [المصدر السابق].

إسلام حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أما إسلام حمزة فسببه أن أبا جهل مر يومًا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو عند الصفا، فنال منه وآذاه، ويقال: إنه ضربه بحجر في رأسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فشجه، ونزف منه الدم، ثم انصرف إلى نادي قريش عند الكعبة، وجلس معهم، وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان تنظر ما حدث من مسكن لها على الصفا، وبعد قليل أقبل حمزة من الصيد متوشحًا قوسه، فأخبرته الخبر، فخرج حمزة يسعى حتى قام على أبي جهل، وقال: يا مصفر استه! تشتم ابن أخي، وأنا على دينه، ثم ضربه بالقوس، فشجه شجة منكرة، وثار الحيان: بنو مخزوم وبنو هاشم، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة؛ أي حمزة فإني سببت ابن أخيه سبا قبيحًا[1].

وكان إسلام حمزة أنفة، كأن اللسان قد سبق إليه دون قصد، ثم شرح الله صدره للإسلام، وكان أعز فتى في قريش، وأقواهم شكيمة، حتى سمي أسد الله، أسلم في ذي الحجة سنة ست من النبوة [روضة الأنوار].

إسلام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2]

بعد ثلاثة أيام من إسلام حمزة أسلم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان من أشد الناس قسوة على المسلمين قبل إسلامه، وفي ليلة سمع سرًا بعض آيات القرآن، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي عند الكعبة، فوقع في قلبه أنه حق، ولكنه بقي على

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٩، ٢٩٢)، وقد ضعف القصة بعض أهل العلم.

(٢) وقد ضعف القصة بعض أهل العلم.

عناده، حتى خرج يومًا متوشحًا سيفه يريد أن يقتل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلقيه رجل، فقال: أين تعمد يا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمدًا، قال: كيف تأمن من بني هاشم ومن بني زهرة، وقد قتلت محمدًا؟ قال عمر: ما أراك إلا قد صبوت؟ قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر؟ إن أختك وختنك قد صبوا، فمشى مغضبًا حتى أتاهما، وعندهما خباب بن الأرت يقرئهما صحيفة فيها طه، فلما سمع حس عمر توارى في البيت، وسترت أخت عمر الصحيفة، فلما دخل، قال: ما هذه الهنيمة التي سمعتها عندكم، فقالا: ما عدا حديثًا تحدثناه بيننا، قال: لعلكما قد صبوتما؟ فقال له ختنه: يا عمر! أرأيت إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على ختنه، فوطئه وطأ شديدًا، فجاءت أخته فرفعته عن زوجها، فنفحها نفحة بيده فدمى وجهها، فقالت وهي غضبى: يا عمر إن كان الحق في غير دينك، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

ويئس عمر وندم واستحيى، وقال: اعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرؤه فقالت أخته: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل، فقام فاغتسل، ثم أخذ الكتاب فقرأه: بسم الله الرحمن الرحيم فقال: أسماء طيبة طاهرة، ثم قرأ طه حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه:١٤]، فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! دلوني على محمد.

وخرج خباب فقال: أبشر يا عمر! فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس وكان قد دعا النبي ﷺ تلك الليلة: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ، بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَوْ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ**» ثم ذكر له خباب أن رسول الله ﷺ في دار الأرقم التي في أصل الصفا.

فخرج عمر حتى أتى الدار وضرب الباب، فأطل رجل من صرير الباب فرآه متوشحًا السيف، فأخبر رسول الله ﷺ واستجمع القوم، فقال حمزة: ما لكم؟ قالوا: عمر. فقال: وعمر، افتحوا له الباب، فإن كان يريد الخير بذلناه له، وإن كان جاء يريد شرًا قتلناه بسيفه، ورسول الله ﷺ داخل يوحى إليه، ثم خرج فأخذ بمجامع ثوب عمر وحمائل سيفه وهو في الحجرة فجبذه بشدة، وقال: أما تنتهي يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما نزل بالوليد بن المغيرة؟ ثم قال: اللهم هذا عمر بن الخطاب، اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب، فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد [المصدر السابق].

صحيفة قريش الآثمة

قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلدًا أصابوا به أمنًا وقرارًا، وأن النجاشى قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ

وأصحابه، وجعل الاسلام يفشو في القبائل، اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم، وبني المطلب، على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئًا، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدًا على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف الدار بن قصي.

وقد كان أبو جهل بن هشام - فيما يذكرون - لقي حكيم بن حزام، معه غلام يحمل قمحًا يريد به عمته خديجة بنت خويلد، وهى عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعه في الشعب فتعلق به وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة، فجاءه أبو البختري بن هشام، فقال: ما لك وله؟ فقال: يحمل الطعام إلى بني هاشم، فقال له أبو البختري: طعام كان لعمته عنده، بعثت إليه فيه، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها؟! خَلِّ سبيل الرجل، فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه، فأخذ له أبو البختري لَحى بعيره، فضربه به فشجه، ووطئه وطأً شديدًا، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه فيشمتوا بهم، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك يدعو قومه ليًلا ونهارًا، وسرًا وجهارًا، مناديًا بأمر الله لا يتقي فيه أحدًا من الناس [السيرة لابن هشام].

مواقف صادقة في طلب العلم

قال جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَابْتَعْتُ بَعِيرًا، فَشَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي، ثُمَّ سِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ، فَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ أُنَيْسٍ الأَنْصَارِيُ، فَأَتَيتُ مَنْزِلَهُ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ: أَنَّ جَابِرًا عَلَى الْبَابِ، فَرَجَعَ إِلَى الرَّسُولِ فَقَالَ: جَابِرُ ابْنُ عَبْدِ اللهِ؟ فَقُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الْمَظَالِمِ لَمْ أَسْمَعْهُ! قَال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**يَحْشُرُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **الْعِبَادَ**» أَوْ قَالَ: «النَّاسَ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّامِ، «**عُرَاةً عُزلا، بُهْمًا**». قَالَ: قُلْتُ: مَا بُهْمًا؟ قَالَ: لَيْسَ مَعَهُنَّ شَيءٌ، «**فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلْكُ الدَّيَّانُ لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَطلُبُ مَظْلَمَةٌ حَتَّى اللَّطْمَةَ**». قَالَ: قُلْنَا: وَكَيْفَ؟ وَإِنَّمَا نَأْتِي اللهَ عُرَاةً، غُرْلاً! قَالَ: «**بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**» [رواه أحمد، وحسنه الألباني].

وعن مسلم بن يسار أَنَّ رَجُلا مِنَ الأَنْصَارِ رَكِبَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، وَهُوَ بِمِصْرَ، حَتَّى لَقِيَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَنْ سَتَرَ مُؤْمِنًا فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ**»؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَبَّرَ الأَنْصَارِيُّ، وَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ انْصَرَفَ.

وقال سعيد بن المسيب: إن كنتُ لأسري الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد.

وعن ربيعة بن يزيد قال: سمعت ابن الديلمي يقول: بلغني حديث عن عبد الله بن عمرو ابن العاص فركبت إليه إلى الطائف أسأله عنه، وكان ابن الديلمي بفلسطين، قال: فدخلت عليه وهو في حديقة له فوجدته مختصرًا بيد رجل، كنا نتحدث بالشام أن ذلك الرجل من شربة الخمر، قال: فقلت له: يا أبا محمد، هل سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في شارب الخمر شيئًا؟ قال: فاختلج الرجل يده من يد عبد الله بن عمرو، فقال: نعم، سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا**».

وعن نوفل قال: رأيتُ ابنَ المبارك في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي برحلتي في الحديث، عليك بالقرآن، عليك بالقرآن.

قال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم يكن في زمان ابن المبارك أحدٌ أطلب للعلم منه، رحل إلى اليمن، وإلى مصر، والشام، والبصرة، والكوفة، وكان ممن رواة العلم، وكان أهل ذاك، كتب عن الكبار والصغار».

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والله الذى لا إله غيره لقد قرأتُ من في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بضعًا وسبعين سورة، ولو أعلمُ أحدًا أعلمَ بكتاب الله مني تبلغنيه الإبل لأتيته».

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ أُنْسِيتُ آيَةً ثُمَّ لَمْ أَجِدْ أَحَدًا يُذَكِّرْنِيهَا إلا رَجُلٌ بِبِرْمِ الْغِمادِ رَحَلْتُ إِلَيه».

قال الإمام أحمد: لقد كان علقمةُ والأسودُ يبلغهما الحديثُ عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فلا يقنعهما حتى يخرجا إلى عمر فيسمعان منه.

قال الخطيب البغدادي: هذان الإمامان الجليلان من أئمة التابعين يخرجان من العراق إلى المدينة مسيرة شهر لكي يسمعا من عمر حديثًا بلغهما عنه.

وقيل للإمام الشعبى: من أين لك هذا العلم كله؟ بنفي الاعتماد والسير في البلاد، وصبر كصبر الجماد، وبكور كبكور الغراب.

قال رجل لأحد العلماء: بم أدركت العلم؟ قال: طلبته فوجدته بعيد المراد، لا يصاد بالسهام، ولا يرى في المنام، ولا يورث عن الآباء والأعمام.

فتوسلت إليه بافتراش المدرِ، واستناد الحجر، وإدمان السهر وكثرة النظر، وإعمال الفكر، ومتابعة السفر، وركوب الخطر: فوجدته شيئًا لا يصلح إلا للغرس ولا يغرس إلا في النفس، ولا يسقي إلا بالدرس. أرأيت من يشغل نهاره بالجمع، وليله بالجماع هل يخرج من ذلك فقيهًا؟ كلا والله. إن العلم لا يحصل إلا لمن اعتضد الدفاتر، وحمل المحابر، وقطع القفار، وواصل في الطلب الليل والنهار.

قال أبو مسعود عبد الرحيم الحاجي: سمعت ابن طاهر يقول: بُلْتُ الدَّمُ في طلب الحديث مرتين، مرة ببغداد، وأخرى بمكة، كنت أمشي حافيًا في الحر، فلحقني ذلك، وما ركبت دابة قط في طلب الحديث، وكنت أحمل كتبي على ظهري، وما سالت في حال الطلب احدًا، كنت أعيش على ما يأتي.

قال الحافظ أبو إسحاق الحبال: كنتُ يومًا عند أبي نصر السجزي، فدُقَّ الباب، فقمتُ، ففتحتُ، فدخلت امرأة، وأخرجت كيسًا فيه ألف دينار، فوضعته بين يدي الشيخ، وقالت: أنفقها كما ترى! قال: ما المقصود؟ قالت: تتزوجني ولا حاجة لي في الزواج، ولكن لأخدمك. فأمرها بأخذ الكيس، وأن تنصرف، فلما انصرفت. قال: خرجتُ من سجستان بنية طلب العلم، ومتى تزوجتُ، سقط عني هذا الاسم، وما أوثر على ثواب طلب العلم شيئًا.

والمقصود: كأنه يريد متى تزوج للذَّهب، نقص أجره، وإلا فلو تزوج في الجملة، لكان أفضل، ولما قدح ذلك في طلبه العلم، بل يكون قد عمل بمقتضى العلم، لكنه كان غريبًا، فخاف العَيْلة، وأن يتفرق عليه حاله عن الطلب.

وأنفق يحيى بن معين خمسمائة دينار في طلب الحديث ورثها من أبيه حتى مشى حافيًا.

وخرج بقي بن مخلد من بلاد الأندلس على قدميه إلى الإمام أحمد في بغداد لطلب الحديث [رحلة في طلب الحديث].

مواقف صادقة في الدعوة إلى الله

كان مالك بن دينار يقول: لو استطعت أن أنام لم أنم مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم، ولو وجدت أعوانًا لفرقتهم ينادون في سائر الدنيا كلها: يا أيها الناس، النار النار.

عن إبراهيم بن الأشعث، قال: كنا إذا خرجنا مع الفضيل في جنازة لا يزال يعظ، ويذكر ويبكي حتى لكأنه يودع أصحابه ذاهبًا إلى الآخرة حتى يبلغ المقابر، فيجلس فكأنه بين الموتى جلس من الحزن والبكاء حتى يقوم، ولكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها.

وعن شجاع بن الوليد قال: كنتُ أخرج مع سفيان الثوري فما يكاد لسانه يَفْتُر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهبًا وراجعًا.

والإمام الزهرى لم يكتفِ بتربية أجيال وتخريج أئمة في الحديث بل كان ينزل إلى الأعراب يعلمهم.

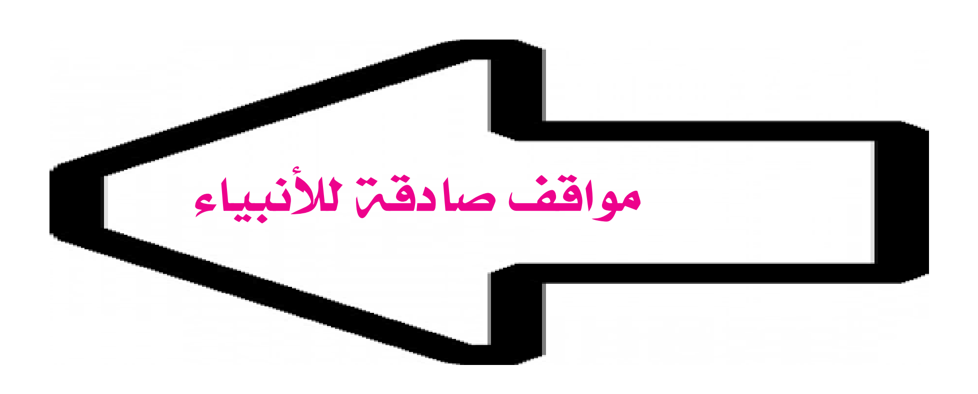
وكان الفقيه الواعظ أحمد الغزالي يدخل القرى والضياع ويعظ أهل البوادي تقربًا إلى الله.

وقال جعفر بن برقان: كتب إلينا عمر ابن عبد العزيز في كتابه، ومُرْ أهل الفقه من جندك فلينشروا ما علمهم الله في مساجدهم ومجالسهم والسلام.

وعن عثمان بن عطاء عن أبيه قال: إن أوثق عملي في نفسي نشري العلم.

وقال الإمام ربيعة الرأى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا ينبغي لأحد عنده شيء من العلم أن يُضيِّع نفسه [علو الهمة].

* * *


مواقف صادقة للأنبياء

١- صدق الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل:١٢٠].

ابتُلِيَ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بلاءً شديدًا في الله -تعالى- في مراحل حياته المختلفة، فقد ابتُلِي بِعُبَّاد الأصنام، وبكفر أبيه، ثم بذبح ابنِهِ.

وأُلقِيَ الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في النار؛ حيث أنهم شرعوا يجمعون حطبًا من جميع ما يمكنهم من الأماكن، فمكثوا وقتًا طويلًا يجمعون له، حتى أن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر لئن عوفيت لتحملن حطبًا لحريق ابراهيم، ثم عمدوا إلى الحوية (أرض مستديرة متسعة عظيمة) فوضعوا فيها ذلك الحطب، وأطلقوا فيه النار فاشتعلت وتأججت والتهبت، وعلا ها شرر لم يُرَ مثله قط، ثم وضعوا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في كفة منجنيق صنعها له رجل من الأكراد يُقال له (هيون) - وكان أول من صنع المنجنيق-، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، ثم أخذوا يقيدونه ويكتفونه وهو يردد: «لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد، ولك الملك، ولا شريك لك، حسبنا الله ونعم الوكيل».

ورُوِيَ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمُ فِي النَّارِ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ فِي السَّمَاءِ وَاحِدٌ، وَأَنَا فِي الْأَرْضِ وَاحِدٌ أَعْبُدُكَ»[١].

---

(١) رواه البزار في (البحر الزخار)، والدارمي في (الرد على الجهمية).

وذكر بعض السلف أن جبريل عُرِضَ له في الهواء، فقال: «يا إبراهيم، ألك حاجة؟» فقال: أما إليك فلا!

ويُروى عن ابن عباس وسعيد بن جُبير أنه قال: «جعل ملك المطر يقول: متى أمر فأرسل المطر؟ فكان أمر الله أسرع. قلنا: يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم» أي: لا تضريه.

وقال ابن عباس وأبو العالية: «لولا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ لآذى إبراهيم بردها».

وقال الضحاك: «يُروى أن جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كان معه يمسح العرق عن وجهه لم يصبه منها شيء غيره».

وقال السدي: «كان معه أيضًا ملك الظل، وصار إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في ميل الحوية حوله نار وهو في روضة خضراء، والناس ينظرون إليه لا يقدرون على الوصول، ولا هو يخرج إليهم».

وعن (سُمامة) مولاة الفاكه بن المغيرة قالت: «دخلت على عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا، فرأيت في بيتها رمحًا موضوعًا، فقلت: يا أم المؤمنين! ما تصنعين بهذا الرمح؟ قالت: هذا لهذه الأوزاغ نقتلهن به، فإن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حدثنا: «**أن إبراهيم حين أُلقِيَ في النار؛ لم يكن في الأرض دابة إلاَّ وتُطفئ عنه النار غير (الوزغ) كان ينفخ عليه، فأمرنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بقتله**»[1].

(١) رواه ابن ماجه.

٢- صدق سيدنا يوسف وأبيه عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ

كان إخوة سيدنا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أخطر عليه من الذئب؛ حين همُّوا بقتله، ورميه في غيابات الجب، قالوا: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [يوسف:١٤].

وفي البيت الذي آواه وأحسن مثواه راودته التي هو في بيتها عن نفسه، وغلَّقت الأبواب وقالت: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾، فما كان من يوسف الذي لفت أنظار الجميع إليه بحسن خلقه وأخلاقه إلاَّ أنه رفض إغراءات إمرأة العزيز التي لا تقاوم، فقال بإباءٍ:

﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف:٢٣].

فتذكر فضل ونعمة العزيز عليه وهو يواجه أعلى مراتب الإغراء، ورغم صغر سنه وريعان شبابه، وإتاحة الإغراءات له بدون أي سعي أو جهد، فكان حكيمًا حين رفض الإغراء، وكان عليمًا حين علم أن الحفاظ على فراش من أطعمه وسقاه من تمام الرجولة والمروءة التي يُجازى عليها المرء.

كان لا سبيل لإسكات الألسنة التي زاعت حول قصة يوسف مع امرأة العزيز ونساء طبقتها سِوى سجن هذا الفتى الذي دلت كل الآيات على برائته؛ لِتُنسى القصة. قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف:٣٥]

أمَّا سيدنا يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد عاشَ محنتين أليمتين، فصبر صبرًا جميلًا: **الأولى**- بقتل ابنه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ (ظنًا)، وظلَّ يعقوب يبكي يوسف أربعين سنة

طوال فترة إبعاده عنه حتى ابيضت عيناه من الحزن، **والثانية**- إبعاد إبنه الأصغر عنه بتهمة السرقة.

وفي الوقت الذي كان ينتظر فيه قدوم سيدنا يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ إذ بخبر اعتقال ابنه ينزل عليه كالصاعقة.

❊ ❊ ❊

٣- صدق سيدنا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ

لقد مكث سيدنا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ في قومه ألف سنة إلاَّ خمسين عامًا، وما آمن معه إلاَّ قليل من قومه، مع أنه أبدع معهم في وسائل الدعوة، وجدَّد ونوَّع.

قال تعالى على لسان نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾.

[نوح:٥-٩]

ورغم تلطف نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورفقه في دعوته لقومه؛ فإنهم طغوا وتكبروا وتجبروا، فقالوا: ﴿يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [هود:٣٢].

لقد كان ابتلاء شديدًا خصوصًا أن إمرأته وولده لم يؤمن به، ومع ذلك فقد صبر واحتسب حتى نجَّاه الله تعالى، وأغرق الذين كفروا وآذوه، ووقفوا حجر عثرة في طريقه في نشر دعوة الله عَزَّوَجَلَّ.

❋ ❋ ❋

٤- صدق سيدنا موسى وأمه عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ

حياة موسى عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ لم تكن غير سلسلة من المآسي والآلام، بل إن المحن رافقت موسى منذ كان رضيعًا، تتقاذفه الأمواج حين ألقته أمه في اليم بأمرٍ من ربها عَزَّوَجَلَّ، وشبت معه فتى يانعًا هاربًا من بطش فرعون، الذي أرسله الله تعالى إليه وإلى بني إسرائيل، فازدادت حياته محنة على محنة بسبب تعرضه لنقمة فرعون من جهة، ولإيذاء قومه وسفههم من جهة أخرى.

وجعل موسى يدعو إلى وحدانية الله، فحاربه فرعون وجمع له السحرة ليكيدوا له، ثم أمره الله -تعالى- أن يخرج من مصر مع من اتبعه، فطارده فرعون بجيشٍ عظيم، فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

أُرسِلَ موسى وهارون عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ لأشد الشعوب كرهًا للحق وابتعادًا عنه؛ لذلك كانت حياتهما مليئة بالأحداث والمواقف.

وأنت إذا تأملت؛ وجدتَ أنه لا أكره لأم موسى عَلَيۡهَاٱلسَّلَامُ من إلقاءها لابنها بيدها في (اليمِّ) ووقوعه بيد آل فرعون، ومع ذلك ظهرت عواقبه الحميدة، وآثاره الطيبة في مستقبل الأيام، وصدق ربنا: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

* * *

٥- صدق سيدنا عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

حاول اليهود أن يخفقوا من أثر دعوته، وأن يخفوا عن الناس أمره، ولما أعيت الحيلة أهل الباطل؛ ائتمروا به ليقتلوه، أما عيسى روح الله .. فقد كانت عين الله تحرسه وترعاه، فلما همَّ القوم بها دفعهم إليه حقدهم الأسود؛ وقع تحت أيديهم رجل شديد الشبه به، فقتلوه وهم يحسبون أنهم قتلوا عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

* * *

٦- صدق سيدنا أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ

كان سيدنا أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ نبيًّا من أنبياء الله تعالى، وكان كثير المال والأراضي وكان له أولاد كُثر، فأُصيب بفقد ماله وأولاده، ثم ابتلاه الله بعد ذلك بمرضٍ شديد في جسمه، ومع ذلك كان صابرًا محتسبًا ذاكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ في ليله ونهاره.

دام مرض أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ثماني عشرة سنة، وهو صابر لم يعترض على الله ولم يتسخط، حتى ترك خدمته أغلب الناس، ولم يصبر عليه أحد منهم إلا زوجته، وقد بلغ بهما الفقر أنه في بعض الأيام قصَّت امرأته شعرها وذهبت فباعته إلى زوجة رجل حاكم؛ حتى جاءت بمال، فاشترت به طعامًا، فقدَّمته إلى أيوب، فقال لها عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من أين هذا؟» قالت: (كُل)، قال: «من أين هذا؟ من أين جئتِ به؟» فلما أخبرته؛ غضب غضبًا شديدًا، وحلف لئن عافاه الله ليضربها مئة؛ لأن المرأة حرام عليها في شرع الله أن تصل شعرها بشعرٍ طبيعي لامرأة أخرى.

وفي يومٍ من الأيام خرج من بيته ليقضي حاجة، فأخرج الله له ماء من الأرض، فاغتسل أيوب بهذا الماء، فذهب عنه المرض الذي كان أصابه، فلما تأخر خرجت زوجته تبحث عنه، فلما رأته لم تعرفه؛ لأن الله ردَّ عليه شبابه، فلما نظرت إليه قالت: «يا عبد الله، هل رأيت نبي الله المبتلى أيوب وقد كان أشبه الناس بك؟»، فقال لها: «أنا هو» فعرفته عند ذلك.

وجزاءً لصبر هذه الزوجة؛ ردَّ الله إليها شبابها أيضًا، ورزقها بأولاد كُثر نحو عشرين ولدًا، ورزقه الله مالًا كثيرًا طيبًا حلالًا.

وفي قصة سيدنا أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ عِبرة لمن ابتُلِيَ في جسده، أو ماله أو ولده، فله أسوة بنبي الله أيوب حيث ابتلاه الله فصبر واحتسب حتى فرَّج الله عنه.

* * *

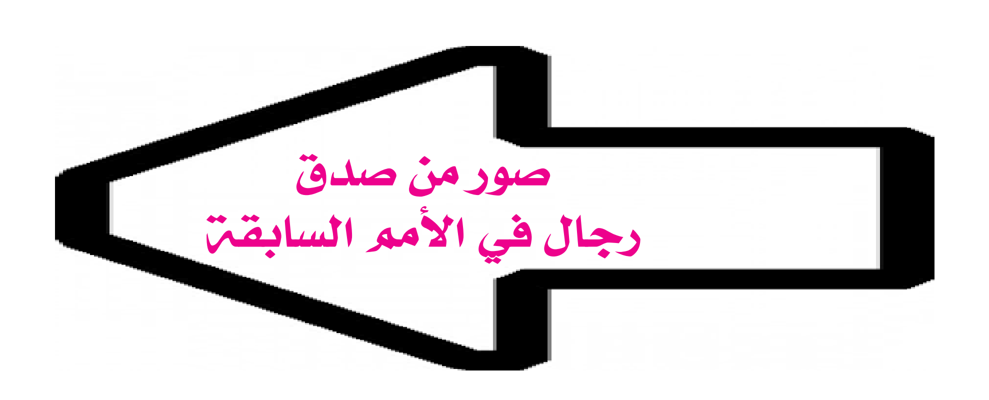
٧- صدق سيدنا يحيى وسيدنا زكريا عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ

كان يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ورعًا زاهدًا مع كونه عالمًا تقيًّا، حتى قيل إنه كان يأكل أوراق الأشجار كي لا يخالط الناس أو يكون بحاجة إليهم، وكان الناس يستفتونه في أمورهم، ويسمعون منه أحكام الله تعالى، حتى مع وجود أبيه زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فمن ذلك: أن الملك في ذلك الزمان عشق ابنة أخيه، وأراد أن يتزوجها، بالرغم من أنه من محارمها، فاستفتى يحي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في أمره، وطلب منه أن يُرخِّص له بهذا الزواج السِفاح، وقد كان ذلك الملك معروفًا بكونه طاغية جبارًا فاسقًا، وكانت ابنة أخيه تعشقه كذلك، وأخذ الملك يتودد بالكلام ليحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حتى يُرخِّص له ما يريد، فما كان منه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلا أن جمع الناس، وبيَّن لهم أن زواج الرجل بمحارمه من أشد الفجور، وهو ما أثار غضب الملك الذي توقع أن يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جمع الناس ليخبرهم صحة زواجه بابنة أخيه، ووقع في حرجٍ شديد؛ إذ لو تزوج بها بعد هذه المقولة سيثور عليه الناس، كما أن ذلك الملك أراد أن يفعل الفاحشة مع ابنة أخيه التي كانت تقوم بإغراءه بكل الوسائل، لكنها رفضت تمكينه من نفسها إلا بعد أن يتزوجها، فذكر لها ما كان من أمره مع يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأنه رفض أن يُقِرَّه على هذه الزيجة، بل جمع الملأ وفضح أمره لكي يُقيم عليه الحجة، فقالت تلك المرأة الفاسقة: «إذًا فتزوجني، ولا أرضى بمهر غير رأس يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»، وأعمت بهذا الطلب بصيرة الملك الذي أمر بقتل يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأرسل إليه من يُحضِر رأسه.

وذهبوا ليقتلوه، فكان حينئذٍ يتعبد في مصلاه، فقتلوه، وقطعوا رأسه، وأتوا به ليكون مهر تلك الزانية.

بعد هذه الجريمة النكراء التي فعلها ذلك الحاكم الفاسد في نبي الله تعالى، خاف من أن يثور زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ من هذه الفعلة، وينتقم لموت ابنه -نبي الله يحيى-، فما كان منه إلا أن أمر بقتله عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا؛ مخافة أن يفتن الناس ويقيمهم عليه، فقيل: إن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ هرب منهم، فأخذوا يقتفون أثره، ويحاولون الظفر به، إلى أن نادته شجرة في إحدى الغابات، وطلبت إليه الاختباء في جذعها، فأتاها ودخل، إلا أن طرف ثوبه بَقِيَ ظاهرًا، مما جذب أعين المقتفين الذين أتوا بمنشار، وشقوا الشجرة نصفين حتى قتلوه عَلَيْهِ السَّلَامُ.

* * *


صور من صدق
رجال في الأمم السابقة

٨- أصحاب الكهف

لأن الذى مدحهم وذكرهم وأثنى عليهم هو الله تعالىٰ وكتب قصتهم فى القرآن حتى يخالد ذكراهم إلى نهاية التاريخ.

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾ [الكهف:٩-١٢].

هذا إخبار من الله تعالىٰ عن قصة أصحاب الكهف على سبيل الإجمال والاختصار ثم بسطها بعد ذلك فقال ﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾ يعنى يا محمد ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ أى ليس أمرهم عجيبًا في قدرتنا وسلطاننا فإن خلق السموات والأرض واختلاف الليل وتسخير الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله تعالىٰ وأنه على ما يشاء قادر ولا يعجز شيء أعجب من أخبار أصحاب الكهف كما قال مجاهد: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ يقول قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك، وقال العوفى عن ابن عباس: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ يقول الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم، وأما الكهف فهو الغار في الجبل وهو الذي لجأ إليه هؤلاء الفتية

المذكورون، وأما الرقيم فقال العوفى عن ابن عباس هو واد قريب من آيلة. وقال الضحاك أما الكهف فهو غار الوادي والرقيم اسم الوادي، وقال مجاهد الرقيم كان بنيانهم، ويقول بعضهم هو الوادي الذي فيه كهفهم. وعن ابن عباس: الرقيم الكتاب، وقال سعيد بن جبير: الرقيم لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الرقيم الكتاب ثم قرأ كتاب مرقوم، وهذا الظاهر من الآية وهو اختيار ابن جرير، قال الرقيم فعيل بمعنى مرقوم كما يقال للمقتول قتيل وللمجروح جريح والله أعلم.

وقوله: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ يخبر الله تعالىٰ عن أولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه فهربوا منهم فلجأوا إلى غار في جبل ليختفوا عن قومهم فقالوا حين دخلوا سائلين من الله تعالىٰ رحمته ولطفه بهم ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أي هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها وتسترنا عن قومنا ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي وقدر لنا من أمرنا هذا رشدًا أي اجعل عاقبتنا رشدًا كما جاء في الحديث: «وما قضيت لنا من قضاء فاجعل عاقبته رشدًا»، وفى المسند من الحديث بسر ابن أرطأة عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يدعو: «اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة» وقوله ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾، أي

ألقينا عليهم النوم حين دخلوا إلى الكهف فناموا سنين كثيرة ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾، أي من رقدتهم تلك وخرج أحدهم بدراهم معه ليشتري لهم بها طعامًا يأكلونه كما سيأتي بيانه وتفصيله ولهذا قال ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ ﴾، أي المختلفين فيهم ﴿ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴾ قيل عددًا، وقيل غاية فإن الأمد الغاية.

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف:١٣-١٦].

من هاهنا شرع في بسط القصة وشرحه فذكر تعالىٰ أنهم فتية وهم الشباب وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثرهم المستجيبين لله تعالىٰ ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شبابًا، وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل، وهكذا أخبر تعالىٰ عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شبابًا، وقال مجاهد بلغنى أنه كان فى آذان بعضهم القرطة يعنى الحلق فألهمهم الله رشدهم وآتاهم تقواهم فآمنوا بربهم أى اعترفوا له بالوحدانية وشهدوا أنه لا إله إلا هو ﴿ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ استدل بهذه الآية، وأمثالها غير واحد من الأئمة كالبخارى وغيره ممن ذهب إلى زيادة الإيمان

وتفاضله وأنه يزيد وينقص، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ كما قال ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد:-١٧]، وقال ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[التوبة:١٢٤]، وقال ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح:٤]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك. وقد ذكر أنهم كانوا على دين المسيح عيسى ابن مريم فالله أعلم، والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية فإنهم لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم لمباينتهم لهم، وقد تقدم عن ابن عباس أن قريشًا بعثوا إلى أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبعثوا إليهم أن يسألوه عن خبر ذى القرنين وعن الروح فدل هذا على أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب وأنه مقدم على دين النصرانية والله أعلم.

وقوله: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يقول تعالىٰ وصبرناهم على مخالفة قومهم ومدينتهم ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة فإنه قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم وأنهم خرجوا يومًا في بعض أعياد قومهم وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له دقيانوس وكان يأمر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم إليه فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك وخرج

هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم، والذبح لها لا ينبغى إلا لله الذى خلق السموات والأرض فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينحاز منهم ويتبرز عنهم ناحية فكان أول من جلس إليها عنده وجاء الآخر فجلس إليهم وجاء الآخر ولا يعرف واحد منهم الآخر وإنما جمعهم هناك الذى جمع قلوبهم على الإيمان كما جاء في الحديث الذى رواه البخارى تعليقًا عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**»[١] وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والناس يقولون الجنسية علة الضم. والغرض أنه جعل كل أحد منهم يكتم ما هو عليه عن أصحابه خوفًا منهم ولا يدرى أنهم مثله حتى قال أحدهم تعلمون والله يا قوم إنه ما أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم إلا شيء فليظهر كل واحد منكم بأمره. فقال آخر أما أنا فإنى والله رأيت ما قومى عليه فعرفت أنه باطل وإنما الذى يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به شيئًا هو الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما، وقال الآخر وأنا والله وقع لى كذلك، وقال الآخر كذلك حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة فصاروا يدًا واحدة وإخوان صدق فاتخذوا لهم معبدًا يعبدون الله فيه فعرف بهم قومهم فوشوا بأمرهم إلى ملكهم فاستحضرهم بين يديه فسألهم عن أمرهم وما هم عليه فأجابوه بالحق

(١) صحيح: أخرجه مسلم في (البر والصلة/ ٢٦٣٨/ عبد الباقي)، وعلقه البخاري في «أحاديث الأنبياء».

ودعوه إلى الله عَزَّوَجَلَّ ولهذا أخبر تعالىٰ بقوله: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ﴾ ولن لنفى التأبيد أى لا يقع منا هذا أبدًا لأنا لو فعلنا ذلك لكان باطلاً ولهذا قال عنهم ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ أى باطلاً وكذبًا وبهتانًا ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ ﴾ أي هلا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلاً واضحًا صحيحًا ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ يقولون بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك فيقال إن ملكهم لما دعوه إلى الإيمان بالله أبىَ عليهم وتهددهم وتوعدهم وأمر بنزع لباسهم عنهم الذى كان عليهم من زينة قومهم وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يرجعون عن دينهم الذى كانوا عليه، وكان هذا من لطف الله بهم فإنهم فى تلك النظرة توصلوا إلى الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن فى الناس أن يفر العبد منهم خوفًا على دينه كما جاء فى الحديث: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ أحدكم غَنْمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ**»[1]، ففى هذه الحال تشرع العزلة عن الناس ولا تشرع فيما عداها لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع فلم وقع عزمهم على الذهاب والهرب من قومهم واختار الله تعالىٰ لهم ذلك وأخبر عنهم بذلك فى قوله: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ أى إذا فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله ففارقوهم أيضًا بأبدانكم ﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ أى يبسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ

(١) صحيح: أخرجه البخارى في (الإيمان/ ١٩/ فتح).

أَمۡرِكُم﴾ الذى أنتم فيه ﴿مِّرۡفَقٗا﴾ أى أمرًا ترتفقون به فعند ذلك خرجوا هربًا إلى الكهف فاووا إليه ففقدهم قومهم من بين أظهرهم وتطلبهم الملك فيقال إنه لم يظفر بهم وعمى الله عليه خبرهم كما فعل بنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه الصّديق حين لجأ إلى غار ثور وجاء المشركون من قريش فى الطلب فلم يهتدوا إليه مع أنهم يمرون عليه وعندها قال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين رأى جزع الصدّيق فى قوله يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟»[1]، وقد قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠]، فقصة هذا الغار أشرف وأجل وأعظم وأعجب من قصة أصحاب الكهف، وقد قيل إن قومهم ظفروا بهم ووقفوا على باب الغار الذى دخلوه فقالوا ما كنا نريد منهم من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم فأمر الملك بردم بابه عليهم ليهلكوا مكانهم ففعلوا ذلك، وفي هذا نظر والله أعلم. فإن الله تعالىٰ قد أخبر أن الشمس تدخل عليهم فى الكهف بكرة وعشيًا كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ [الكهف: ١٧].

(١) صحيح: أخرجه البخاري في (المناقب/ ٣٦٥٣/ فتح)، ومسلم في (فضائل الصحابة/ ٢٣٨١/ عبد الباقي).

فهذا فيه دليل على أن باب هذا الكهف كان من نحو الشمال لأنه تعالىٰ أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه ﴿ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ ﴾ أى يتقلص الفيء يمنة كما قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ﴿تَّزَٰوَرُ﴾ أى تميل وذلك أنها كلما ارتفعت فى الأفق تقلص شعاعها بإرتفاعها حتى لا يبقى منه شىء عند الزوال فى مثل ذلك المكان، ولهذا قال: ﴿ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾، أى تدخل إلى غارهم من شمال بابه وهو من ناحية المشرق فدل على صحة ما قلناه وهذا بين لمن تأمله وكان له علم بمعرفة الهيئة وسير الشمس والقمر والكواكب، وبيانه أنه لو كان باب الغار من ناحية الشرق لما دخل إليه منها شىء عند الغروب ولو كان من ناحية القبلة لما دخل منها شىء عند الطلوع ولا عند الغروب ولا تزاور الفىء يميناً ولا شمالاً ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع بل الزوال ولم تزل فيه إلى الغروب فتعين ما ذكرناه ولله الحمد، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ﴿تَّقْرِضُهُمْ ﴾ تتركهم، وقد أخبر الله تعالىٰ بذلك وأراد منا فهمه وتدبره ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض إذ لا فائدة لنا فيه ولا مقصد شرعى، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالاً فتقدم عن ابن عباس أنه قال هو قريب من أيلة، وقال ابن إسحاق هو عند نينوى وقيل ببلاد الروم وقيل ببلاد البلقاء والله أعلم بأى بلاد الله هو؛ ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالىٰ ورسوله إليه فقد قال ﷺ: «**مَا تَرَكْتُ شَيْئًا يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُكُمْ عَنِ النَّارِ، إِلَّا وَقَدْ أعلمتكم به**». فاعلمنا بصفته ولم يعلمن بمكانه فقال ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ

﴿عَن كَهْفِهِمْ﴾ قال زيد بن أسلم تميل ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي في متسع منه داخلاً بحيث لا تصيبهم إذ لو أصابتهم لأحرقت أبدانهم وثيابهم قاله ابن عباس ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ حيث أرشدهم إلى هذا الغار الذى جمعهم فيه أحياء والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقى أبدانهم، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ الآية أى هو الذي أرشد هؤلاء الفتية إلى الهداية من بين قومهم فإنه من هداه الله اهتدى ومن أضله فلا هادى له.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾.

ذكر بعض أهل العلم أنهم لما ضرب الله على آذانهم بالنوم لم تنطبق أعينهم لئلا يسرع إليها البلى فإذا بقيت ظاهرة للهواء كان أبقى لها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ وقد ذكر عن الذئب أنه ينام فيطبق عينًا ويفتح عينًا ثم يفتح هذه ويطبق هذه وهو راقد كما قال الشاعر:

ينام بإحدى مقلتيه ويتقى بأخرى الرزايا فهو يقظان نائم

وقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ قال بعض السلف يقلبون فى العام مرتين قال ابن عباس لو لم يقلبوا لأكلتهم الأرض وقوله ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة الوصيد الفناء، وقال ابن عباس بالباب وقيل بالصعيد وهو التراب والصحيح أنه بالفناء وهو الباب ومنه

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]، أى مطبقة مغلقة ويقال وصيد وأصيد ربض كلبهم على الباب كما جرت به عادة الكلاب، قال ابن جريج يحرس عليهم الباب وهذا من سجيته وطبيعته حيث يربض ببابهم كأنه يحرسهم وكان جلوسه خارج الباب لأن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب كما ورد في الصحيح[١] ولا صورة ولا جنب ولا كافر كما ورد فى الحديث الحسن[٢] وشملت كلبهم بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال وهذا فائدة صحبة الأخيار فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن. وقد قيل إنه كلب صيد لأحدهم وهو الأشبه وقيل كلب طباخ الملك وقد كان وافقهم على الدين فالله أعلم. واختلفوا فى لونه على أقوال لا حاصل لها ولا طائل تحتها ولا دليل عليها ولا حاجة إليها بل هى مما ينهى عنه فإن مستندها رجم بالغيب.

وقوله تعالى: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ أى أنه تعالىٰ ألقى عليهم المهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم لما ألبسوا من المهابة والذعر لئلا يدنو منهم أحد ولا تمسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب أجله وتنقضى رقدتهم التى شاء تَبَارَكَ وَتَعَالَى فيهم لما له فى ذلك من الحكمة والحجة البالغة والرحمة الواسعة.

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ

(١) صحيح: أخرجه البخارى فى (بدء الخلق/ ٣٢٢٥/ فتح)، ومسلم فى (اللباس/ ٢١٠٦/ عبد الباقى).
(٢) ضعيف: وانظر «ضعيف الجامع» (٦٢٠٣).

﴿أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:١٩-٢٠].

يقول تعالىٰ كما أرقدانهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأظفارهم لم يفقدوا من أحوالهم وهيآتهم شيئًا وذلك بعد ثلثمائة سنة وتسع سنين ولهذا تساءلوا بينهم ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ أى كم رقدتم ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنه كان دخولهم إلى الكهف فى أول نهار واستيقاظهم كان فى آخر نهار ولهذا استدركوا فقالوا ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ أى الله أعلم بأمركم وكأنه حصل لهم نوع تردد فى كثرة نومهم فالله أعلم ثم عدلوا إلى الأهم فى أمرهم إذ ذاك وهو احتياجهم إلى الطعام والشراب فقالوا: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ أى فضتكم هذه وذلك أنهم كانوا قد استصحبوا معهم دراهم من منازلهم لحاجتهم إليها فتصدقوا منها وبقى منها فلهذا قالوا: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ أى مدينتكم التى خرجتم منها والألف واللام للعهد ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أى أطيب طعامًا كقوله: ﴿فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور:٢١]، وقوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[الأعلى: ١٤]، ومنه الزكاة التى تطيب المال وتطهره وقيل أكثر طعامًا ومنه زكاة الزرع إذا كثر **قال الشاعر:**

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة والسبع أزكى من ثلاث وأطيب

والصحيح الأول لأن مقصدهم إنما هو الطيب الحلال سواء كان كثيرًا أو قليلاً، وقوله ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أى فى خروجه وذهابه وشرائه وإيابه يقولون ﴿وَلَا

﴿يُشْعِرَنَّ﴾ أى ولا يعلمن ﴿بِكُمْ أَحَدًا ۝١٩ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ أى إن علموا بمكانكم ﴿يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ﴾ يعنون أصحاب دقيانوس يخافون منهم أن يطلعوا على مكانهم فلا يزالون يعذبونهم بأنواع العذاب إلى أن يعيدوهم فى ملتهم التى هم عليها أو يموتوا وإن وافقتموهم على العود فى الدين فلا فلاح لكم فى الدنيا ولا فى الآخرة ولهذا قال ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [البقرة:٢١].

يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أى أطلعنا عليهم الناس ﴿لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ ذكر غير واحد من السلف أنه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك فى البعث وفى أمر القيامة، وقال عكرمة: كان منهم طائفة قد قالوا تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك، وذكروا أنه لما أراد أحدهم الخروج ليذهب إلى المدينة فى شراء شيء لهم ليأكلوه تنكر وخرج يمشى فى غير الجادة حتى انتهى إلى المدينة وذكروا أن اسمها افسوس وهو يظن أنه قريب العهد بها وكان الناس قد تبدلوا قرنًا بعد قرن وجيلاً بعد جيل وأمة بعد أمة، وتغيرت البلاد ومن عليها كما **قال الشاعر**:

أما الديار فإنها كديارهم وأرى رجال الحى غير رجاله

فجعل لا يرى شيئًا من معالم البلد التى يعرفها ولا يعرف أحدًا من أهلها لا خواصها ولا عوامها فجعل يتحير فى نفسه ويقول لعل بى جنونًا أو مسًا أو أنا حالم ويقول: والله ما بى شىء من ذلك وإن عهدى بهذه البلدة عشية أمس على غير هذه الصفة. ثم قال: إن تعجيل الخروج من هاهنا لأولى لى، ثم عمد إلى رجل ممن يبيع الطاعم فدفع إليه ما معه من النفقة وساله أن يبيعه بها طعامًا فلما رآها ذلك الرجل أنكرها وأنكر ضربها فدفعها إلى جاره وجعلوا يتداولونها بينهم ويقولون لعل هذا وجد كنزًا فسألوه عن أمره ومن أين له هذه النفقة لعله وجدها من كنز وممن أنت؟ فجعل يقول أنا من أهل هذه البلدة وعهدى بها عشية أمس وفيها دقيانوس فنسبوه إلى الجنون فحملوه إلى ولى أمرهم فسأله عن شأنه وخبره حتى أخبرهم بأمره وهو متحير فى حاله وما هو فيه فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلى الكهف - ملك البلد وأهلها - حتى انتهى بهم إلى الكهف فقال لهم دعونى حتى أتقدمكم فى الدخول لأعلم أصحابى فدخل، فيقال إنهم لا يدرون كيف ذهب فيه وأخفى الله عليهم خبرهم، ويقال بل دخلوا عليهم ورأوهم وسلم عليهم الملك واعتنقهم وكان مسلمًا فيما قبل واسمه تندوسيس ففرحوا به وآنسوه بالكلام ثم دعوه وسلموا عليه وعادوا إلى مضاجعهم وتوفاهم الله عَزَّوَجَلَّ فالله أعلم. قال قتادة: غزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة فمروا بكهف فى بلاد الروم فرأوا فيه عظامًا فقال قائل هذه عظام أهل الكهف فقال ابن عباس لقد بليت عظامهم من أكثر من ثلثمائة سنة رواه ابن جرير.

وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ أى كما أرقدناهم وأيقظناهم بهيآتهم أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان ﴿ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ أى فى أمر القيامة فمن مثبت لها ومن منكر فجعل الله ظهورهم على أصحاب الكهف حجة لهم وعليهم ﴿ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ﴾ أى سدوا عليهم باب كهفهم وذروهم على حالهم ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ حكى ابن جرير فى القائلين ذلك قولين (أحدهما) إنهم المسلمون منهم (والثانى) أهل الشرك منهم فالله أعلم، والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر؛ لأن النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد**»[1] يحذر ما فعلوا وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه لما وجد قبر دانيال فى زمانه بالعراق أمر أن يخفى عن الناس وأن تدفن تلك القرعة التى وجدها عنده فيها شيء من الملاحم وغيرها.

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٢٢].

يقول تعالىٰ مخبرًا عن اختلاف الناس فى عدد أصحاب الكهف فحكى ثلاثة أقوال فدل على أنه لا قائل برابع ولما ضعف القولين بقوله ﴿ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ﴾ أى قول

---

(١) صحيح: انظر الأحاديث الواردة فى ذلك فى «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد».

بلا علم كمن يرمى إلى مكان لا يعرفه فإنه لا يكاد يصيب وإن أصاب فبلا قصد، ثم حكى الثالث وسكت عليه أو قرره بقوله ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ فدل على صحته وأنه هو الواقع فى نفس الأمر وقوله ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾ إرشاد إلى أن الأحسن فى مثل هذا المقام رد العلم إلى الله تعالىٰ إذ لا احتياج إلى الخوض فى مثل ذلك بلا علم لكن إذا اطلعنا على أمر قبلنا به وإلا وقفنا.

وقوله ﴿ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ أى من الناس. قال ابن عباس أنا من القليل الذى استثنى الله عَزَّوَجَلَّ كانوا سبعة وكذا روى ابن جرير عن عطاء الخراسانى عنه أنه كان يقول أنا ممن استثنى الله عَزَّوَجَلَّ ويقول عدتهم سبعة. وروى ابن جرير عن عكرمة عن ابن عباس ﴿ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ قال أنا من القليل كانوا سبعة فهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس أنهم كانوا سبعة وهو موافق لما قدمناه.

﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾

[الكهف:٢٥-٢٦].

هذا خبر من الله تعالىٰ لرسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بمقدار ما لبث من أصحاب الكهف فى كهفهم منذ أرقدهم إلى أن بعثهم الله وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان وأنه كان مقداره ثلثمائة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية وهى ثلثمائة سنة بالشمسية فإن تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين فلهذا قال بعد الثلثمائة وازدادوا تسعًا، وقوله ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ﴾ أى إذا سئلت عن لبثهم

وليس عندك علم فى ذلك وتوفيق من الله تعالىٰ فلا تتقدم فيه بشىء بل قل فى مثل هذا ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أى لا يعلم ذلك إلا هو أو من أطلعه عليه من خلقه وهذا الذى قلناه عليه غير واحد من علماء التفسير كمجاهد وغير واحد من السلف وقوله ﴿ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ﴾ أى إنه لبصير بهم سميع لهم. قال ابن جرير وذلك فى معنى المبالغة فى المدح كأنه قيل ما أبصره وأسمعه وتأويل الكلام ما أبصر الله لكل موجود وأسمعه لكل مسموع لا يخفى عليه من ذلك شىء. ثم روى عن قتادة فى قوله ﴿ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ﴾ فلا أبصر من الله ولا أسمع، وقال ابن زيد ﴿ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ﴾ يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم سميعًا بصيرًا. وقوله ﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ أى أنه تعالىٰ هو الذى له الخلق والأمر الذى لا معقب لحكمه وليس له وزير ولا نصير ولا شريك ولا مشير تعالىٰ وتقدس [مختصر تفسير ابن كثير لهانى الحاج].

❊ ❊ ❊

٩- قصة مؤمن آل يس

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾

[يس: ١٤-١٧].

يَقُولُ تَعَالَى: وَاضْرِبْ - يَا مُحَمَّدُ - لِقَوْمِكَ الَّذِينَ كَذَّبُوكَ ﴿مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ - فِيمَا بَلَغَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ، وَوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ -: إِنَّهَا مَدِينَةُ أَنْطَاكِيَةَ، وَكَانَ بِهَا مَلِكٌ يُقَالُ لَهُ: أَنْطَيْخَسُ بْنُ أَنْطَيْخَسَ بْنِ أَنْطَيْخَسَ، وَكَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِ ثَلَاثَةً مِنَ الرُّسُلِ، وَهُمْ: صَادِقٌ وَصَدُوقٌ وَشَلُومُ، فَكَذَّبَهُمْ.

وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ، وَعِكْرِمَةَ، وَقَتَادَةَ، وَالزُّهْرِيِّ: أَنَّهَا أَنْطَاكِيَةُ.

وَقَدِ اسْتَشْكَلَ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ كَوْنَهَا أَنْطَاكِيَةَ، بِمَا سَنَذْكُرُهُ بَعْدَ تَمَامِ الْقِصَّةِ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ أَيْ: بَادَرُوهُمَا بِالتَّكْذِيبِ، ﴿فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾ أَيْ: قَوَّيْنَاهُمَا وَشَدَدْنَا أَزْرَهُمَا بِرَسُولٍ ثَالِثٍ.

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ شُعَيْبٍ الْجُبَّائِيِّ قَالَ: كَانَ اسْمُ الرَّسُولَيْنِ الْأَوَّلِينَ شَمْعُونَ وَيُوحَنَّا، وَاسْمُ الثَّالِثِ بُولِصَ، وَالْقَرْيَةُ أَنْطَاكِيَةُ.

﴿فَقَالُوٓاْ﴾ أَيْ: لِأَهْلِ تِلْكَ الْقَرْيَةِ: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ أَيْ: مِنْ رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ، نَأْمُرُكُمْ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. قَالَهُ أَبُو الْعَالِيَةِ.

وَزَعَمَ قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ: أَنَّهُمْ كَانُوا رُسُلَ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى أَهْلِ أَنْطَاكِيَةَ. ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ أَيْ: فَكَيْفَ أُوحِيَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ بَشَرٌ وَنَحْنُ بَشَرٌ، فَلِمَ لَا أُوحِيَ إِلَيْنَا مِثْلَكُمْ؟ وَلَوْ كُنْتُمْ رُسُلًا لَكُنْتُمْ مَلَائِكَةً. وَهَذِهِ شُبْهُ كَثِيرٍ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن: ٦]، فَاسْتَعْجَبُوا مِنْ ذَلِكَ وَأَنْكَرُوهُ. وَقَوْلُهُ: ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠]. وَقَوْلُهُ حِكَايَةٌ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٤]، ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤]، وَلِهَذَا قَالَ هَؤُلَاءِ: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۝١٥ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ أَيْ: أَجَابَتْهُمْ رُسُلُهُمُ الثَّلَاثَةُ قَائِلِينَ: اللهُ يَعْلَمُ أَنَّا رُسُلُهُ إِلَيْكُمْ، وَلَوْ كُنَّا كَذَبَةً عَلَيْهِ لَانْتَقَمَ مِنَّا أَشَدَّ الِانْتِقَامِ، وَلَكِنَّهُ سَيُعِزُّنَا وَيَنْصُرُنَا عَلَيْكُمْ، وَسَتَعْلَمُونَ لِمَنْ تَكُونُ عَاقِبَةُ الدَّارِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢].

﴿ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ يَقُولُونَ إِنَّمَا عَلَيْنَا أَنْ نُبَلِّغَكُمْ مَا أُرْسِلْنَا بِهِ إِلَيْكُمْ، فَإِذَا أَطَعْتُمْ كَانَتْ لَكُمُ السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ لَمْ تُجِيبُوا فَسَتَعْلَمُونَ غِبَّ ذَلِكَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ [يس: ١٨-١٩].

فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهُمْ أَهْلُ الْقَرْيَةِ: ﴿إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡ﴾ أَيْ: لَمْ نَرَ عَلَى وُجُوهِكُمْ خَيْرًا فِي عَيْشِنَا.

وَقَالَ قَتَادَةُ: يَقُولُونَ إِنْ أَصَابَنَا شَرٌّ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ أَجْلِكُمْ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَقُولُونَ: لَمْ يَدْخُلْ مِثْلُكُمْ إِلَى قَرْيَةٍ إِلَّا عُذِّبَ أَهْلُهَا.

﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾: قَالَ قَتَادَةُ: بِالْحِجَارَةِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: بِالشَّتْمِ.

﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ أَيْ: عُقُوبَةٌ شَدِيدَةٌ. فَقَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ أَيْ: مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي قَوْمِ فِرْعَوْنَ: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١]، وَقَالَ قَوْمُ صَالِحٍ: ﴿ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٤٧]. وَقَالَ قَتَادَةُ، وَوَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: أَيْ أَعْمَالُكُمْ مَعَكُمْ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٧٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ أَيْ: مِنْ أَجْلِ أَنَّا ذَكَّرْنَاكُمْ وَأَمَرْنَاكُمْ بِتَوْحِيدِ الله وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، قَابَلْتُمُونَا بِهَذَا الْكَلَامِ، وَتَوَعَّدْتُمُونَا وَتَهَدَّدْتُمُونَا؟ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: أَيْ إِنْ ذَكَّرْنَاكُمْ بِالله تَطَيَّرْتُم بِنَا، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ [يس: ٢٠-٢٥].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ - فِيمَا بَلَغَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ وَوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ -: إِنَّ أَهْلَ الْقَرْيَةِ هَمُّوا بِقَتْلِ رُسُلِهِمْ فَجَاءَهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى، أَيْ: لِيَنْصُرَهُمْ مِنْ قَوْمِهِ - قَالُوا: وَهُوَ حَبِيبٌ، وَكَانَ يَعْمَلُ الْجَرِيرَ - وَهُوَ الْحِبَالُ - وَكَانَ رَجُلًا سَقِيمًا قَدْ أَسْرَعَ فِيهِ الْجُذَامُ، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ، يَتَصَدَّقُ بِنِصْفِ كَسْبِهِ، مُسْتَقِيمَ النَّظْرَةِ.

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ رَجُلٍ سَمَّاهُ، عَنِ الْحَكَمِ، عَنْ مِقْسَمٍ - أَوْ: عَنْ مُجَاهِدٍ - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ اسْمُ صَاحِبِ يس حَبِيبًا، وَكَانَ الْجُذَامُ قَدْ أَسْرَعَ فِيهِ.

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ، عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ: كَانَ اسْمُهُ حَبِيبَ بْنَ مَرَى.

وَقَالَ شَبِيبُ بْنُ بِشْرٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا قَالَ: اسْمُ صَاحِبِ يس حَبِيبٌ النَّجَّارُ، فَقَتَلَهُ قَوْمُهُ.

وَقَالَ السُّدِّيُّ: كَانَ قَصَّارًا. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْحَكَمِ: كَانَ إِسْكَافًا. وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ يَتَعَبَّدُ فِي غَارٍ هُنَاكَ.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾: يَحُضُّ قَوْمَهُ عَلَى اتِّبَاعِ الرُّسُلِ الَّذِينَ أَتَوْهُمْ، ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرًا﴾ أَيْ: عَلَى إِبْلَاغِ الرِّسَالَةِ، ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ فِيمَا يَدْعُونَكُمْ إِلَيْهِ، مِنْ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ أَيْ: وَمَا يَمْنَعُنِي مِنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّذِي خَلَقَنِي وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ أَيْ: يَوْمَ الْمَعَادِ، فَيُجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ وَتَوْبِيخٍ وَتَقْرِيعٍ، ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ أَيْ: هَذِهِ الْآلِهَةُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا. فَإِنَّ اللهَ لَوْ أَرَادَنِي بِسُوءٍ، ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: ١٠٧]، وَهَذِهِ الْأَصْنَامُ لَا تَمْلِكُ دَفْعَ ذَلِكَ وَلَا مَنْعَهُ، وَلَا يُنْقِذُونَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ، ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ أَيْ: إِنِ اتَّخَذْتُهَا آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ - فِيمَا بَلَغَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَكَعْبٍ وَوَهْبٍ - يَقُولُ لِقَوْمِهِ: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ الَّذِي كَفَرْتُمْ بِهِ، ﴿فَٱسۡمَعُونِ﴾ أَيْ: فَاسْمَعُوا قَوْلِي.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ خِطَابُهُ لِلرُّسُلِ بِقَوْلِهِ: ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ أَيِ: الَّذِي أَرْسَلَكُمْ، ﴿ فَٱسْمَعُونِ ﴾ أَيْ: فَاشْهَدُوا لِي بِذَلِكَ عِنْدَهُ. وَقَدْ حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ فَقَالَ: وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ خَاطَبَ بِذَلِكَ الرُّسُلَ، وَقَالَ لَهُمْ: اسْمَعُوا قَوْلِي، لِتَشْهَدُوا لِي بِمَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ رَبِّي، إِنِّي قَدْ آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ وَاتَّبَعْتُكُمْ.

وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي حَكَاهُ هَؤُلَاءِ أَظْهَرُ فِي الْمَعْنَى، وَاللهُ أَعْلَمُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ - فِيمَا بَلَغَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَكَعْبٍ وَوَهْبٍ -: فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ وَثَبُوا عَلَيْهِ وَثْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَقَتَلُوهُ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَحَدٌ يَمْنَعُ عَنْهُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: جَعَلُوا يَرْجُمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللهمَّ اهْدِ قَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ». فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَقْعَصُوهُ وَهُوَ يَقُولُ كَذَلِكَ، فَقَتَلُوهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ [يس: ٢٦-٢٩].

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: إِنَّهُمْ وَطِئُوهُ بِأَرْجُلِهِمْ حَتَّى خَرَجَ قُصْبُهُ مِنْ دُبُرِهِ وَقَالَ اللهُ لَهُ: ﴿ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾، فَدَخَلَهَا فَهُوَ يُرْزَقُ مِنْهَا، قَدْ أَذْهَبَ اللهُ عَنْهُ سُقْمَ الدُّنْيَا وَحُزْنَهَا وَنَصَبَهَا.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: قِيلَ لِحَبِيبٍ النَّجَّارِ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. وَذَلِكَ أَنَّهُ قُتِلَ فَوَجَبَتْ لَهُ، فَلَمَّا رَأَى الثَّوَابَ ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴾.

قَالَ قَتَادَةُ: لَا تَلْقَى الْمُؤْمِنَ إِلَّا نَاصِحًا، لَا تَلْقَاهُ غَاشًّا; لَمَّا عَايَنَ مَا عَايَنَ مِنْ كَرَامَةِ الله ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾. تَمَنَّى عَلَى الله أَنْ يَعْلَمَ قَوْمُهُ مَا عَايَنَ مِنْ كَرَامَةِ الله [لَهُ]، وَمَا هَجَمَ عَلَيْهِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَصَحَ قَوْمَهُ فِي حَيَاتِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠]، وَبَعْدَ مَمَاتِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ، عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ: ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ بِإِيمَانِي بِرَبِّي وَتَصْدِيقِي الْمُرْسَلِينَ.

وَمَقْصُودُهُ أَنَّهُمْ لَوِ اطَّلَعُوا عَلَى مَا حَصَلَ مِنْ هَذَا الثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، لَقَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَى اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، فَرَحِمَهُ الله وَرَضِيَ عَنْهُ، فَلَقَدْ كَانَ حَرِيصًا عَلَى هِدَايَةِ قَوْمِهِ.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: قَالَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ابْعَثْنِي إِلَى قَوْمِي أَدْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَقْتُلُوكَ**». فَقَالَ: لَوْ وَجَدُونِي نَائِمًا مَا أَيْقَظُونِي. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انْطَلِقْ**». فَانْطَلَقَ فَمَرَّ عَلَى اللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَقَالَ: لَأُصَبِّحَنَّكِ غَدًا بِمَا يَسُوءُكِ. فَغَضِبَتْ ثَقِيفٌ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ ثَقِيفٍ، إِنَّ اللَّاتَ لَا لَاتَ، وَإِنَّ الْعُزَّى لَا عُزَّى، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا. يَا مَعْشَرَ الْأَحْلَافِ، إِنَّ الْعُزَّى لَا عُزَّى، وَإِنَّ اللَّاتَ لَا لَاتَ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا. قَالَ ذَلِكَ

ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَرَمَاهُ رَجُلٌ فَأَصَابَ أَكْحَلَهُ فَقَتَلَهُ، فَبَلَغَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «هَذَا مَثَلُهُ كَمَثَلِ صَاحِبِ يس، ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾».

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾: يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ انْتَقَمَ مِنْ قَوْمِهِ بَعْدَ قَتْلِهِمْ إِيَّاهُ، غَضَبًا مِنْهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَقَتَلُوا وَلِيَّهُ. وَيَذْكُرُ تَعَالَى: أَنَّهُ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ، وَمَا احْتَاجَ فِي إِهْلَاكِهِ إِيَّاهُمْ إِلَى إِنْزَالِ جُنْدٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ، بَلِ الْأَمْرُ كَانَ أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ أَيْ: مَا كَاثَرْنَاهُمْ بِالْجُمُوعِ الْأَمْرُ كَانَ أَيْسَرَ عَلَيْنَا مِنْ ذَلِكَ، ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ قَالَ: فَأَهْلَكَ اللهُ ذَلِكَ الْمَلِكَ، وَأَهْلَكَ أَهْلَ أَنْطَاكِيَةَ، فَبَادُوا عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَةٌ.

وَقِيلَ: ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ أَيْ: وَمَا كُنَّا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ عَلَى الْأُمَمِ إِذَا أَهْلَكْنَاهُمْ، بَلْ نَبْعَثُ عَلَيْهِمْ عَذَابًا يُدَمِّرُهُمْ.

وَقِيلَ: الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أَيْ: مِنْ رِسَالَةٍ أُخْرَى إِلَيْهِمْ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ. قَالَ قَتَادَةُ: فَلَا وَاللهِ مَا عَاتَبَ اللهُ قَوْمَهُ بَعْدَ قَتْلِهِ، ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ؛ لِأَنَّ الرِّسَالَةَ لَا تُسَمَّى جُنْدًا.

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: بَعَثَ الله إِلَيْهِمْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخَذَ بِعِضَادَتَيْ بَابِ بَلَدِهِمْ، ثُمَّ صَاحَ بِهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ عَنْ آخِرِهِمْ، لَمْ يَبْقَ فِيهِمْ رُوحٌ تَتَرَدَّدُ فِي جَسَدٍ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّ هَذِهِ الْقَرْيَةَ هِيَ أَنْطَاكِيَةُ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ كَانُوا رُسُلًا مِنْ عِنْدِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يُذْكَرْ عَنْ وَاحِدٍ مِنْ مُتَأَخِّرِي الْمُفَسِّرِينَ غَيْرِهِ، وَفِي ذَلِكَ نَظَرٌ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا- أَنَّ ظَاهِرَ الْقِصَّةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا رُسُلَ الله عَزَّ وَجَلَّ، لَا مِنْ جِهَةِ الْمَسِيحِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝١٤ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۝١٥ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝١٦ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [يس: ١٤- ١٧]. وَلَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ لَقَالُوا عِبَارَةً تُنَاسِبُ أَنَّهُمْ مِنْ عِنْدِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالله أَعْلَمُ. ثُمَّ لَوْ كَانُوا رُسُلَ الْمَسِيحِ لَمَا قَالُوا لَهُمْ: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾.

الثَّانِي- أَنَّ أَهْلَ أَنْطَاكِيَةَ آمَنُوا بِرُسُلِ الْمَسِيحِ إِلَيْهِمْ، وَكَانُوا أَوَّلَ مَدِينَةٍ آمَنَتْ بِالْمَسِيحِ؛ وَلِهَذَا كَانَتْ عِنْدَ النَّصَارَى إِحْدَى الْمَدَائِنِ الْأَرْبَعَةِ اللَّاتِي فِيهِنَّ بَتَارِكَةٌ، وَهُنَّ الْقُدْسُ لِأَنَّهَا بَلَدُ الْمَسِيحِ، وَأَنْطَاكِيَةُ لِأَنَّهَا أَوَّلُ بَلْدَةٍ آمَنَتْ بِالْمَسِيحِ عَنْ آخِرِ أَهْلِهَا، وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةُ لِأَنَّ فِيهَا اصْطَلَحُوا عَلَى اتِّخَاذِ الْبَتَارِكَةِ وَالْمَطَارِنَةِ وَالْأَسَاقِفَةِ وَالْقَسَاوِسَةِ وَالشَّمَامِسَةِ وَالرُّهَابِيْنِ. ثُمَّ رُومِيَّةُ لِأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ قُسْطَنْطِينَ الَّذِي

نَصَرَ دِينَهُمْ وَأَطَّدَهُ. وَلَمَّا ابْتَنَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ نَقَلُوا الْبُتْرَكَ مِنْ رُومِيَّةَ إِلَيْهَا، كَمَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِمَّنْ ذَكَرَ تَوَارِيخَهُمْ كَسَعِيدِ بْنِ بِطْرِيقَ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا تَقَرَّرَ أَنَّ أَنْطَاكِيَةَ أَوَّلُ مَدِينَةٍ آمَنَتْ، فَأَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ كَذَّبُوا رُسُلَهُ، وَأَنَّهُ أَهْلَكَهُمْ بِصَيْحَةٍ وَاحِدَةٍ أَخْمَدَتْهُمْ، فَاللهُ أَعْلَمُ.

الثَّالِثُ- أَنَّ قِصَّةَ أَنْطَاكِيَةَ مَعَ الْحَوَارِيِّينَ أَصْحَابِ الْمَسِيحِ بَعْدَ نُزُولِ التَّوْرَاةِ، وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى بَعْدَ إِنْزَالِهِ التَّوْرَاةَ لَمْ يُهْلِكْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ عَنْ آخِرِهِمْ بِعَذَابٍ يَبْعَثُهُ عَلَيْهِمْ، بَلْ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ ذَلِكَ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، ذَكَرُوهُ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [القصص: ٤٣]. فَعَلَى هَذَا يَتَعَيَّنُ أَنَّ هَذِهِ الْقَرْيَةَ الْمَذْكُورَةَ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ قَرْيَةٌ أُخْرَى غَيْرُ أَنْطَاكِيَةَ، كَمَا أَطْلَقَ ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ أَيْضًا. أَوْ تَكُونُ أَنْطَاكِيَةُ إِنْ كَانَ لَفْظُهَا مَحْفُوظًا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مَدِينَةً أُخْرَى غَيْرَ هَذِهِ الْمَشْهُورَةِ الْمَعْرُوفَةِ، فَإِنَّ هَذِهِ لَمْ يُعْرَفْ أَنَّهَا أُهْلِكَتْ لَا فِي الْمِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ وَلَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾.

[يس: ٣٠-٣٢]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ﴾ أَيْ: يَا وَيْلَ الْعِبَادِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ﴾: أَيْ يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ عَلَى أَنْفُسِهَا، عَلَى مَا ضَيَّعَتْ مِنْ أَمْرِ الله، فَرَّطَتْ فِي جَنْبِ الله. قَالَ: وَفِي بَعْضِ الْقِرَاءَةِ: يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ عَلَى أَنْفُسِهَا.

وَمَعْنَى هَذَا: يَا حَسْرَتَهُمْ وَنَدَامَتَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا عَايَنُوا الْعَذَابَ، كَيْفَ كَذَّبُوا رُسُلَ الله، وَخَالَفُوا أَمْرَ الله، فَإِنَّهُمْ كَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا الْمُكَذِّبُونَ مِنْهُمْ.

﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أَيْ: يُكَذِّبُونَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ، وَيَجْحَدُونَ مَا أُرْسِلَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ أَيْ: أَلَمْ يَتَّعِظُوا بِمَنْ أَهْلَكَ الله قَبْلَهُمْ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ، كَيْفَ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ إِلَى هَذِهِ الدُّنْيَا كَرَّةٌ وَلَا رَجْعَةٌ، وَلَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ كَثِيرٌ مِنْ جَهَلَتِهِمْ وَفَجَرَتِهِمْ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون: ٣٧]، وَهُمُ الْقَائِلُونَ بِالدَّوْرِ مِنَ الدَّهْرِيَّةِ، وَهُمُ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ جَهْلًا مِنْهُمْ أَنَّهُمْ يَعُودُونَ إِلَى الدُّنْيَا كَمَا كَانُوا فِيهَا، فَرَدَّ الله تَعَالَى عَلَيْهِمْ بَاطِلَهُمْ، فَقَالَ: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ أَيْ: وَإِنَّ جَمِيعَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْآتِيَةِ سَتَحْضُرُ لِلْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيِ الله عَزَّوَجَلَّ، فَيُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ كُلِّهَا خَيْرِهَا وَشَرِّهَا، وَمَعْنَى هَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [هود: ١١١].

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي أَدَاءِ هَذَا الْحَرْفِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ قَرَأَ: (وَإِنْ كُلٌّ لَمَا) بِالتَّخْفِيفِ، فَعِنْدَهُ أَنَّ (إِنْ) لِلْإِثْبَاتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ شَدَّدَ (لَمَّا)، وَجَعَلَ (إِنَّ) نَافِيَةً، وَ (لَمَّا) بِمَعْنَى (إِلَّا) تَقْدِيرُهُ: وَمَا كُلٌّ إِلَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ، وَمَعْنَى الْقِرَاءَتَيْنِ وَاحِدٌ، وَالله أَعْلَمُ.

* * *

١٠- أصحاب الأخدود
والغلام والراهب

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ فَقَالَ الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي فَقَالَ إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ فَآمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ قَالَ رَبِّي قَالَ وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي قَالَ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ فَجِيءَ بِالْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ فَقَالَ إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ

ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَرَجَفَ بِهِمْ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَانْكَفَأَتْ بِهِمْ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ فَقَالَ لِلْمَلِكِ إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ ارْمِنِي فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ فَقَالَ النَّاسُ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ وَقَالَ مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا أَوْ قِيلَ لَهُ اقْتَحِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ» [صحيح مسلم].

* * *

١١- أصحاب الغار

عن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ الْغَارَ فَقَالُوا إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنْ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَتَحَرَّجْتُ مِنْ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَقَالَ الثَّالِثُ اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي فَقُلْتُ لَهُ كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنْ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئُ بِي فَقُلْتُ إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا اللَّهُمَّ

فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا **يَمْشُونَ**» [صحيح البخاري].

❊ ❊ ❊

١٢- صاحب السحابة

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنْ الْأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ قَالَ فُلَانٌ لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنْ اسْمِي فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا قَالَ أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ» [صحيح مسلم].

***

١٣- الرجل الذي وضع الصدقة في غير موضعها

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ رَجُلٌ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ فَقَالَ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ زَانِيَةٍ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ فَقَالَ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ غَنِيٍّ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ فَقَالَ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيٍّ فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ» [رواه البخاري].

❋ ❋ ❋

١٤- الأعمى الذي صدق مع اللّه

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا فَقَالَ أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْإِبِلُ أَوْ قَالَ الْبَقَرُ هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ إِنَّ الْأَبْرَصَ وَالْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا الْإِبِلُ وَقَالَ الْآخَرُ الْبَقَرُ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ فَقَالَ يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْبَقَرُ قَالَ فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا وَقَالَ يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ قَالَ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْغَنَمُ فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي فَقَالَ لَهُ إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ فَقَالَ لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي وَفَقِيرًا

فَقَدْ أَغْنَانِي فَخُذْ مَا شِئْتَ فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ» [رواه البخاري] .

* * *

١٥- جريج العابد

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ عِيسَى وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ كَانَ يُصَلِّي جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ فَقَالَ أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي فَقَالَتْ اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ الْمُومِسَاتِ وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَقَالَتْ مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ فَقَالَ مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ قَالَ الرَّاعِي قَالُوا نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ لَا إِلَّا مِنْ طِينٍ وَكَانَتْ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ فَقَالَتْ اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ فَقَالَ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمَصُّ إِصْبَعَهُ ثُمَّ مُرَّ بِأَمَةٍ فَقَالَتْ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ فَتَرَكَ ثَدْيَهَا فَقَالَ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا فَقَالَتْ لِمَ ذَاكَ فَقَالَ الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنْ الْجَبَابِرَةِ وَهَذِهِ الْأَمَةُ يَقُولُونَ سَرَقْتِ زَنَيْتِ وَلَمْ تَفْعَلْ» [صحيح البخاري].

***


صور من صدق أصحاب رسول اللّه

١٦- أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فضائل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أول من أسلم:

عن الشعبي قال: سئل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أول من أسلم؟ فقال: أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أم سمعت قول حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة   فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأفضلها   إلا النبي وأولاها بما حملا

والثاني التالي المحمود شيمته   وأولى الناس منهم صدق الرسلا

مواساة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه وماله وأهله

عن عروة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا نَفَعَنَا مَالُ أَحَدٍ مَا نَفَعَنَا مَالُ أَبِي بَكْرٍ**» [إسناده صحيح عرواه الحميدي وأبي يعلى].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ**»

[صحيح ابن ماجة].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطب الناس، فقال: «**إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ**»

[صحيح البخاري ومسلم].

وعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قالت: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَ اللهِ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ». فَلَمْ يُلَقَّنْهَا إِلَّا أَبُو بَكْرٍ، فَبَكَى. فَقَالَ: «نَفْدِيكَ بِآبَائِنَا، وَأُمَّهَاتِنَا، وَأَبْنَائِنَا». فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «عَلَى رَسْلِكَ، أَفْضَلُ النَّاسِ عِنْدِي فِي الصُّحْبَةِ وَذَاتِ الْيَدِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، انْظُرُوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ الشَّوَارِعَ فِي الْمَسْجِدِ فَسُدُّوهَا، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ بَابِ أَبِي بَكْرٍ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ عَلَيْهِ نُورًا».

[رواه الطبراني فى الكبير]

أبو بكر وعمر من أصحاب الدرجات العلى

قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَاهُمْ مَنْ تَحْتَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ النَّجْمَ الطَّالِعَ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ وَأَنْعَمَا».

[رواه الإمام أحمد والترمذي وابن حبان وصححه الألباني صحيح الجامع]

أمر الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الإقتداء بأبي بكر وعمر

قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ».

[صحيح الإمام أحمد والترمذي وغيرهما وصححه الألباني صحيح الجامع]

أنه وعمر سيدا كهول أهل الجنة

قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ».

[صحيح رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما وصححه الألباني صحيح الجامع]

أبو بكر وعمر كالسمع والبصر لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وعن عبد الله بن حنطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «هَذَانِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ» - يعني أبا بكر وعمر.

[صحيح رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني صحيح الجامع]

أحب الرجال للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ عَائِشَةُ»، قَالَ: لَسْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ النِّسَاءِ، إِنَّمَا أَسْأَلُكَ عَنِ الرِّجَالِ، فَقَالَ مَرَّةً: «أَبُوهَا»، وَقَالَ مَرَّةً: أَبُو بَكْرٍ» [صحيح البخاري ومسلم].

عتيق الله من النار

عن عائشة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأبى بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنْتَ عَتِيقُ اللهِ مِنَ النَّارِ» [صحيح رواه الترمذى والحاكم وصححه الألبانى صحيح الجامع].

أن الله عَزَّ وَجَلَّ عاتب جميع الناس فى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه أخرجه من المعاتبة.

عن الحسن فى قول الله تعالى عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ [التوبة: ٤٠]، والله لقد عاتب الله عَزَّ وَجَلَّ أهل الأرض جميعًا إلا أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوة إيمان أبى بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صلى بنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصبح ثم أقبل على الناس بوجهه فقال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ أَعْيَا فَرَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِحِرَاثَةِ الْأَرْضِ». فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ الله سُبْحَانَ الله بَقَرَةٌ تَتَكَلَّمُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَمَا هُمَا ثَمَّ قَالَ: «وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمٍ لَهُ إِذْ جَاءَ الذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ مِنْهَا، فَأَدْرَكَهَا صَاحِبُهَا فَاسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ الذِّئْبُ: فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ يَوْمَ لَا رَاعِي لَهَا غَيْرِي؟» فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ الله ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَمَا هُمَا ثَمَّ» قَالَ سُفْيَانُ: وَحَدَّثَنَا مِسْعَرٌ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ»

[صحيح البخارى ومسلم].

إيمانه وإيمان عمر وزنا بالأمة فرجحا إيمانه:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ كَأَنَّمَا أُعْطِيتُ الْمَقَالِيدَ وَالْمَوَازِينَ، فَأَمَّا الْمَقَالِيدُ: فَهَذِهِ الْمَفَاتِيحُ، وَأَمَّا الْمَوَازِينُ: فَهَذِهِ الَّتِي يُوزَنُ بِهَا فَوُضِعْتُ فِي إِحْدَى الْكِفَّتَيْنِ، وَوُضِعَتْ أُمَّتِي فِي الْأُخْرَى، فَوُزِنْتُ فَرَجَحْتُ، ثُمَّ جِيءَ بِأَبِي بَكْرٍ، فَوُزِنَ فَوَزَنَهُمْ، ثُمَّ جِيءَ بِعُمَرَ، فَوُزِنَ فَوَزَنَهُمْ».

[صحيح رواه الإمام أحمد والطبرانى]

تقديم أبى بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فى حياة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد وفاته:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ مَرِضَ قَالَ: «**مُرُوا إِنْسَانًا يُصَلِّي بِالنَّاسِ**» قَالَتْ: فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ بْنِ زَمْعَةَ فَلَقِيَ عُمَرَ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَذَا وَكَذَا فَتَقَدَّمْ فَصَلِّ بِالنَّاسِ». قَالَ: فَذَهَبَ فَتَقَدَّمَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ فَسَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَهُ فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا؟**» فَقَالُوا: عُمَرُ. فَقَالَ: «**لَا يَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ**» قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ زَمْعَةَ: لَمْ يَكُنْ سَمَّانِي؟ قَالَ: لَا. قَالَ: «**فَلَامَهُ أَشَدَّ اللَّائِمَةِ وَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ**» [الشريعة للأجرى].

وعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ كَانَ كَشَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتْرَ الْحُجْرَةِ فَرَأَى أَبَا بَكْرٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ قَالَ فَنَظَرْتُ إِلَى وَجْهِهِ كَأَنَّهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ وَهُوَ يَتَبَسَّمُ، فَكِدْنَا أَنْ نُفْتَتَنَ فِي صَلَاتِنَا فَرَحًا بِرُؤْيَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَنْكُصَ قَالَ: فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ كَمَا أَنْتَ ثُمَّ أَرْخَى السِّتْرَ فَقُبِضَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ»[رواه البخارى ومسلم].

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: «**كَانَ قِتَالٌ بَيْنَ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَبَلَغَ النَّبِيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَأَتَاهُمْ بَعْدَ الظُّهْرِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمْ وَقَالَ: «يَا بِلَالُ إِنْ حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، وَلَمْ آتِ فَمُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ». قَالَ: فَلَمَّا حَضَرَتِ الْعَصْرُ أَقَامَ بِلَالٌ الصَّلَاةَ، ثُمَّ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ فَتَقَدَّمَ بِهِمْ»**

[صحيح البخارى ومسلم]

صلاة النبى ﷺ خلف أبى بكر الصديق رضي الله عنه:

عَنْ أَنَسٍ بن مالك أنه قَالَ: «آخِرُ صَلَاةٍ صَلَّاهَا النَّبِيُّ ﷺ مَعَ الْقَوْمِ، صَلَّى فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ مُتَوَشِّحًا بِهِ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه».

[صحيح رواه أحمد والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى]

صور من صدق أبو بكر رضي الله عنه

إخلاص أبوكر الصديق لربه: قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن بلال لما أسلم ذهب إلى الأصنام فلح عليها، وكان عبدًا لعبد الله بن جدعان فشكا إليه المشركون ما فعل، فوهبه لهم، ومائة من الإبل ينحرونها لآلهتهم، فأخذوه وجعلوا في الرمضاء وهو يقول: أحد أحد، فمر به رسول الله ﷺ: إن بلالًا يعذب في الله، فحمل أبوبكر رطلا من ذهب فابتاعه به، فقال المشركون: ما فعل أبو بكر ذلك إلا ليد كانت لبلال عنده، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [الليل: ١٩-٢٠].

[أسباب النزول للواجدي]

صدق أبو بكر في الهجرة مع رسول ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ» فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ الصَّحَابَةُ بِأَبِي

أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بِالثَّمَنِ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ قَالَتْ ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ فَكَمَنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ [صحيح البخاري].

ونزلت فيه آية عاتب الله تعالى الأمة إلا أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال تعالى:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

وعن أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا.

صدق أبو بكر الصديق في التوكل على الله وخروجه من جوار ابن الدغنة

سبب جوار ابن الدغنة لأبي بكر

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الهجرة فأذن له، فخرج أبو بكر مهاجرًا، حتى إذا سار من مكة يومًا أو يومين، لقيه ابن الدُّغُنَّة، أخو بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وهو يومئذ سيد الأحابيش.

فقال ابن الدُّغُنة: أين يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي وآذوني، وضيقوا عليَّ، قال: ولِمَ؟ فو الله إنك لتّزين العشيرة، وتعين على النوائب، وتفعل المعروف، وتُكسبُ المعدوم، ارجع فأنت في جواري، فرجع معه، حتى إذا دخل مكة، قام ابن الدُّغنة فقال: يا معشر قريش؛ إني قد أجرت ابن أبي قحافة، فلا يعرضنَّ له أحد إلا بخير، قالت: فكفوا عنه.

صدق أبوبكر وإنفاق كل ماله لنصرة الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَمَرَنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا فَقُلْتُ الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا قَالَ فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ**». قُلْتُ: مِثْلَهُ وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ قَالَ أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللهَّ وَرَسُولَهُ قُلْتُ وَاللهِّ لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا.

١٧- عمر بن الخطاب

فضائل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

دعاء النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعز الله الإسلام به:

عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَكَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى اللهِ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ**»

[صحيح بشواهد رواه الإمام أحمد والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» [الشريعة للأجرى].

أن الله عَزَّ وَجَلَّ جعل الحق على قلب عمر ولسانه:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللَّهَ** عَزَّ وَجَلَّ **جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ**».

[صحيح بشواهده رواه أحمد وأبو داود وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود]

وفى رواية قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللَّهَ** عَزَّ وَجَلَّ **جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ**» [صحيح رواه أحمد].

أن يكون فى الأمة محدثون لكان عمر

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَدْ كَانَ يَكُونُ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» [البخارى ومسلم].

وفى رواية قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ يَكُونُ فِي أُمَّتِي مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُنْ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» [صحيح البخارى ومسلم].

لو كان نبى بعد النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكان عمر

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ».

[حسن بشواهده رواه الإمام أحمد والترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع]

إخبار النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعلم والدين الذى أعطى عمر بن الخطاب

أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَجْرِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلَهُ عُمَرَ» قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «العِلْمُ» [صحيح البخارى ومسلم].

بشارة النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بما أعد الله عَزَّ وَجَلَّ له فى الجنة

عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَرُفِعَ لِي فِيهَا قَصْرٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَظَنَنْتُ أَنِّي أَنَا هُوَ فَقُلْتُ: مَنْ هُوَ؟ فَقَالُوا: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَا مَنَعَنِي أَنْ أَدْخُلَهُ إِلَّا غَيْرَتُكَ يَا أَبَا حَفْصٍ» قَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ وَهَلْ رَفَعَنِي اللهُ تَعَالَى إِلَّا بِكَ وَهَدَانِي؟ وَهَلْ مَنَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ إِلَّا بِكَ؟ قَالَ: وَبَكَى».

[صحيح رواه الإمام أحمد والترمذى وخرجه الألبانى فى صحيح الترمذى]

وفى رواية عن أبا هريرة قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَنْبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقَالَتْ: لِعُمَرَ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا » قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَبَكَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَعَلَيْكَ، بِأَبِي وَأُمِّي، يَا رَسُولَ اللهِ أَغَارُ؟» [مختصر صحيح البخارى].

الشيطان يفرُ من عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هيبة له

قال رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ الشَّيْطَانَ لَيَفْرَقُ مِنْكَ يَا عُمَرُ».

[رواه الإمام أحمد والترمذى وابن حبان وصححه الألبانى صحيح الجامع]

قال رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ قَدْ فَرِقُوا مِنْ عُمَرَ»

[رواه الترمذى وصححه الألبانى صحيح الجامع].

قال رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ» [مسند أحمد].

دين عمر

عن أبى سعيد الخدرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمُ الْقُمُصُ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ»، قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الدِّينُ»».

[مختصر صحيح البخارى]

مواقف من صدق عمر

قال أهل العلم: لما أسلم عمر عز الإسلام وهاجر جهرًا، وشهد بدرًا وأحدًا، والمشاهد كلها وهو أول خليفة دعى بأمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ للمسلمين وأول من جمع القرآن في المصحف، وأول من جمع الناس على صلاة التراويح، وأول من عس في عمله، وحمل الدرة وأدَّ بها، وفتح الفتوح، ووضع الخراج ومصَّر الأمصار، واستقضى القضاة، ودوَّن الديوان، وفرض الأعطية.

[صفة الصفوة]

اهتمامه برعيته

كان عمر يقول لو عثرت دآبة في العراق لسُئل عنها عمر.

وقال الإمام ابن الجوزي: عن الأوزاعي أن عمر بن الخطاب خرج في سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتًا ثم دخل بيتًا آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى، قال طلحة: ثكلتك أمك طلحة، أعثرات عمر تتبع؟

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: كان عمر يصوم الدهر، وكان زمان الرمادة إذا أمسى أتى بخبز قد ثرد في الزيت، إلى أن نحروا يومًا من الأيام جزورًا فأطعمها الناس وغرفوا طيبها، فأتى به فإذا قدر من سنام ومن كبد، فقال: أنى هذا؟ قالوا:

يا أمير المؤمنين من الجزور التى نحرناها اليوم قال: بخٍ بخٍ، بئس الوالي أنا إن أكلت أطيبها وأطعمت الناس كراديها، ارفع هذه الجفنة، هات لنا غير هذا الطعام، فأتى بخبز وزيت فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك الخبز، ثم قال: ويحك يا يرفأ، ارفع الجفنة حتى تأتي بها أهل بيت بثمغ، فإني لم آتهم منذ ثلاثة أيام، وأحسبهم مقفرين، فضعها بين أيديهم [صفة الصفوة].

قال أسلم مولى عمر بن الخطاب خرجتُ ليلة مع عمر إلى حرة (وهو المكان الممتلئ بالصخور والذي يصعب المشي عليه) وأقمنا حتى إذا كنا بصرار فإذا بنار فقال يا اسلم ها هنا ركب قد قصر بهم الليل انطلق بنا إليهم فأتيناهم فإذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيانها يبكون فقال عمر السلام عليكم يا أصحاب الضوء (وهذا من أدبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلم يحب إن يقول لهم السلام عليكم يا أهل النار) قالت وعليك السلام قال ادنو قالت ادن أو دع فدنا فقال ما بالكم قالت قصر بنا الليل والبرد قال فما بال هؤلاء الصبية يبكون قالت من الجوع فقال وأي شيء على النار قالت ماء أعللهم به حتى يناموا فقالت الله بيننا وبين عمر فبكى عمر ورجع يهرول إلى دار الدقيق فاخرج عدلا من دقيق وجراب شحم وقال يا أسلم احمله على ظهري فقلت إنا احمله عنك يا أمير المؤمنين فقال: أأنت تحمل وزري عني يوم القيامة فحمله على ظهره وانطلقنا إلى المرأة فألقى عن ظهره ووضع من الدقيق في القدر وألقى عليه من الشحم وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل

لحيته ساعة ثم أنزلها عن النار وقال أتني بصحفه (وهو ما يوضع فيه الأكل) فأتى بها فغرفها ثم تركها بين يدي الصبيان وقال كلوا فأكلوا حتى شبعوا والمرأة تدعوا له وهى لا تعرفه فلم يزل عندهم حتى نام الصغار ثم أوصى لهم بنفقة وانصرف ثم أقبل علي فقال يا أسلم الجوع الذي أسهرهم وأبكاهم.

***

١٨- عثمان بن عفان

فضائل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مواساة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بماله وتجهيزه لجيش العسرة

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَال: «جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ يَتَجَهَّزُ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَفِي كُمِّهِ أَلْفُ دِينَارٍ، فَصَبَّهَا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ وَلَّى، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَلِّبُهَا بِيَدِهِ فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذَا أَبَدًا» [حسن الترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح الترمذى].

أشد الأمة حياء

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَشَدُّ أُمَّتِي حَيَاءً عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ» [صحيح الجامع].

وفى رواية قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّ أَشَدَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا حَيَاءً عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ» [صحيح أبو نعيم فى فضائل الصحابة].

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَوَّى ثِيَابَهُ قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»

[صحيح مسلم].

بشرة النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة مع بلوى

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: «أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِي: «احْفَظِ الْبَابَ» فَجاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» فَإِذَا عُمَرُ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ، قَالَ: فَسَكَتَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى شَدِيدَةٍ تُصِيبُهُ» فَإِذَا عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ».

[صحيح البخارى ومسلم]

يا عثمان أفطر عندنا الليلة

عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أصبح يحدث الناس فقال: «يَا عُثْمَانُ، أَفْطِرْ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ» فَأَصْبَحَ صَائِمًا، ثُمَّ قُتِلَ مِنْ يَوْمِهِ.

مواقف من صدق عثمان بن عفان

جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَلْفِ دِينَارٍ فِي ثَوْبِهِ حِينَ جَهَّزَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ قَالَ فَصَبَّهَا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَلِّبُهَا بِيَدِهِ وَيَقُولُ: «مَا ضَرَّ ابْنُ عَفَّانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ يُرَدِّدُهَا مِرَارًا»

[حسن رواه الترمذي وحسنه الألباني].

وقال ثمامة بن حزن القشيري: شَهِدْتُ الدَّارَ وَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِصَاحِبَيْكُمُ الَّذِينَ أَلَّبَاكُمْ، فَدُعِيَا لَهُ، كَأَنَّهُمَا جَمَلَانِ أَوْ حِمَارَانِ، فَقَالَ: أَنْشُدُكُمَا اللهَّ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَلَيْسَ فِيهَا مَاءٌ عَذْبٌ غَيْرَ بِئْرِ رُومَةَ، فَقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِيهَا فَيَكُونُ دَلْوَهُ كَدِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَهُ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْهَا»

فَاشْتَرَيْتُهَا، وَأَنْتُمُ الْيَوْمَ تَمْنَعُونِي أَنْ أَشْرَبَ مِنْهَا حَتَّى أَشْرَبَ مِنَ الْمَاءِ الْمَالِحِ؟ قَالَا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: أَنْشُدُكُمَا اللهَ وَالْإِسْلَامَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْمَسْجِدَ ضَاقَ بِأَهْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يَشْتَرِي بُقْعَةً بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ**» فَاشْتَرَيْتُهَا وَزِدْتُهَا فِي الْمَسْجِدِ، وَأَنْتُمْ تَمْنَعُونِي الْيَوْمَ أَنْ أُصَلِّيَ فِيهَا؟ قَالَا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: أَنْشُدُكُمَا اللهَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَى ثَبِيرِ مَكَّةَ، فَتَحَرَّكَ وَعَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَنَا، فَقَالَ: «**اسْكُنْ فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**»؟ قَالَا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ؛ شَهِدَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ أَنِّي شَهِيدٌ [سير أعلام النبلاء].

❊ ❊ ❊

١٩- علي بن أبي طالب

فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

محبة الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوم خيبر: «لَأَدْفَعَنَّ الرَّايَةَ إِلَى رَجُلٍ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ الله عَلَيْهِ»، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَمَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ، فَتَطَاوَلْتُ لَهَا وَاسْتَشْرَفْتُ رَجَاءَ أَنْ يَدْفَعَهَا إِلَيَّ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، دَعَا عَلِيًّا، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «قَاتِلْ، وَلَا تَلْتَفِتْ حَتَّى يُفْتَحَ عَلَيْكَ» [صحيح مسلم].

منزلة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عن سعد بن أبي وقاص يقول: أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُشَيِّعُهُ قَالَ: فَخَرَجَ عَلِيٌّ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهُ قَالَ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، غَيْرَ أَنَّهُ لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ» [صحيح البخاري ومسلم].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنْتَ مِنِّي، وَأَنَا مِنْكَ».

[صحيح رواه البيهقي وصححه الألباني صحيح الجامع]

من أحب عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَمَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ اللهَ» [صحيح رواه الحاكم].

من كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مولاه فعلى مولاه

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ».

[صحيح رواه الإمام أحمد وغيره وصححه الألباني صحيح الجامع]

من آذى عليا قد آذى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي».

[صحيح رواه الإمام أحمد وغيره وصححه الألباني صحيح الجامع]

لا يحب على أبى طالب إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ».

[صحيح رواه الترمذى والنسائى وصححه الألبانى صحيح الجامع]

أشقى رجل من قتل على بن أبى طالب

عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ألا أحدثكم بأشقى الناس؟ رجلين: أحيم ثمود الذى عقر الناقة، والذى يضربك ياعلى هذه حتى يبل منها هذه».**

[رواه الطبرانى وصححه الألبانى صحيح الجامع]

قال المناوي:

واعلم أن هذا الحديث من معجزات المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه إخبار عن غيب وقع، وذلك أنه لما كانت ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين استيقظ عليٌّ سحرًا فخرج من الباب ينادى الصلاة الصلاة فاعترضه ابن ملجم فضربه بالسيف

فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل لدماغة، فشد عليه الناس من كل جانب فأمسك وأوثق، وأقام عليٌّ الجمعة والسبت وانتقل إلى رحمة الله ليلة الأحد.

صور من صدق علي بن أبي طالب

فقد شهد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما عدا غزوة تبوك، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ خَلَّفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ تُخَلِّفُنِي فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**» [صحيح البخاري ومسلم].

وروى أنه نام مكان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فراشه عندما هاجر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* * *

٢٠- سعد بن أبي وقاص

فضائل سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا خَالِي، فَلْيُرِنِي امْرُؤٌ خَالَهُ».

[صحيح الترمذي والحاكم وصححه الألباني]

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعد بن أبي وقاص: «يَا سَعْدُ ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» [صحيح البخاري].

وهو من العشر المبشرين بالجنة.

وعن سعيد بن زيد قال، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ فِي الْجَنّ» [صحيح الجامع].

صور من صدق سعد بن أبي وقاص

عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، أنه نزلت فيه آيات من القرآن، قال: «حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ، قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَثَتْ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةُ، فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ»: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى﴾ [العنكبوت: ٨]، وَفِيهَا ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

وفي رواية عن سعد قال: أنزلت فيَّ هذه الآية: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ [العنكبوت: ٨].

قال: كنت رجلًا بارًا بأمي، فلما أسلمتُ قالت: يا سعد ما هذا الدين الذي قد أحدثتُ؟ لتدعنَّ دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت، فتعير بي فيقال: يا قاتل أمه، قلتُ: لا تفعلي يا أمي فإني لا أدع ديني هذا لشيء، قال: فمكثت يومًا لا تأكل فأصبحت قد جهدت، قال: فمكثت يومًا آخر وليلة لا تأكل، فأصبحت وقد اشتد جهدها، قال: فلما رأيت ذلك قلت: تعلمين والله يا أمي لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا وراء ما تركت ديني هذا لشيء، إن شئت فكلي وإن شئتِ فلا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت، فأنزلت هذه الآية ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾.

* * *

٢١- الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فضائل الزبير بن العوام

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**».

[صحيح البخاري]

ومعنى حواري: وزيرًا أو ناصرًا.

وفي رواية قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أو حواريَّ من أمتي**».

[صحيح رواه الإمام أحمد وصححه الألباني صحيح الجامع]

وهو من العشر المبشرين بالجنة كما فى حديث سعيد بن زيد.

صور من صدق الزبير ب العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن الأسود قال: أسلم الزبير بن العوام ابن ثماني سنين، وكان عم الزبير يعلق الزبير في حصير ويدخن عليه بالنار وهو يقول: ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبدًا.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

قالت كان أبو بكر والزبير منهم.

وعن جويرية قالت: باع الزبير دار له بستمائة ألف، قال: فقيل له: يا أبا عبد الله غبنت، قال: كلا والله، لتعلمن أني لم أعنت، هي في سبيل الله.

وعن علي بن زيد قال: أخبرني من رأى الزبير وإن في صدره مثل العيون، من الطعن والرمى.

وقيل أنه أول من سل سيفًا في سبيل الله.

[صفة الصفوة]

❊ ❊ ❊

٢٢- أبو عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فضائل أبو عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن أنس بن مالك أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ» [صحيح البخاري].

وفي رواية: أن أهل اليمن لما قدموا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سألوه أن يبعث معهم رجلا يعلمهم السنة والإسلام فأخذ بيد أبي عبيدة بن الجراح فقال: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ» [صحيح البخاري]

قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ» [صحيح الجامع].

وعن عمر بن الخطاب أنه قال لأصحابه: تمنوا، فقال رجل: أتمنى لو أن لي هذه الدار مملوءة ذهبا أنفقه في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، ثم قال: تمنوا فقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤا وزبرجدًا أو جواهر أنفقه في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، وأتصدق به، ثم قال: تمنوا، فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين، فقال عمر: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة رجالا مثل أبي عبيدة بن الجراح.

صور من صدق أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أسلم مع عثمان بن مظعون وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، ثبت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد ونزع يومئذ بفيه الحلقتين اللتين دخلتا في وجنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حلق المغفر، فوقعت ثنيتاه فكان من أحسن الناس هتمًا [صفة الصفوة].

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: لما قدم عمر الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة، قالوا: الآن يأتيك، فلما أتاه نزل فاعتنقه، ثم دخل عليه بيته، فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله، فقال له عمر: ألا اتخذت ما اتخذ أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين هذا يبلغني المقيل.

[رواه أحمد]

* * *

٢٣- حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فضائل حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ، فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ، فَقَتَلَهُ**» [سير أعلام النبلاء].

صور من صدق حمزة بن عبد المطلب

قال محمد بن كعب القرظي: قال أبوجهل في رسول الله، فبلغ ذلك حمزة فدخل المسجد مغضبًا، فضرب رأس أبي جهل بالقوس ضربة أوضحته، وأسلم حمزة فعز به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون، وذلك في السنة من النبوة بعد دخول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [صفة الصفوة].

وعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَقَفَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى حَمْزَةَ وَقَدْ جُدِعَ وَمُثِّلَ بِهِ، فَقَالَ: «**لَوْلَا أَنْ تَجِدَ صَفِيَّةُ فِي نَفْسِهَا، لَتَرَكْتُهُ حَتَّى يَحْشُرَهُ اللَّهُ مِنْ بُطُونِ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ**». وَكُفِّنَ فِي نَمِرَةٍ إِذَا خُمِّرَ رَأْسُهُ، بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا خُمِّرَتْ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الشُّهَدَاءِ، وَقَالَ: أَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَكَانَ يَجْمَعُ الثَّلَاثَةَ فِي قَبْرٍ، وَالِاثْنَيْنِ فَيَسْأَلُ: «**أَيُّهُمَا أَكْثَرُ قُرْآنًا، فَيُقَدِّمُهُ فِي اللَّحْدِ، وَكَفَّنَ الرَّجُلَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي ثَوْبٍ**» [سير أعلام النبلاء].

قصة قتل حمزة بن عبد المطلب

حَضَرَ حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما استطاع من غزوات مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منها: غزوة بَدْر، ثمّ كان استشهاده في غزوة أُحُد، ومن الجدير بالذكر أنَّ غزوة أُحُد وقعت في شهر شوّال من السنة الثالثة للهجرة، حين تقابل المسلمون، والمشركون على أطراف المدينة، وحضر سيّد الشُّهداء حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسيفَيْن يقاتل بهما في سبيل الله، وهو يقول: أنا سيف الله، وفي رواية عنه أنَّه كان يُسَيِّر خَيلَه برُكبتيْه، ويحمل سيفاً باليمين، وسيفاً باليسار. في رواية للبخاريّ، ورد أنّ حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَتَلَ رجلاً في بَدْر هو طُعَيْمَة بن عَدِيٍّ بن الخِيار، فَرَغِبَ ابن أخيه في الانتقام له، وهو جُبير بن مطعم، فأرسل في غزوة أُحُد عبده المُسمّى ب(وَحْشيّ)، وحَمَّله مهمّة واحدة، هي قَتْل حمزة، ووَعَدَه إنْ هو قَتَلَ حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنْ يُعتِقَه، ويمنحه حُرّيته، فأقبل وحشيّ لا يَنْوي على شيء سِوى قَتل حمزة؛ لينال به الحرّية، ويروي وحشيّ تفاصيل قَتله لحمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيقول فيها: إنَّه كان يراقبه منذ بداية أحداث المعركة؛ حتى يقتلَه، فوجده شجاعاً كالسَّبع، يَهِدّ بسيفه مَنْ يلقى من المشركين، فَكَمَنَ له وحشيّ خلف صخرة ينتظره، حتى إذا اقترب منه حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرسل إليه سَهْمَه، فدخل في ثنته (أسفل البطن)، وخرج من بين وِركيْه، فَخَرَّ شهيداً. وبالرغم من استشهاد حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إلَّا أنَّ غَيْظ المشركين، وحنقهم على المسلمين كان شديداً، فأقبلوا يُمَثِّلون بجُثَثِ الشُّهداء، ومنهم جُثّة حمزة سيّد الشُّهداء؛ فَجَدَعوا أنفه، وقطعوا أُذنَه، وبَقَرُوا بطنه، وقد حَزِن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُزناً شديداً على عَمِّه، إذْ رآه على

هذا الحال، وقد كان يُحبّه كثيرًا، ولمَّا رأى المسلمون حُزْن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا: والله لَئِن أظفرنا الله بهم يومًا من الدَّهر، لنُمَثِّلنَّ بهم مُثْلةً لم يُمثّلها أحدٌ من العرب، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [النحل: ١٢٦].

فعَفا النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك، وصَبَرَ، ونهى عن التمثيل بالقتلى.

* * *

٢٤- الأرقم بن أبي الأرقم بن أسد

يكني أبا عبد الله، أسلم بعد ستة نفر وكانت داره على الصفا بمكة، وفيها استتر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعا الناس فيها إلى الإسلام وتصدق بها الأرقم على ولده، فلم يزل المنصور يرغب ولده في المال، حتى باعوه إياها ثم أعطاها المهدي الخيزران.

وشهد الأرقم بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها، وتوفي ابن بضع وثمانين سنة في سنة خمس وخمسين بالمدينة وصلي عليه سعد بن أبي وقاص [صفة الصفوة].

* * *

٢٥- سعد بن خثيمة بن الحارث

يكني أبا عبد الله، أحد نقباء الأنصار الأثنى عشر، شهدا العقبة الأخيرة مع السبعين، ولما ندب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ الناس إلى غزوة بدر قال له أبوه خثيمة: إنه لابد لأحدنا أن يقيم، فآثرني بالخروج وأقم مع نسائك، فأبى سعد وقال: لو كان غير الجنة آثرتك به، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا.

فاستهما فخرج سهم سعد مخرج فقُتل ببدر [صفة الصفوة].

* * *

٢٦-٢٧- الغلامان البطلان

معاذ بن عمر ومعوذ بن عفراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

إنهما فتيان من أبناء الصحابة، بلغهما أن أبا جهل كان يسبُّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعزما على قتله، انتصارًا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال عبد الرحمن بن عوف: إني لفي الصف يوم بدر، إذ التفتُّ فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأنِّ لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سرًا من صاحبه: يا عم، أرني أبا جهل. فقلت: يا بن أخي، فما تصنع به؟ قال: أُخبرتُ أنه يسبّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجّبت لذلك. قال: وغمز لي الآخر، فقال لي مثلها. فلن أنشب أن نظرت إلى أبي جهل فقلت: هذا صاحبكما! فابتَّدَراه بسيفهما وابن مسعود نفسه أسلم وكان عمره دون العشرين، وكان ضئيل الجسم، ذكي العقب، زكي النفس، وملازمًا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ملتزمًا بسنّته .. وكان من فقهاء الصحابة.

* * *

٢٨- سلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

هو روزبه أو مأبه بن يوذخشان، من منطقة أصفهان في إيران، أما قصة إسلامه فرواها هو، حيث كان سلمان رجلًا فارسيًا من أصفهان وكان هو ابن ذهقان القرية، ومن شدة حب أبيه له حبسه في المنزل ومنعه من الخروج، وكان متدينًا بالدين المجوسي ومن شدة مكانته وعلوها كان هو "قطن النار" أي من يوقد النار. وذات يوم مر من أمام كنيسة للنصارى، وسمع أصواتاً منها، حيث كان الناس فيها يصلون، حيث اندهش من هذه الصلاة، فلم يكن يعرفها، وذلك بسبب حبس أبوه له، فأعجب بالصلاة وبهذا الدين، فقضى وقتاً طويلاً بالكنيسة، فلما رجع إلى بيته أخبر أباه بما ورأى وأخبره بنيته باعتناق هذا الدين، فرفض أبوه الفكرة، فأصر سلمان، فما كان من أبيه إلا أن ربطه وقيده حتى لا يخرج ويتنصر. وكان قد سأل من رآهم في الكنيسة عن أصل دينهم فأخبروه أنه في الشام، فطلب منهم أن يبعثوا إليه عندما يقدم وفد عليهم من الشام. وفعلاً قدم وفد من الشام وعلم بقدومهم واستطاع الإفلات وهرب من حبسه معهم. وصل سلمان إلى الشام، وسأل عن أفضل عالم بهذا الدين، فدلوه على أسقف نصراني، فأخبره بنيته باعتناق دينه، وبنيته أن يخدمه ويتعلم منه تعاليم هذا الدين. وفعلاً بدأ سلمان يتعلم من هذا الأسقف، وعلى عكس المتوقع فقد كان هذا الأسقف رجلًا سيئًا لصًا محتالًا يأخذ أموال الناس بالباطل وباسم الدين – وما أكثر هؤلاء الناس فهم موجودون بكل زمان

ومكان وهم ليسوا حكرًا على دين معين بل موجودون في كل الأديان والملل -، فكرهه سلمان لأفعاله المشينة، والتي قد تشوه صورة دينه قبل صورته -، فمات هذا الأسقف، وعندما اجتمع الناس عليه، فدلهم سلمان على المكان الذي كان يخبئ فيه أموالهم، وكشف سره للناس. بعدها جاء أسقف جديد للكنيسة وكان هذا الأسقف الجديد رجلاً صالحاً زاهدًا عابدًا فأحبه سلمان حبًا شديدًا وتعلق به كثيرًا، وأقام معه مدة طويلة، ولما اقتربت منية هذا الأسقف، فأوصاه الأسقف بأن يذهب إلى الموصل، فإن فيها رجلاً ما بدلت أخلاقه ولا تغيرت صفاته، فقد بقي متدينًا خلوقًا على عكس كل الناس الذين عرفهم هذا الأسقف. وذهب سلمان مرة أخرى إلى الموصل ليلتحق بهذا الرجل، وعندما وصل استدل على مكانه وأقام عنده، فوجده كما وصفه صاحبه رجلًا صالحًا، وعندما اقتربت وفاته هو الآخر، أوصاه بالإلتحاق برجل آخر بنصيبين هو الآخر متدين وصالح وما بدل ولا تغير، فلما توفي التحق سلمان بهذا الرجل وأقام عنده، فوجده خيرا صالحًا، ثم عندما اقتربت وفاته أوصاه بالإلتحاق برجل في عمورية صالح وعابد فالتحق به سلمان، وفي عمورية كسب سلمان بعض البقرات والأغنام عن طريق العمل، وعندما اقتربت وفاة رجل عمورية الصالح، سأله سلمان: إلى من توصي بي، فأخبره أنه لم يعد يعرف رجلًا صالحًا على مثل ما كان عليه هو ومن قبله، وأخبره أيضًا أنه قد أتى زمان نبي على دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأخبره أنه سيخرج من بين العرب وعلى أرضهم، وأعطاه صفاته وهي أنه لا يقبل الصدقات لنفسه ولكنه يقبل الهدايا، وأخبره أيضًا أن هناك

خاتماً للنبوة بين كتفيه. مات الرجل الصالح، وبعد مدة من الزمن قدم وفد من العرب إلى عمورية للتجارة، فطلب منهم أن يأخذوه معهم مقابل ما اكتسبه من الغنم والبقر، فوافقوا، وعندما وصولوا إلى منطقة وادي القرى، غدر القوم به، فباعوه إلى رجل يهودي، فأخذه اليهودي معه عبدًا، فبقي عنده، وكان يرى النخيل في المنطقة، وفي قرارة نفسه كان يتمنى أن يكون قد وصل المكان الذي أخبره عنه رجل عمورية الصالح قبل وفاته. وذات يوم قدم على اليهودي رجل من بني قريظة وكان قريبًا له، فاشترى سلمان من هذا اليهودي، وأخذه إلى المدينة المنورة – يثرب –، فعرفها مباشرة من وصف الرجل الذي كان مقيماً عنده في عمورية، وعرفها من الحرتين، بعدها بعث محمد في مكة، ولكنه لم يعلم بأخباره بسبب حالة العبودية التي كان عليها إلى أن هاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة المنورة، فبينما كان يعمل إذ سمع رجلاً يشتم الانصار بسبب اجتماعهم مع رجل قدم من مكة المكرمة معتقدين أنه نبي مرسل من عند الله، ولقد سمع سلمان هذا القول وهو فوق نخلة، فأقبل على السقوط عنها عندما سمع هذا القول، وأقبل على هذا الرجل الذي سمع منه هذا الكلام وأمسكه وهزه وهو يقول له: ماذا تقول؟ أعد ماذا قلت؟ فضربه سيده ضربة قوية بسبب غضبه من تصرف سلمان آنذاك. وعندما جاء الليل جمع ما جمعه من طعام وأخذخ وذهب به ليقابل النبي محمدًا، وكان في نية سلمان أن يتأكد من العلامات التي قالها الرجل الصالح، فجلس بين يدي رسول الله أول مرة، وبدأ باختباره والتأكد من العلامات، فقدم إليه الطعام على أنه صدقة، وبرر له ذلك

بأنه أراد أن يطعمه لأنه يعلم أنه قادم من سفر وهو متعب، فلم يأكل منه الرسول ووزعه على أصحابه ومن كانوا معه. فعاود سلمان تقديم الطعام له على أنه هدية عندها أكل منه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هنا تأكد سلمان الفارسي من علامتان، وبقيت الثالثة. توافقت الأقدار أن يموت رجل من المسلمين، وكان رسول الله فيها، حيث كان الدفن في مقبرة البقيع، فبينما كان الرسول جالسًا إذ أقبل سلمان وسلم عليه وبدأ بالدوران حول الرسول، ففهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذكائه الشديد وفطنته وسرعة بديهته أنه يريد أن يرى شيئًا معينًا، فالقى الرسول عن كتفيه الشملة، فظهر الخاتم واضحًا، وفور رؤية سلمان لمنظر الخاتم وتأكده منه، انكب على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مقبلاً له وهو يبكي، فأخبر الرسول بقصته كاملة، وكان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مهتمًا بأن يسمع أصحابه أيضًا القصة كاملة أيضًا. ولم يشهد سلمان لا معركة بدر ولا معركة أحد بسبب حالة العبودية التي كان عليها، ولم يعجب هذا الحال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث كان يرغب بأن يكون سلمان قريباً منه ومن إخوانه المسلمين، فأمره بأن يتفاوض مع سيده على عبوديته، فاتفق هو وسيده على الفدية المطلوبة، وساعده الرسول بتأديتها، فأعطاه بيضة من ذهب كانت قد أهديت إلى الرسول. وهكذا تحرر سلمان من العبودية، وانطلق ساعيًا في رحلة حياته.

* * *

٢٩- عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فضائله: عن نافع قال: قال لي عبد الله بن عمر: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ فِي يَدِي سَرَقَةً مِنْ حَرِيرٍ لَا أَهْوِي بِهَا إِلَى مَكَانٍ فِي الْجَنَّةِ إِلَّا طَارَتْ بِي إِلَيْهِ فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**إِنَّ أَخَاكِ رَجُلٌ صَالِحٌ أَوْ قَالَ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ**» [صحيح مسلم].

صور من صدقه

أسلم بمكة مع أبيه، ولم يكن بالغًا حينئذ وهاجر مع أبيه إلى المدينة وعن نافع ابن عمر أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَضَهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يُجِزْهُ وَعَرَضَهُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً فَأَجَازَهُ [صحيح البخاري].

كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا فَأَقُصَّهَا عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ النَّارِ قَالَ فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ لِي لَمْ تُرَعْ فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ الله لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنْ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا**».

[صحيح البخاري مسلم]

وعن نافع قال: دخل ابن عمر الكعبة فسمعته وهو ساجد يقول: قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك.

وعن عروة قال: سئل ابن عمر عن شيء فقال: لا علم لي به، فلما أدبر الرجل قال لنفسه: سئل ابن عمر عم لا علم له به، فقال لما لا علم لي به.

وعن نافع أن رجلا سأل ابن عمر عن مسألة فطاطأ رأسه ولم يجبه، حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسألته، فقال له: يرحمك الله أما سمعت مسألتي؟ قال: بلى. ولكنكم كأنكم ترون أن الله ليس بسائلنا عما تسألونا عنه، اتركنا يرحمك الله حتى نتفهم في مسألتك، فإن كان لها جواب عندنا وإلا أعلمناك أنه لا علم لنا به.

وعن عائشة قالت: ما رأيت أحدًا ألزم للأمر الأول من عبد الله بن عمر.

وعن إبراهيم قال: قال عبد الله بن مسعود إن أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر.

❊ ❊ ❊

٣٠- جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أمه فاطمة بنت أسد، وكان أسن من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعشر سنين، أسلم قديمًا وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية ومعه امرأته أسماء، فلم يزل هنالك حتى أُتِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ فَقِيلَ لَهُ: قَدِمَ جَعْفَرٌ مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ، قَالَ: «مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أَفْرَحُ؟ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ أَوْ بِفَتْحِ خَيْبَرَ؟ ثُمَّ تَلَقَّاهُ فَالْتَزَمَهُ وَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ» [صفة الصفوة].

وقد ذكرنا قصة الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة سابقًا.

وفاة جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قتل جعفر بن أبي طالب بمؤتة سنة ثمان من الهجرة.

عن ابن عمر قال: وجدنا فيما أقبل من بدن جعفر ما بين منكبيه تسعين ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف.

وعن أنس بن مالك أن النبي نعى جعفرًا وزيدًا، نعاهما قبل أن يجيء خبرهما وعيناه تذرفان.

قال أبو قتادة: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشَ الْأُمَرَاءِ وَقَالَ عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فجَعْفَرٌ فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ فَوَثَبَ جَعْفَرٌ فَقَالَ بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللهِ وَأُمِّي مَا كُنْتُ أَرْهَبُ أَنْ تَسْتَعْمِلَ عَلَيَّ زَيْدًا

قَالَ: امْضُوا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ خَيْرٌ قَالَ فَانْطَلَقَ الْجَيْشُ فَلَبِثُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَابَ خَيْرٌ أَوْ ثَابَ خَيْرٌ شَكَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا الْغَازِي إِنَّهُمْ انْطَلَقُوا حَتَّى لَقُوا الْعَدُوَّ فَأُصِيبَ زَيْدٌ شَهِيدًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَشَدَّ عَلَى الْقَوْمِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا أَشْهَدُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأَثْبَتَ قَدَمَيْهِ حَتَّى أُصِيبَ شَهِيدًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ الْأُمَرَاءِ هُوَ أَمَّرَ نَفْسَهُ فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُصْبُعَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ فَانْصُرْهُ وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَرَّةً فَانْتَصِرْ بِهِ فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ خَالِدٌ سَيْفَ اللهِ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «انْفِرُوا فَأَمِدُّوا إِخْوَانَكُمْ وَلَا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ» فَنَفَرَ النَّاسُ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ مُشَاةً وَرُكْبَانًا.

[رواه الإمام أحمد]

وعن أبي هريرة قال: كان جعفر يحب المساكين ويجلس إليهم، ويحدثهم ويحدثونهم وكان رسول الله يسميه أبا المساكين.

وكان جعفر يقول:

يَا حَبَّذَا الْجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا ... طَيِّبَةٌ وَبَارِدٌ شَرَابُهَا

وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا ... عَلَيَّ إِنْ لَاقِيتُهَا ضِرَابُهَا

وَعَنْ أَسْمَاءَ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَدَعَا بَنِي جَعْفَرٍ، فَرَأَيْتُهُ شَمَّهُمْ، وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَبْلَغَكَ عَنْ جَعْفَرٍ شَيْءٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، قُتِلَ الْيَوْمَ. فَقُمْنَا نَبْكِي، وَرَجَعَ، فَقَالَ: اصْنَعُوا لِآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا؛ فَقَدْ شُغِلُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ**».

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا جَاءَتْ وَفَاةُ جَعْفَرٍ، عَرَفْنَا فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ الْحُزْنَ.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**رَأَيْتُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ مَلَكًا فِي الْجَنَّةِ، مُضَرَّجَةً قَوَادِمُهُ بِالدِّمَاءِ، يَطِيرُ فِي الْجَنَّةِ**».

[سير أعلام النبلاء]

❊ ❊ ❊

٣١- زيد بن حارثة بن شراحيل

الأمير الشهيد النبوي، المسمى في سورة الأحزاب، أبو أسامة الكلبي، ثم المحمدي، سيد الموالي، وأسبقهم إلى الإسلام، وحبُّ رسول الله، وأبو حَبِّهِ، وما أحب رسول الله إلا طيبًا، ولم يُسَم الله تعالى في كتابه صحابيًا باسمه إلا زيد بن حارثة.

وعن أسلم عن أبيه، قال: كُنَّا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد فنزلت: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ [الأحزاب: ٥].

وقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ: «**يَا زَيْد، أَنْتَ مَوْلَايَ، وَمِنِّي وَإِلَيَّ، وَأَحَبُّ الْقَوْمِ إِلَيَّ**».

وعن ابْنَ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أَمَّرَ أُسَامَةَ عَلَى قَوْمٍ، فَطَعَنَ النَّاسُ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ: «**إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ، فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ، وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ ابْنَهُ هَذَا لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ**».

وقال ابن عمر: فرض عمر لأسامة بن زيد أكثر مما فرض لي، فكلَّمته في ذلك، فقال: إنه كان أحبَّ إلى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ منك، وإن أباه كان أحبَّ إلى رسول الله من أبيك.

عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَاسْتَقْبَلَتْنِي جَارِيَةٌ شَابَّةٌ. فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتَ؟ قَالَتْ: أَنَا لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ**».

وقتل زيد في غزوة مؤتة في جمادي الأولى سنة ثمان، وهو ابن خمس وخمسي سنة، وقد ذكرنا قصة استشهاده في قصة جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[صفة الصفوة وسير أعلام النبلاء]

* * *

٣٢- حارثة بن النعمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

يكني أبا عبد الله، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال حارثة: رأيت جبريل مرتين! حين خرج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بني قريظة مر بنا في صورة دحيه، ويوم موضع الجنائز رجعنا من حنين، مررت وهو يكلم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال جبريل: من هذا؟ قالوا: حارثة، قال لو سلم لرددنا عليه.

[حسن أخرجه ابن سعد]

وعن عائشة قالت: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نِمْتُ فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ فَقُلْتُ**: **مَنْ هَذَا؟**» قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَذَاكَ الْبِرُّ كَذَاكَ الْبِرُّ**» وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ [صفة الصفوة].

***

٣٣- خالد بن الوليد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

ابن المغيرة سيف الله تعالى، وفارس الإسلام، وليث المشاهد، السيد الإمام الأمير الكبير قائد المجاهدين، أبو سليمان القرشي المخزومي المكي، وابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث.

هاجر مسلمًا في سنة ثمان، ثم سار غازيًا، فشهد غزوة مؤتة، واستشهد أمراء رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الثلاثة: مولاه زيد، وابن عمه جعفر ذو الجناحين، وابن رواحه، وبقى الجيش بلا أمير، فتأمر عليهم في الحال خالد، وأخذ الراية، وحمل على العدو، وكان النصر، وسماه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: سيف الله، فقال: «إِنَّ خَالِدًا سَيْفٌ سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ»، وَشَهِدَ الْفَتْحَ وَحُنَيْنًا، وَتَأَمَّرَ فِي أَيَّامِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَاحْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَلأْمَتَهُ فِي سَبِيلِ الله، وَحَارَبَ أَهْلَ الرِّدَّةِ، وَمُسَيْلِمَةَ، وَغَزَا الْعِرَاقَ، وَاسْتَظْهَرَ، ثُمَّ اخْتَرَقَ الْبَرِّيَّةَ السَّمَاوِيَّةَ بِحَيْثُ إِنَّهُ قَطَعَ الْمَفَازَةَ مِنْ حَدِّ الْعِرَاقِ إِلَى أَوَّلِ الشَّامِ فِي خَمْسِ لَيَالٍ فِي عَسْكَرٍ مَعَهُ، وَشَهِدَ حُرُوبَ الشَّامِ، وَلَمْ يَبْقَ فِي جَسَدِهِ قَيْدُ شِبْرٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ طَابَعُ الشُّهَدَاءِ.

وَمَنَاقِبُهُ غَزِيرَةٌ، أَمَّرَهُ الصِّدِّيقُ عَلَى سَائِرِ أُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ، وَحَاصَرَ دِمَشْقَ فَافْتَتَحَهَا هُوَ وَأَبُو عُبَيْدَةَ .

عَاشَ سِتِّينَ سَنَةً وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَبْطَالِ، وَمَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ، فَلَا قَرَّتْ أَعْيُنُ الْجُبَنَاءِ .

تُوُفِّيَ بِحِمْصَ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَمَشْهَدُهُ عَلَى بَابِ حِمْصَ عَلَيْهِ جَلَالَةٌ.

عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: مَا عَدَلَ بِي رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِخَالِدٍ أَحَدًا فِي حَرْبِهِ مُنْذُ أَسْلَمْنَا.

عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فَقَدَ قَلَنْسُوَةً فَقَالَ: اعْتَمَرَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَلَقَ رَأْسَهُ، فَابْتَدَرَ النَّاسُ شَعْرَهُ فَسَبَقْتُهُمْ إِلَى نَاصِيَتِهِ فَجَعَلْتُهَا فِي هَذِهِ الْقَلَنْسُوَةِ، فَلَمْ أَشْهَدْ قِتَالًا وَهِيَ مَعِي إِلَّا رُزِقْتُ النَّصْرَ.

عَنْ قَيْسٍ، سَمِعْتُ خَالِدًا يَقُولُ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ مُؤْتَةَ انْدَقَّ فِي يَدِي تِسْعَةُ أَسْيَافٍ ، فَصَبَرَتْ فِي يَدِي صَفِيحَةٌ يَمَانِيَةٌ .

ابْنُ عُيَيْنَةَ: عَنِ ابْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ مَوْلًى لِآلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، أَنَّ خَالِدًا قَالَ: مَا مِنْ لَيْلَةٍ يُهْدَى إِلَيَّ فِيهَا عَرُوسٌ أَنَا لَهَا مُحِبٌّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ، كَثِيرَةِ الْجَلِيدِ فِي سَرِيَّةٍ أُصَبِّحُ فِيهَا الْعَدُوَّ.

قَالَ قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ: سَمِعْتُ خَالِدًا يَقُولُ: مَنَعَنِي الْجِهَادُ كَثِيرًا مِنَ الْقِرَاءَةِ وَرَأَيْتُهُ أُتِيَ بِسُمٍّ، فَقَالُوا: مَا هَذَا؟ قَالُوا: سُمٌّ. قَالَ: بِاسْمِ اللهِ. وَشَرِبَهُ. قُلْتُ: هَذِهِ وَاللهِ الْكَرَامَةُ، وَهَذِهِ الشَّجَاعَةُ.

وقال ابن عون: ولى عُمر، فقال: نزل عن خالدًا حتى يعلم أنَّ الله إنَّما ينصر دينه.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ: عَزَلَ عُمَرُ خَالِدًا فَلَمْ يُعْلِمْهُ أَبُو عُبَيْدَةَ حَتَّى عَلِمَ مِنَ الْغَيْرِ. فَقَالَ: يَرْحَمُكَ اللهُ; مَا دَعَاكَ إِلَى أَنْ لَا تُعْلِمَنِي؟ قَالَ: كَرِهْتُ أَنْ أُرَوِّعَكَ.

وَعَنْ أَبِي الزِّنَادِ: أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ لَمَّا احْتُضِرَ بَكَى وَقَالَ: لَقِيتُ كَذَا وَكَذَا زَحْفًا، وَمَا فِي جَسَدِي شِبْرٌ إِلَّا وَفِيهِ ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ، أَوْ رَمْيَةٌ بِسَهْمٍ، وَهَا أَنَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي حَتْفَ أَنْفِي كَمَا يَمُوتُ الْعِيرُ فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجُبَنَاءِ.

[سير أعلام النبلاء]

❋ ❋ ❋

٣٤- أبو دجانة سماك بن خرشة

ابن لوذان، شهد بدرًا وأحدًا وثبت مع رسول الله ﷺ يومئذٍ وبايعه على الموت، وقتل يوم اليمامة، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: «**مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ فَأَخَذَهُ قَوْمٌ فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَقَالَ مَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ فَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكٌ أَنَا آخُذُ بِحَقِّهِ فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ هَامَ الْمُشْرِكِينَ**».

[صحيح مسلم]

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: رَمَى أَبُو دُجَانَةَ بِنَفْسِهِ يَوْمَ الْيَمَامَةِ إِلَى دَاخِلِ الْحَدِيقَةِ ، فَانْكَسَرَتْ رِجْلُهُ ، فَقَاتَلَ وَهُوَ مَكْسُورُ الرَّجُلِ حَتَّى قُتِلَ رضي الله عنه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ، افْتَخَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ بِأَيَّامِهِمْ، وَطَلْحَةُ سَاكِتٌ لَا يَنْطِقُ، وَسِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ سَاكِتٌ لَا يَنْطِقُ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ رَأَى سُكُوتَهُمَا: «**لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أُحُدٍ وَمَا فِي الْأَرْضِ قُرْبِي مَخْلُوقٌ غَيْرُ جِبْرِيلَ عَنْ يَمِينِي، وَطَلْحَةَ عَنْ يَسَارِي**».

وَكَانَ سَيْفُ أَبِي دُجَانَةَ غَيْرَ دَمِيمٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَرَضَ ذَلِكَ السَّيْفَ حَتَّى قَالَ: «مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟ فَأَحْجَمَ النَّاسُ عَنْهُ، فَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ: وَمَا حَقُّهُ يَا رَسُولَ اللهَّ؟ قَالَ: تُقَاتِلُ بِهِ فِي سَبِيلِ اللهَّ حَتَّى يَفْتَحَ اللهُّ عَلَيْكَ أَوْ تُقْتَلَ». فَأَخَذَهُ بِذَلِكَ الشَّرْطِ، فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ الْهَزِيمَةِ يَوْمَ أُحُدٍ خَرَجَ بِسَيْفِهِ مُصْلَتًا وَهُوَ يَتَبَخْتَرُ، مَا عَلَيْهِ إِلَّا قَمِيصٌ وَعِمَامَةٌ حَمْرَاءُ قَدْ عَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ، **وَإِنَّهُ لَيَرْتَجِزُ وَيَقُولَ**:

إِنِّي امْـــرُؤٌ عَاهَـــدَنِي خَـلِـيـلِي   إِذْ نَحْـنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ

أَنْ لَا أُقِـيـمَ الدَّهْـرَ فِي الْكُبُولِ   أَضْرِبْ بِـسَـيْـفِ اللَّهِ وَالـرَّسُـولِ

قَالَ: يَقُولُ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهَا لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ**» [سير أعلام النبلاء].

وقال زيد بن أسلم: دُخل على أبي دجانة وهو مريض، وكان وجهه يتهلَّل، فقيل له: ما لوجهك يتهللُ؟ فقال: ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنين! كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى: فكان قلبي للمسلمين سليمًا.

[صفة الصفوة وسير أعلام النبلاء]

* * *

٣٥- أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فضائل أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا أَقَلَّتْ الْغَبْرَاءُ وَلَا أَظَلَّتْ الْخَضْرَاءُ مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ».

عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ» [صحيح مسلم].

فهذا محمول على ضعف الرأي، فإنه لو ولي مال يتيم، لأنفقه كله في سبيل الله، ولترك اليتيم فقيرًا، فقد كان لا يتستجيز ادخار النقدين، والذي يتأمر على الناس، يريد أن يكون فيه حلم ومدارة وأبو ذرة كان فيه حدة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ لَا أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ صَوْمِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَصَلَاةِ الضُّحَى وَنَوْمٍ عَلَى وِتْرٍ» [سير أعلام النبلاء].

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَمَرَنِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي وَأَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرَتْ وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا وَأَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ وَأَمَرَنِي أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ» [رواه الإمام أحمد].

[سير أعلام النبلاء]

قصة إسلام أبي ذر دليل على صدقه

في وادي (ودان) الذي يصل مكة بخارجها كانت تنزل قبيلة (غفار). وكانت (غفار) تعيش من ذلك النزر اليسير الذي تبذله لها القوافل التي تسعى بتجارة قريش ذاهبة إلى بلاد الشام أو ءايبة منها، وربما عاشت من قطع الطريق على هذه القوافل إذا هي لم تطعها أو تعطها ما يرضيها. كان (جندب بن جنادة) المكنى بأبي ذر واحدًا من أبناء هذه القبيلة، وكان يمتاز بجرأة القلب، وبعد النظر، وكان يضيق أشد الضيق بهذه الأوثان التي يعبدها قومه من دون الله، ويستنكر ما وجد عليه العرب من فساد الدين، وتفاهة المعتقد، ويتطلع إلى ظهور نبي جديد يملأ على الناس عقولهم وأفئدتهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

ثم تناهت إلى أبي ذر وهو في باديته أخبار النبي الجديد الذي ظهر في مكة، فقال لأخيه أنيس: انطلق إلى مكة، وقف على أخبار هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، وأنه يأتيه وحي من السماء، واسمع شيئًا من قوله واحمله إلي.

فذهب أنيس إلى مكة، والتقى بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسمع منه، ثم عاد إلى البادية فتلقاه أبو ذر في لهفة، وسأله عن أخبار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجديد في شغف فقال: لقد رأيت والله رجلاً يدعو إلى مكارم الأخلاق، ويقول كلامًا ما هو بالشعر. فقال له: وماذا يقول الناس فيه؟ فقال: يقولون: إنه ساحر، وكاهن، وشاعر. فقال أبو ذر: والله ما شفيت لي غليلاً، ولا قضيت لي حاجة، فهل أنت كاف عيالي حتى أنطلق فأنظر في أمره ؟ قال: نعم، ولكن كن من أهل مكة على حذر.

تزود أبو ذر لنفسه، وحمل معه قربة ماء صغيرة، واتجه من غده إلى مكة يريد لقاء النبي والوقوف على خبره بنفسه، فلما بلغ مكة توجس خيفة من أهلها، فقد تناهت إليه أخبار قريش وتنكيلها بكل من تحدثه نفسه باتباع النبي محمد، لذا كره أن يسأل أحدًا عنه لأنه ما كان يدري أيكون هذا المسؤول من شيعته (أنصاره) أم من عدوه؟

ولما أقبل الليل اضطجع في المسجد، فمر به علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعرف أنه غريب فقال: هلم بنا أيها الرجل، فمضى معه وبات ليلته عنده، وفي الصباح حمل قربته وزاده وعاد إلى المسجد دون أن يسأل أحد منهما الآخر عن شئ.

ثم قضى أبو ذر يومه الثاني دون أن يتعرف إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما أمسى أخذ مضجعه من المسجد، فمر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له: أما ءان للرجل أن يعرف منزله؟! ثم اصطحبه معه فبات عنده ليلته الثانية، ولم يسأل أحد منهما الآخر عن شيء.

فلما كانت الليلة الثالثة قال سيدنا علي لصاحبه: ألا تحدثني عما أقدمك إلى مكة ؟ فقال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لقد قصدت مكة من أماكن بعيدة أبتغي لقاء النبي الجديد وسماع شئ مما يقوله، فانفرجت أسارير سيدنا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: «والله إنه لرسول الله حقًا» وصار يصفه له بأكمل الأوصاف.

ثم قال له: إذا أصبحنا فاتبعني حيثما سرت، فإن رأيت شيئًا أخافه عليك وقفت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي. لم يقر لأبي ذر عين

طوال ليلته شوقًا إلى رؤية النبي، ولهفة إلى استماع شئ مما يُوحى به إليه.

ويصل أبو ذر في صبيحة يوم ليجد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسًا وحده فيسلم على الرسول الأكرم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ثم يقول: (اقرأ عليّ). فقرأ الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ما تيسر، وهنا يعلنها أبو ذر هاتفًا: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله»، وسأله الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ممن أنت**» فأجابه أبو ذر: «من غفار» . يقول أبو ذر وهو يروي القصة: «فجعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرفع بصره ويصوبه تعجبًا لما كان من غفار لأنها كانت قبيلة لا يُدرك لها شأن في قطع الطريق وعمليات السطو»، ثم قال: «**إن الله يهدي من يشاء**». وبلغ خبر إسلامه كفار قريش فجاؤوا إليه وأمسكوا به وأوسعوه ضربًا وايذاءً وهو صابرٌ على الأذى محتسب الأجر من الله عَزَّوَجَلَّ، وما زالوا يضربونه حتى أغمي عليه.

وجاء العباس عم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسعى وأنقذه من بين أنيابهم بحيلة فقال لهم: يا معشر قريش أنتم تجار وطريقكم على غفار وهذا رجل من رجالها، إن يحرض قومه عليكم يقطعوا على قوافلكم الطريق، فعندها تركوه، وعاد سيدنا أبو ذر إلى عشيرته وقومه يدعوهم للإسلام فيسلمون واحدًا تلو واحد ولا يكتفي بقبيلة (غفار) بل ينتقل إلى غيرها من القبائل يدعو إلى الإسلام احتسابًا للأجر من الواحد الأحد.

٣٦- أبو الدحداح ثبات بن الدحداح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

شهد أحدًا وقتل يومئذ - روي الواقدي عن عبد الله بن عامر قال: ثابت بن الدحداح يوم أحد والمسلمون أوزاع، يا معشر الأنصار إليَّ إليَّ، إن كان محمد قد قُتل فإن الله حي لا يموت، فقاتلوا عن دينكم، فنهض إليه نفر من الأنصار فجعل يحمل بمن معه وقد وقفت له كتيبة خشناء فيها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة، فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فأنقذه فوقع ميتًا وقتل من كان معه.

قال الواقدي: وبعض أصحابنا من رواة العلم يقولون: إنه بريء من جراحه كان أصابه، وانتقض عليه مرجع رسول الله من الحديبية.

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ الْأَنْصَارِيُّ : يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ اللهَ لَيُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ ، يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ**». قَالَ: أَرِنِي يَدَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَنَاوَلَهُ يَدَهَ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطِي - وَلَهُ حَائِطٌ فِيهِ سِتُّمِائَةِ نَخْلَةٍ، وَأُمُّ الدَّحْدَاحِ فِيهِ وَعِيَالُهَا - قَالَ: فَجَاءَ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَنَادَاهَا: يَا أَمَّ الدَّحْدَاحِ، قَالَتْ: لَبَّيْكَ. فَقَالَ: اخْرُجِي ، فَقَدْ أَقْرَضْتُهُ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ.

وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهَا قَالَتْ لَهُ: رَبِحَ بَيْعُكَ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ. وَنَقَلَتْ مِنْهُ مَتَاعَهَا وَصِبْيَانَهَا، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَمْ مِنْ عَذْقٍ رَدَاحٍ فِي الْجَنَّةِ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ». وَفِي لَفْظٍ: «رُبَّ نَخْلَةٍ مُدَلَّاةٍ عُرُوقُهَا دُرٌّ وَيَاقُوتٌ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ».

[تفسير ابن كثير]

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِفُلَانٍ نَخْلَةً وَأَنَا أُقِيمُ حَائِطِي بِهَا فَأْمُرْهُ أَنْ يُعْطِيَنِي حَتَّى أُقِيمَ حَائِطِي بِهَا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْطِهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ». فَأَبَى فَأَتَاهُ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَقَالَ: بِعْنِي نَخْلَتَكَ بِحَائِطِي. فَفَعَلَ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: إِنِّي قَدْ ابْتَعْتُ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي. قَالَ: فَاجْعَلْهَا لَهُ فَقَدْ أَعْطَيْتُكَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَمْ مِنْ عَذْقٍ رَاحَ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ قَالَهَا مِرَارًا قَالَ فَأَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ اخْرُجِي مِنْ الْحَائِطِ فَإِنِّي قَدْ بِعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ فَقَالَتْ رَبِحَ الْبَيْعُ أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا» [رواه الإمام أحمد].

* * *

٣٧- طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣].

عن عيسى بن طلحة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مر عليه طلحة فقال: «**هَذَا مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ**» [رواه الترمذي وصححه الألباني فى صحيح ابن ماجة].

وفي رواية عن عليّ قال: «قالوا: أخبرنا عن طلحة، قال: ذلك امرؤ نزلت فيه آية من كتاب الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣]، طلحة ممن قضى نحبه لا حساب عليه فيما يستقبل».

[ذكره الواحدى فى أسباب النزول وعزاه السيوطي فى الدر وذكره ابن عساكر]

فضائل طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هو أحد العشرة المبشرين بالجنة فى حديث سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَوْجَبَ طَلْحَةُ حِينَ صَنَعَ بِرَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مَا صَنَعَ**».

[حسن رواه الإمام أحمد والترمذي وابن حبان وحسنه الألباني]

وأوجب: أي الجنة.

ما صنع: يوم أحد من حمايته النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقعوده للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى صعد عليه فاستوى على الصخرة.

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض**».

[صحيح رواه ابن ماجه وصححه الألباني صحيح الجامع]

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ**».

[صحيح رواه ابن ماجه والترمذي وصححه الألباني]

وحين ضرب على يده يوم أحد فقطعت أصابعه. فَقَالَ: حَسِّ. فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ قُلْتَ بِسْمِ الله أَوْ ذَكَرْتَ اسْمَ الله لَرَفَعَتْكَ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ حَتَّى تَلِجَ بِكَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ**» [صحيح النسائي والطبراني وصححه الألباني].

❊ ❊ ❊

٣٨- كعب ابن مالك ومرارو بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٦-١١٩].

قصة توبة الثلاثة الذين نزلت فيهم الآية:

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: أن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان قائد كعب من بنيه حين عَمِيَ، قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك، قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى غزوة غزاها إلا فى غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفت فى غزوة بدر، ولم يُعاتب أحدًا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة العقبة، حين تواثقنا على الإسلام، وما أُحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر فى الناس منها، كان من خبرى أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه فى تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندى

قبله راحلتان قط حتى جمعتهما فى تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد غزوة إلا ورى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى حر شددي، واستقبل سفرًأص بعيدًا ومفازًا، وعدوًا كثيرًا، فجلى للمسلمين أمرهم، ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذى يريد، والمسلمون مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد: الديوان.

قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له، ما لم ينزل فيه وحي الله، وغزا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وتجهز رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون معه، فطفقت أغذو؛ لكي أتجهز معهم؛ فأرجع ولم أقض شيئًا، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى بي، حتى اشتد بالناس الجد، فأصبح رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئًا، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم الحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئًا، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئًا، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فطفت فيهم، أحزنني أنى لا أرى إلا رجلًا مغموصًا عليه النفاق، أو رجلًا ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك: «ما فَعَلَ كَعْبٌ؟»؛ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه

براده، ونظره فى عطفه. فقال معاذ بن جحبل: بئس ما قلت! والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا. فسكت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلًا، حضرني همي، وطفقت أتذكر الكذب، وأقول: بماذا أخرج من سخطه غدًا، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أظل قادمًا، زاح عنى الباطل، وعرفت أنى لن أخرج منه أبدًا بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قادمًا، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلًا، فقبل منهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فجئته فلما سلمت عليه تبَسَّم تبَسُّم المُغضب، ثم قال: «**تعال**»، فجئت أمشى، حتى جلست بين يديه، فقال لي: «**ما خَلَّفَكَ؟! أَلَمْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟**». فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلًا، ولكني والله لقد علمت: لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليَّ فيه، إني لأرجو فيه عفو الله، ولا والله! ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك. فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ. فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ**»، فقمت، وثار رجال

من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبًا قبل هذا، ولقد عجزت أن لا نكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المتخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك، فو الله ما زالوا يؤنبؤني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقى هذا معى أحد؟ قالوا: نعم رجلان، قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك.

فقلت: من هما؟ **قالوا**: مرارة بن الربيع العمرى، وهلال بن أمية الواقفى، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا، فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة، من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض، فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، وآتى رسول الله ﷺ فأسلم عليه، وهو فى مجلسة بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام علي أم؟! ثم أصلى قريبا منه فأسارقة النظر، فإذا أقبلت على صلاتى أقبل إلى، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمى، وأحب الناس إلى، فسلمت عليه، فوالله ما رد علي السلام، فقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمنى أحب الله ورسوله؟ فسكت،

فعدت له فنشدته، فسكت، فعدت له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار، قال فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام، ممن قدم بالطعام يبيعة بالمدينة، يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءنى دفع إلى كتابًا من ملك غسان، فإذا فيه: أما بعد: فإنه قد بلغنى أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك. فقلت لما قرأتها: وهذا أيضًا من البلاء، فتيممت بها التنور، فسجرتة بها، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتيني فقال: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرك أن تعتزل امراتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبى مثل ذلك، فقلت لامرأتى: الحقى بأهلك فتكوني عندهم، حتى يقضي الله في هذا الأمر.

قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «**لاَ، وَلَكِنْ لاَ يَقْرَبْكِ**». قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا، فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: وَاللهِ لاَ أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ؟ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ

لَيَالٍ، حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَلاَمِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلاَةَ الفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَوْبَةِ الله عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاَةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَى عَلَى الجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا، بِبُشْرَاهُ وَالله مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ الله عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَالله مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ، وَلاَ أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **قَالَ رَسُولُ الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**»، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ الله، أَمْ مِنْ عِنْدِ الله؟ قَالَ: «**لاَ، بَلْ مِنْ عِنْدِ الله**». وَكَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى الله وَإِلَى رَسُولِ الله، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ**

لَكَ». قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ اللهَّ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لاَ أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا، مَا بَقِيتُ. فَوَالله مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلاَهُ اللهُّ فِي صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلاَنِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُّ فِيمَا بَقِيتُ، وَأَنْزَلَ اللهُّ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة:١١٧]، إلى قوله: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، فَوَالله مَا أَنْعَمَ اللهُّ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلاَمِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ لاَ أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللهَّ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ﴾ [التوبة: ٩٥]، إلى قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦]، قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللهُّ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ الله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨]، وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللهُّ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ»[1].

***

(١) الحديث ذكره أيضًا في كتاب التفسير مختصرًا ص [٤١٢]، من هذا الجزء، وأخرجه مسلم [ج ١٧]، ص [٨٧]، والترمذى (ج٤) ص [١٢١] مختصرًا، والإمام أحمد (ج٣) ص [٤٥٧]، وعبد الرزاق في «المصنف» (ج٥) ص[٣٩٧]، وابن اسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (ج٢) ص [٥٣١]، وابن جرير (ج١١) ص [٥٨]، وابن أبي حاتم (ج٤) ص [١٠٥].

٣٩- عبد اللّه بن الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

يكني أبا بكر، أمه: أسماء بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو أول مولود ولد للمهاجرين بالمدينة بعد الهجرة، وحنكة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتمرة.

عن مجاهد بن جبير قال: ما كان باب من العبادة يعجز عنه الناس إلا تكلفة عبد الله بن الزبير ولقد جاء سيل طبق البيت فجعل ابن الزبير يطوف سباحة.

وعن عمرو بن دينار قال: رأيت ابن الزبير يصلي في الحجر خافضا بصره فجاء حجر قدامه فذهب ببعض ثوبه فما انفتل.

وعن مجاهد قال: كان ابن الزبير إذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشوع.

وعن يحي بن وثاب أن ابن الزبير كان يسجد حتى تنزل العصافير على ظهره ولا تحسبه إلا جذم حائط.

وعن عمرو بن دينار قال: ما رأيت مصليًا قط أحسن صلاة من عبد الله بن الزبير.

وعن ابن المنكدر قال: لو رأيت ابن الزبير يصلي كأنه غصن شجرة تصفقها الريح والمنجنيق يقع هاهنا وهاهنا.

قال سفيان: كأنه لا يبالي.

وعن عمر بن قيس، عن أمه أنها قالت: دخلت على عبد الله بن الزبير بيته فإذا هو يصلي، قالت: فسقطت حية من السقف على ابنه هاشم فتطوقت على بطنه وهو نائم فصاح أهل البيت: الحية، ولم يزالوا بها حتى قتلوها، وعبد الله بن الزبير يصلي، ما التفت ولا عجل، ثم فرغ بعد ما قتلت، فقال: ما بالكم؟

قالت أم هاشم: أي - رحمك الله - أرأيت إن كنا هنا عليك أيهون عليك ابنك؟

قال: فقال: ويحك، ما كانت التفاته، لو التفتها، مبقية من صلاتي.

وعن محمد بن حميد قال: كان عبد الله بن الزبير يحي الدهر أجمع ليلة قائما حتى يصبح، وليلة يجيبها راكعًا حتى الصباح، وليلة يجيبها ساجدًا حتى الصباح.

وعن مسلم بن ينَّاف المكر قال: ركع ابن الزبير يومًا ركعة، فقرأت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة، وما رفع رأسه.

وعن أم جعفر بنت النعمان، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: كان ابن الزبير قوام الليل، صوام النهار، وكان يسمى حمام المسجد.

مقتل ابن الزبير

عن عروة قال: لما كانت الغداة التى قتل فيها ابن الزبير دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر وهي يومئذٍ ابنة مائة سنة لم يسقط لها سن، فقالت: يا عبد الله ما بلغت في حربك؟ قال: بلغوا مكان كذا وكذا، وضحك وقال: إن الموت لراحة، فقالت

أسماء: يا بني لعلك تتمناه لي، ما أحب أن أموت حتى آتى على أحد طرفيك: إما أن تملك فتقر بذلك عيني، وإما أن تقتل فأحتسبك.

ثم ودعها، فقالت له: يا بني إياك أن تعطي خصلة من دينك مخافة القتل، وخرج عنها وأنشأ يقول:

ولست بمبتاع الحياة بسبه　　ولا مرتق من خشية الموت سلما

وقال:

والله مالقيت رحفاقط إلا في الرعيل الأول　　وما ألمت جرحًا قط إلا أن آلم الدواء

ثم حمل عليهم فأصابته آجرة في مفرقه حتى فلقت رأسه، فوقف قائمًا وهو يقول:

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا　　ولكن على أقدامنا تقطر الدماء

وعن عروة قال: أتيت عبد الله بن الزبير حين دنا من الحجاج منه فقلت: قد لحق فلان بالحجاج فقال:

فرت سلامان وفرت النمر　　وقد نلاقى معهم فلا نفر

فقلت له: لقد أُخذت دار فلان ودار فلان، فقال:

اصبر عصام إنه شر باق　　قد سكَّ أصحابك ضرب الأعناق

وقامت الحرب بنا على ساق

قال: فعرففت أنه لا يسلم نفسه، قال: فغاظني، فقلت: إنهم والله إن يأخذوك يقطعوك إربًا إربًا، فقال:

ولست أبـالي حـين أقتل مسلمًا على أي جـنـب كان لله مـصرعي

وذلـك في ذات الإله وإن يشأ يـبـارك على أوصـال شـلـو ممـزع

قال: فعرفت أنه لا يمكِّن من نفسه.

[صفة الصفوة]

❊ ❊ ❊

٤٠- معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

شَهِدَ العقبة شابًا أمْرد. أسلم معاذ، وله ثمان عشرة سنة.

وعن سعيد بن المسيِّب قال: قُبض مَعُاذ هو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة.

وتوفى سنة ثمان عشرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وشهد العقبة مع السبعين وبدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عن الصابحي، عن معاذ بن جبل، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ بيده وقال: **أَخَذَ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ». فَقَالَ: «أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ: لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»** [صحيح أبو داود].

وعن أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَعْلَمُ أُمَّتِي بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ»** [صحيح أحمد].

وعن شهر بن حوشب قال: قال عمر بن الخطاب: لو استخلفت معاذ بن جبل فسألني عنه ربي عَزَّوَجَلَّ: ما حملك على ذلك؟ لقلت: سمعت نبيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: إن العلماء إذا حضروا ربهم عَزَّوَجَلَّ كان بين أيديهم رتوه بحجر [السلسة الصحيحة]، والرتوة أي الرمية.

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ».**

وعن نوفل الشجعي قال: قال ابن مسعود: إن معاذ بن جبل كان أمة قانتًا لله حنيفًا، فقيل: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾ [النحل:١٢٠].

فقال: ما نسيت: هل تدري ما الأمة؟ وما القانت. فقلت: الله أعلم، فقال: الأمة الذى يعلم الخير، والقانت، المطيع لله عَزَّوَجَلَّ وللرسول، وكان معاذ بن جبل يعلم الناس الخير، وكان مطيعًا لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله [صحيح الحاكم].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن معاذ بن جبل إمام العلماء رتوة**» قال الشيخ العدوى حَفِظَهُ اللَّهُ صحيح بمجموع طرقه.

وعن أبى بحرية قال: دخلت مسجد حمص فإذا أنا بفتى حوله الناس جَعْدٍ قطط، فإذا تكلم، كأنما يخرج من فِيه نور ولؤلؤ فقلت: من هذا؟ قالوا: معاذ بن جبل.

وعن أبي مسلم الخولاني قال: أتيت مسجد دمشق فإذا حلقة فيها كهول من أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا شاب فيهم أكحل العين براق الثنايا، كلما اختلفوا في شيء ردُّوه إلى الفتى، قال: قلت لجليس لي: من هذا؟ قالوا: هذا معاذ ابن جبل.

وعن أبي إدريس الخولاني قال: دخلت مسجد دمشق، فإذا فتى براق الثنايا، وإذا ناس معه إذا اختلفوا في شيءٍ أسندوه إليه وصدروا عن رأيه، فسألت عنه، فقالوا: هذا معاذ بن جبل، فلما كان من الغد هجرت فوجدته قد سبقني بالتهجير، فوجدته يصلي، قال: فانتظرته، حتى قضى صلاته ثم جئته من قبل وجهه، فسلمت

عليه، وقلت له: والله إني لأحبك لله، قال: فقال: آلله؟ فقلت: آلله، فقال: آلله؟ فقلت: آلله، قال فأخذ بحبوة ردائي، فجذبني إليه، وقال أبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**وجبت رحمتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتباذلين فيَّ، والمتزاورين فيَّ**» طبقات ابن سعد وصححه العدوى حفظه الله.

وقال رسول الله ﷺ: «**خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْد اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ**».

[رواه البخاري بلفظ آخر والترمذي والنسائي]

وعن موسى بن علي بن رباح، عن أبيه، قال: خطب عمر الناس بالجابية قال: من أراد الفقه فليأت معاذ بن جبل.

وعن شهر بن حوشب قال: كان أصحاب محمد إذا تحدثوا وفيهم معاذ نظروا إليه هيبة له.

وعن معاذ بن جبل: ما بزقت على يميني منذ أسلمت.

نبذة من تعبده واجتهاده

عن ثور بن يزيد قال: كان معاذ بن جبل إذا تهجد من الليل قال: اللهم قد نامت العيون، وغارت النجوم وأنت حى قيوم، اللهم طلبى للجنّة بطىء، وهربى من النار ضعيف، اللهم اجعل لى عندك هُدَى إلىَّ يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد.

نبذة من زهده

عن مالك الدارى أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة فقال للغلام اذهب بها إلى معاذ بن جبل، وتلهَّ في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها إليه قال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: رَحِمَهُ اللَّهُ ووصله، تعالىٰ يا جارية، اذهبي إلى بيت فلان بكذا، اذهبي إلى بيت فلان بكذا، فاطلعت امرأته فقالت: ونحن مساكين فاعطنا، ولم يبقى في الخرقة إلا ديناران، فدحا بهما إليهما فرجع الغلام إلى عمر فأخبره بذلك.

وعن ابن كعب بن مالك قال: كان معاذ بن جبل شابًّا جميلاً سمحًا، من خير شباب قومه لا يُسأل شيئًا إلا أعطاه.

ذكر مرضه ووفاته

عن طارق بن عبد الرحمن قال: وقع الطاعون بالشام فاستغرقها فقال الناس: ما هذا إلا الطوفان إلا أنه ليس بماء، فبلغ معاذ بن جبل فقام خطيب فقال: إنه قد بلغنى ما تقولون، إنما هذه رحمة ربكم، ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم، ولكن خافوا ما هو أشد من ذلك: أن يغدو الرجل منكم من منزله لا يدرى أمؤمن هو أو منافق، وخافوا إمارة الصبيان.

وعن عبد الله بن رافع قال: اللهم آت آل معاذ نصيبهم الأوفى من هذه الرحمة (أي من الطاعون) فطعن ابناه فقال: كيف تجدانكما؟

قالا: يا أبانا ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران:٦٠]، قال: وأنا ستجدني إن شاء الله من الصابرين.

ثم طعنت امرأتاه فهلكتا، وطعن هو في إبهامه فجعل يمسهما بفيه ويقول: اللهم إنها صغيرة فبارك فيها، فإنك تبارك في الصغيرة، حتى هلك.

وعن الحارث بن عمير قال: لما طعن معاذ فقال حين اشتد به نزع الموت فنزع نزعًا لم ينزعه أحد وكان كلما أفاق من غمرة فتح عينيه ثم قال: رب اخنقني خنقك، فو عزتك إنك لتعلم أن قلبي يحبك.

وعن عمر بن قيس عمن حدثه عن معاذ قال: لما حضره الموت قال: انظروا أصبحنا، قال: فأُتي فقيل: لم نصبح حتى أُتي في بعض ذلك فقيل له: قد أصبحت، فقال: أعوذ بالله من ليلة صباحها النار، مرحبًا بالموت مرحبًا، زائر مغب، حبيب جاء على فاقة، اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، إنك لتعلم إني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى الأنهار، ولغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

اتفق أهل التاريخ أن معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مات في طاعون عمواس بناحية الأردن من الشام سنة ثماني عشرة [صفة الصفوة- مختصر سير أعلام النبلاء].

٤١- خثيمة

قال خثيمة أبو سعد، وكان ابنه استشهد مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم بدر: لقد أخطأتني وقعة بدر، وكنت والله حريصًا، حتى ساهمت ابني في الخروج، فخرج سهمه، فرزق الشهادة، وقد رأيت البارحة ابني في الجنة في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها، ويقول: الحَقْ بنا ترافقنا في الجنة، فقد وجدت ما وعدني ربي حقًا، وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقًا إلى مرافقته في الجنة وقد كبرت سني، ورق عظمي، وأحببت لقاء ربي، فادع الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة ومرافقة سعد في الجنة، فدعا له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك فقتل بأحد شهيدًا [زاد المعاد وغزوات الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ].

***

٤٢- أنس بن النضر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن أنس بن مالك قال: عَمِّي أنس بن النضر، سُميت به، لم يشهد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم بدر؛ فشق عليه، وقال: أول مشهد شهده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غيبت عنه، لئن أراني الله مشهدًا فيما بعد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليرين الله ما أصنع؛ فشهد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد، فاستقبل سعد بن معاذ، فقال له أنس: يا أبا عمرو، وأين؟ فقال: واهًا لريح الجنة، أجده دون أحد، قال: فقاتلهم حتى قتل، قال: فوجد في جسده بضع وثمانون؛ من ضربة، وطعنة، ورمية، فقالت أخته: فما عرفت أخي إلا ببنانه، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣]، فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه [متفق عليه].

وفي رواية: لما انكشف المسلمون في غزوة أحد، فقال أنس ابن النضر: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني: أصحابه ـ وأبرأ إليك مما جاء هؤلاء ـ يعني: المشركين ـ فقاتل حتى قتل [أخرجه الترمذي والنسائي].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كسرت الرُّبَيْعُ - وهي عمة أنس ابن مالك - ثنية جارية من الأنصار، فطلب القوم القصاص، فأتوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقصاص، فقال أنس بن النضر - عم أنس بن مالك -: لا والله، لا تكسر سِنُّها، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَنَسُ كِتَابُ اللَّهِ الْقِصَاصُ فَرَضِيَ الْقَوْمُ

وَعَفَوْا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ» [رواه البخاري].

❊ ❊ ❊

٤٣- مصعب بن عمير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

إنه الفتى المدلل والمنعم، فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: نظر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مصعب بن عمير مقبلًا وعليه إهاب كبشٍ قد تنطق به، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انظروا إلى هذا الرجل الذي نوَّر الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حب الله ورسوله إلى ماترون».

وهو أول سفير في الإسلام، فعن عروة بن الزبير: أن الأنصار لما سمعوا من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله، وأيقنوا واطمأنت أنفسهم إلى دعوته؛ فصدقوه وآمنوا به، كانوا من أسباب الخير، وواعدوه الموسم من العام القابل، فرجعوا إلى قومهم بعثوا إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن ابعث إلينا رجلًا من قِبَلِك؛ فيدعو الناس إلى كتاب الله، فإنه أدنى أن يتبع، فبعث إليهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مصعب بن عمير، أخا بني عبد الدار، فنزل بني غنم على أسعد بن زرارة، يحدثهم ويقص عليهم القرآن، فلم يزل مصعب عند سعد بن معاذ يدعو ويهدي الله على يديه، حتى قَلَّ دار من دور الأنصار إلا أسلم فيها ناس لا محالة، وأسلم أشرافهم، وأسلم عمرو ابن الجموح، وكسرت أصنامهم، ورجع مصعب بن عمير إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يدعى المقرئ.

وعن محمد بن شرحبيل قال: حمل مصعب اللواء يوم أحد، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب، فأقبل ابن قمئة فضرب يده اليمنى فقطعها، ومصعب يقول: ﴿ وَمَا

﴿مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٣]، وأخذ اللواء بيده اليسرى، وحنا عليه فضرب يده اليسرى فقطعها، ومصعب يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٣]، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره، وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٣]، ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه.

وعن عبيد بن عمير قال: لما فرغ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أحدٍ؛ مرَّ على مصعب بن عمير مقتولًا على طريقه فقرأ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣].

وعن خباب قال: هاجرنا مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله عَزَّوَجَلَّ، فمنا من مضى ولم يأكل من أجره شيئًا، منهم: مصعب بن عمير؛ قتل يوم أحد، فلم نجد له شيئًا نكفنه فيه إلا نمرة ـ أي: بردة من صوف تلبسها الأعراب ـ كنا إذا غطينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**غطو رأسه، واجعلوا على رجليه من الإذخر**» [متفق عليه]، والإذخر: نبت معروف طيب الريح، يَبْيَضُّ إذا يَبُس.

وعن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، أن عبد الرحمن بن عوف أتى طعامًا، وكان صائمًا، فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، فكفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه، ثم بُسِطَ لنا من الدنيا ما بسط – أو قال:

أعطينا من الدنيا ما أعطينا ـ وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجِّلَتْ لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام [رواه البخاري].

[انظر: حلية الأولياء، صفة الصفوة، مختصر سير أعلام النبلاء]

* * *

٤٤- عبد اللّه بن جحش رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد: ألا تدعو الله، فَخَلَوَا في ناحية، فدعا عبد الله بن جحش، فقال: يا رب، إذا لقيتُ العدو غدًا؛ فَلَقِّنِي رجلًا شديدًا بأسه، شديدًا حره، أقاتله فيك، ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي، وأذني، فإذا لقيتك غدًا قلت: يا عبد الله، من جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت، قال سعد: فلقد رأيته آخر النهار، وإن أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط.

* * *

٤٥- سعد بن الربيع رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

إنه من الأنصار، وقد آخى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف، وعرض سعدٌ على عبد الرحمن أن يعطيه شطر ماله، وأن يطلق إحدى زوجاته ليتزوج بها، فامتنع عبد الرحمن بن عوف.

وعن يحى بن سعيد قال: لما كان يوم أحد قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ» فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا يَا رَسُولَ اللهَّ فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَطُوفُ بَيْنَ الْقَتْلَى فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ مَا شَأْنُكَ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ بَعَثَنِي إِلَيْكَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِآتِيَهُ بِخَبَرِكَ قَالَ فَاذْهَبْ إِلَيْهِ فَاقْرَأْهُ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُ أَنِّي قَدْ طُعِنْتُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ طَعْنَةً وَأَنِّي قَدْ أُنْفِذَتْ مَقَاتِلِي وَأَخْبِرْ قَوْمَكَ أَنَّهُ لَا عُذْرَ لَهُمْ عِنْدَ اللهَّ إِنْ قُتِلَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَوَاحِدٌ مِنْهُمْ حَيٌّ» [موطأ مالك].

وفي رواية: فخرج يطوف في القتلى حتى وجد سعدًا جريحًا مثبتًا بآخر رمق، فقال: يا سعد، إن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أمرني أن أنظر في الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: فإني في الأموات، فأبلغ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقل له: إني لأجد ريح الجنة، وقال: إن سعدًا يقول: جزاك الله عني خير ما جزى نبيًا عن أمته.

[انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب]

٤٦- بلال بن رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد آتاهم على ما أرادوا، إلا بلال؛ فإنه هانت عليه نفسه في الله عَزَّوَجَلَّ، وهان على قومه، فأعطوه الولدان، فأخذوا يطوفون به شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد [صحيح رواه الإمام أحمد].

وعن عروة بن الزبير، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أبا بكر الصديق مر يومًا على أمية بن خلف وهو يعذب بلالًا، فقال أبو بكر لأمية: ألا تتقي الله عَزَّوَجَلَّ في هذا المسكين؟ حتى متى؟ قال: أنت أفسدته، فأنقذه عما ترى، قال أبو بكر: أفعل عندي غلام أسود أجلد منه، وأقوى على دينك، أعطيكه به، قال: قد قبلت، قال: هو لك، فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك، فأخذ أبو بكر بلالًا فأعتقه، ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر من مكة ست رقاب، بلال سابعهم.

وقال محمد بن إسحاق: وكان أمية يخرج بلالًا إذا حميت الظهيرة؛ فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له:

لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول ـ وهو في ذلك البلاء: أحد أحد.

وعن أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ» [رواه الترمذي بسند صحيح].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اشْتَاقَتِ الْجَنَّةُ إِلَى ثَلَاثَةٍ: عَلِيٍّ، وَعَمَّارٍ، وَبِلَالٍ».

وعن إسماعيل بن قيس قال: اشترى أبو بكر بلالًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بخمسة أوق؛ فأعتقه، فقال يا أبا بكر، إن كنت أعتقتني لله فدعني أعمل لله، وإن كنت أعتقتني لتتخذني خادمًا؛ فاتخذني، فبكى أبو بكر، وقال: إنما أعتقتك لله، فاذهب فاعمل لله تعالى.

وقال عمار بن ياسر – وهو يذكر بلالًا، وأصحابه، وما كانوا فيه من البلاء، وإعتاق أبي بكر إياه، وكان أسم أبي بكر عتيقًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

جزى الله خيرًا عن بلال وصحبه ... عتيقًا، وأخزى فاكهًا وأبا جهل

عشية هما في بلال بسوءة ... ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل

بتوحيده رب الأنام وقوله ... شهدت بأن الله ربي على مهل

فإن يقتلوني يقتلوني فلم أكن ... لأشرك بالرحمن من خيفة القتل

فيا رب إبراهيم والعبد يونس ... وموسى وعيسى نجني ثم لا تبل

لمن ظل يهوى الـغي من آل غالب   على غــير بـــركان مـنـه ولا عــدل

وعن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سَمِعْت فِي الْجَنَّةِ خَشْخَشَةً أَمَامِي فَقُلْت، مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: بِلَالٌ، فَأَخْبَرَهُ قَالَ: بِمَا سَبَقْتَنِي إلَى الْجَنَّةِ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَحْدَثْتُ إلَّا تَوَضَّأْتُ، وَلَا تَوَضَّأْت، إلَّا رَأَيْت أَنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ رَكْعَتَيْنِ أُصَلِّيهِمَا، قَالَ: بِهَا**» [صحيح مسلم].

وعندما مات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام بلال ليؤذن، فعندما أتى إلى قول: أشهد أن محمدًا رسول الله؛ بكى بكاءً شديدًا، ولم يستطع أن يتم الأذان، ولم يؤذن بعدها.

وخرج بلال بعدها في خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الشام، وفي خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعندما نزل الشام قال له التابعين: نريد أن نسمع أذان بلال، فأمره عمر أن يؤذن، فأذن بلال، وعندما أتى إلى قول: أشهد أن محمدًا رسول الله؛ بكى، وأبكى من حوله، فلم ير يومًا أكثر بكاءً من هذا اليوم [صحيح مسلم].

* * *

٤٧- خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن طارق بن شهاب قال: كان خباب من المهاجرين الأولين، وكان ممن يُعَذَّب في الله عَزَّوَجَلَّ.

وعن الشعبي قال: سأل عمر خبابًا عما لقي من المشركين، فقال خباب: يا أمير المؤمنين، انظر إلى ظهري، فقال عمر: ما رأيت كاليوم، قال: أوقدوا لي نارًا، فما أطفأها إلا ودك ظهري.

وعن قيس بن أبي حازم قال: أتينا خباب بن الأرت نعوده، وقد اكتوى في بطنه سبعًا، فقال: لولا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهانا أن ندعو بالموت؛ لدعوت به، فقد طال بي مرضي، ثم قال: إن أصحابنا الذين مضوا لم تنقصهم الدنيا شيئًا، وإنَّا أصبنا بعدهم ما لا نجد له موضعًا إلا التراب، وقال: كان يبني حائطًا له، وإن المرء المسلم يؤجر في نفقته كلها، إلا في شيء يجعله في التراب. قال: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ فَقَالَ: «**قَدْ كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ بِنِصْفَيْنِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمِهِ مِنْ لَحْمٍ وَعَصَبٍ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ الْمَدِينَةِ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**» [صحيح، رواه الإمام أحمد وغيره].

وجاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاعدًا مع عمار، وصهيب، وبلال، وخباب بن الأرت في أناس من صعفاء المؤمنين، فلما رأوهم حقروهم فخلوا به، فقالوا: إن وفود العرب تأتيك؛ فنستحي أن يرانا العرب قعودًا مع هذه الأعبد، فإذا جئناك فأقمهم عنا، قال: «**نعم**»، قالوا: فاكتب لنا عليك كتابًا، فدعا بالصحيفة، ودعا عليًّا ليكتب، ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل، فقال: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٢ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام:٥٢-٥٣]، فرمى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصحيفة، ودعانا؛ فأتيناه وهو يقول: «**سلام عليكم**»، فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته، فكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجلس معنا، فإذا أراد أن يقوم؛ قام وتركنا فأنزل الله: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ [الكهف:٢٨]، قال: فكنا بعد ذلك نقعد مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإذا بلغنا الساعة التي كان يقوم فيها قمنا وتركناه، وإلا صبر أبدًا حتى نقوم.

وعن طارق بن شهاب قال: جاء نفر من أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: أبشر يا أبا عبد الله، إخوانك تقدم عليهم غدًا، فبكى، وقال: أما إنه ليس بي جزع، ولكن ذكرتموني أقوامًا، وسميتم لي إخوانًا، وإن أولئك مضوا بأجورهم كما هي، وإني أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا بعدهم.

[انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء]

٤٨-٤٩-٥٠- آل ياسر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ

عمار بن ياسر، وأبوه، وأمه سمية؛ كانوا من أول من أسلم في مكة، وكانوا من المستضعفين الذين يعذبون بمكة ليرجعوا عن دينهم.

فهذا عمار أحرقه المشركون بالنار، وشهد بدرًا، ولم يشهدها ابن مؤمِنَيْنِ غيره، وشهد أحدًا، والمشاهد كلها مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وسماه: الطيب المطيب [صحيح الترمذي].

وعن عمرو بن ميمون قال: أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار، وكان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يمر به، ويمر يده على رأسه، ويقول: ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ **عَلَى عَمّارٍ كَمَا كُنْتِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ**».

وعن عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: أقبلت أنا ورسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ آخذ بيدي نتماشى في البطحاء، حتى أتينا على أبي عمار، وعمار، وأمه، وهم يُعَذَّبون، فقال ياسر: الدهر هكذا، فقال له النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اصبر، اللَّهُمَّ اغفر لآل ياسر**»، وفي رواية قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ؛ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ**».

وقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن عمارًا ملئ إيمانًا من قرنه إلى قدمه**» [صحيح، رواه الترمذي].

وقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة: علي، وعمار، وسلمان**»، [صحيح، رواه الترمذي].

وعن خالد بن سُمَيْر قال: كان عمار بن ياسر طويل الصمت، طويل الحزن، والكآبة، وكان عامة كلامه عائذًا بالله من فتنته.

وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي مِنْ أَصْحَابِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ**».

وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ عَادَى عَمَّارًا عَادَاهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَ عَمَّارًا أَبْغَضَهُ اللَّهُ**».

وأم عمار بن ياسر هي: سمية بنت الخياط؛ عُذبت في الله عَزَّوَجَلَّ، حتى ترجع عن دينها، فلم تفعل، فمر بها أبو جهل - عليه لعنة الله - فطعنها في قبلها فماتت، وكانت عجوزًا كبيرًا، فهي أول شهيدة في الإسلام.

* * *

٥١- عمرو بن الجموح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال الواقدي: لم يشهد عمرو بدرًا، وكان أعرجًا، فلما أراد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخروج إلى أحد منعه بنوه، وقالوا: قد عذرك الله، فأتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إن بَنِيَّ يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك، والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَّا أَنْتَ فَقَدَ عَذَرَكَ اللَّهُ، ولا جهاد عليك**»، ثم قال لبنيه: «**لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَمْنَعُوهُ ; لَعَلَّ اللَّهَ يَرْزُقُهُ الشَّهَادَةَ**»؛ فخلوا عنه.

وقال أبو طلحة: نظرت إلى عمرو حين انكشف المسلمون ثم ثابوا، وهو في الرعيل الأول لكأني أنظر إلي ظلع في رجله يقول: أنا والله مشتاق إلى الجنة، ثم نظر إلى ابنه خلَّاد يعدو في أثره حتى قتلا جميعًا، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقد رأيته يطأ بعرجته في الجنة ما لها عوج**».

* * *

٥٢- خبيب بن عدي بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

شهد أحدًا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان فيمن بعثه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع بني لحيان فأسروه المشركون ومعه وزيد بن الدثنة؛ فباعوهما بمكة، وباعوا خبيبًا إلى الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى أجمعوا قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها؛ فأعارته، فدرج بنيًّا لها وهي غافلة حتى أتاه، فوجدته مجلسه على فخده، والموسى بيده، ففزعت فزعة عرفها خبيب فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك، فقالت: والله ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب، والله لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من عنب في يده، وإنه لوثق بالحديد، وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبًا، فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل، قال لهم خبيب: دعوني أصلي ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، وقال: والله لولا تحسبون ما بي جزع من الموت؛ لزدت، اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تبق منهم أحدًا، وقال:

ولست أبـالي حـين أقتل مسلمًا على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلـك في ذات الإله و إن يشأ يـبـارك على أوصـال شـلـو ممـزع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله، وكان خبيب هو من سن لكل مسلم قتل صبرًا الصلاة [صحيح البخاري].

ثم رفعوه على خشبة، فلما أوثقوه قال: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما يفعل بنا [انظر: صفة الصفوة، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء].

* * *

٥٣- زيد بن الدثنة بن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

شهد أحدًا، وأسره المشركون ـ يوم الرجيع ـ مع خبيب ابن عدي، فباعوهما من قريش فقتلا بمكة، وكان الذي ابتاع زيدًا صفوان بن أمية؛ فقتله بأبيه، فحضره نفر من قريش، فيهم: أبو سفيان، فقال قائل: يا زيد أنشدك بالله أتحب أنك الآن في أهلك، وأن محمدًا عندنا مكانك؟ فقال: والله ما أحب أن محمدًا يشاك في مكانه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: والله ما رأيت من قوم قط أشد حبًا لصاحبهم من أصحاب محمد له [سنن البيهقي، وصفة الصفوة].

❋ ❋ ❋

٥٤- عاصم بن ثابت بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

شهد بدرًا وأحدًا، وثبت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ حين ولى الناس، وبايعه على الموت، وكان من الرماة، وقَتل يوم أحد من أصحاب لواء المشركين مسافعًا، والحارث فنذرت أمهما: سلافة بنت سعد؛ أن تشرب في قحف عاصم الخمر، وجعلت لمن جاءها برأسه مائة ناقة، فقدم ناس من هذيل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسألوه أن يوجه معهم من يعلمهم؛ فأرسل معهم عاصم بن ثابت في جماعة، فقال لهم المشركون: استأسروا فإنا لا نريد قتلكم، وإنما نريد أن ندخلكم مكة فنصيب بكم ثمنًا، فقال عاصم: لا أقبل جوار مشرك، وجعل يقاتلهم حتى فنيت نبله ثم طاعنهم حتى انكسر رمحه، فقال: اللهم إني حميت دينك أول النهار فاحم لحمي آخره فجرح رجلين، وقتل واحدًا، وقتلوه فأرادوا أن يأخذوا رأسه ليذهبوا بها إلى سلافة بنت سعد؛ ليأخذوا المائة ناقة؛ فبعث الله الدبر ـ ذُكران النحل ـ فحمته، ثم بعث الله إليه سيلًا في الليل فحمله [صفة الصفوة].

* * *

٥٥- عمير بن الحمام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

عن أنس قال: انطلق رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتى سبقوا المشركين في بدر، فدنا المشركون فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**»، قال: نعم، قال عمير: بخ بخ، قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ما حملك على قولك: بخ بخ؟**»، قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «**فإنك من أهلها**»، قال: فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه؛ إنها لحياة طويلة، قال: فرمى ما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ [صحيح مسلم].

❊ ❊ ❊

٥٦- حنظلة بن أبي عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

تزوج حنظلة من جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول، فأدخلت في الليلة التي في صبيحتها قتال أحد، وكان قد أستأذن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يبيت عندها فأذن له، فلما أسفر الصبح؛ غدا يريد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأحد ثم مال إلى جميلة فأجنب منها، وكانت قد أرسلت إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه دخل بها، فقيل لها في ذلك فقالت: رأيت كأن السماء قد فرجت له فدخل فيها ثم أطبقت، فقلت: هذه الشهادة، وعلقت بعبد الله بن حنظلة، وأخذ حنظلة سلاحه فلحق بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يسوي الصفوف فلما انكشف المسلمون اعترض حنظلة فأنفذه بالرمح، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي رَأَيْت الْمَلَائِكَةَ تُغَسِّلُ حَنْظَلَةَ بْنَ أَبِي عَامِرٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، بِمَاءِ الْمُزْنِ، فِي صِحَافِ الْفِضَّةِ**» [رواه ابن سعد بسند صحيح]، قال أبو أسيد الساعدي: فذهبنا فنظرنا إليه فإذا رأسه يقطر ماء، فرجعت إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرته أنه خرج وهو جنب [انظر: صفة الصفوة].

* * *

٥٧- سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن جابر قال: رمي سعد يوم الأحزاب فقطعوا أكحله ـ عرق في الذراع ـ فحسمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنار فانتفخت يده، فتركه، فنزفه الدم، فحسمه أخرى، فانتفخت يده، فلما رأى ذلك، قال: اللهم لا تخرج نفسي حتى تقر عيني من بني قريظة، فاستمسك عرقه، فما قطرت منه قطرة حتى نزلوا على حكم سعد، فأرسل إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحكم أن يقتل رجالهم، وتسبى نساؤهم وذراريهم، قال: وكانوا أربع مئة، فلما فزع من قتلهم انفتق عرقه.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: حضر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبو بكر، وعمر، وسعد بن معاذ، وهو يموت في القبة التي ضربها عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد، قالت: والذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر، وإني لفي حجرتي، فكأنهما كما قال الله تعالى: ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩].

وعن محمود بن لبيد قال: لما أصيب أكحل سعد، فثقل؛ حولوه عند امرأة يقال لها: رفيدة، وكانت تداوي الجرحى، فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا مر به يقول: «كيف أمسيت، وكيف أصبحت؟» فيخبره حتى كانت الليلة التي نقله قومه فيها وثقل احتملوه إلى بني عبد الأشهل إلى منازلهم، وجاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقيل: انطلقوا به، فخرج، وخرجنا معه، وأسرع حتى تقطعت شسوع نعالنا، وسقطت أرديتنا، فشكا ذلك إليه أصحابه فقال: «إني أخاف أن تسبقنا الملائكة فتغسله كما غسلت

حنظلة»، فانتهى إلى البيت، وهو يغسل، وأمه تبكيه، وعبد الله بن شداد يقول: دخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سعد وهو يكيد نفسه فقال: «**جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ سَيِّدِ قَوْمٍ، فَقَدْ أَنْجَزْتَ مَا وَعَدْتَهُ، وَلَيُنْجِزَنَّكَ اللَّهُ مَا وَعَدَكَ**» [سير أعلام النبلاء].

وعن عائشة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لَوْ نَجَا أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ، لَنَجَا مِنْهَا سَعْدٌ**» [سير أعلام النبلاء].

وعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ**» [صحيح البخاري]، وفي رواية: «**اهتز العرش لموت سعد فرحًا به**»، وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَذَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَنْزِلُوا إِلَى الْأَرْضِ قَبْلَ ذَلِكَ**» [سير أعلام النبلاء].

وثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال في حلة تعجبوا من حسنها: «**لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا**» [انظر: صفة الصفوة، ومختصر سير أعلام النبلاء].

❋ ❋ ❋

٥٨- عبد اللّه بن رواحة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

عن أبي الدرداء قال: لقد رأيتنا مع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في بعض أسفاره في اليوم الحار الشديد الحر حتى إن الرجل ليضع يده على رأسه من شدة الحر، وما في القوم صائم إلا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وعبد الله بن رواحة. [متفق عليه].

وبكى عبد الله بن رواحة، فبكت امرأته، فقال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت لبكائك، قال: لكني بكيت من قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم:٧١]؛ فأيقنت أني واردها، ولم أدر أأنجو منها أم لا؟

وعن عروة بن الزبير قال: لما تجهز الناس وتهيئوا للخروج إلى مؤتة، قال للمسلمين: صحبكم الله، ودفع عنكم، قال عبد الله بن رواحة:

لكني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرع تقذف الزبدا

أو طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقولوا إذا مروا على حدثي أرشدك الله من غاز وقد رشدا

قال: ثم مضوا حتى نزلوا أرض الشام، فبلغهم أن هرقل قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضمت إليه المستعربة من لخم، وجذام، وبلقين، وبهرا، وبلى في مائة ألف، فأقاموا ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتب لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فنخبره بعدد عدونا، قال: فشجع عبد الله بن رواحة الناس

ثم قال: والله يا قوم إن الذي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة، ما نقاتل العدو بعدة، ولا بقوة، ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي أحدى الحسنين: إما ظهور، وإما شهادة، قال: فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة، فمضى الناس.

وعن الحكم بن عبد السلام أن جعفر بن أبي طالب حين قتل دعا الناس: يا عبد الله بن رواحة، وهو في جانب العسكر فتقدم فقاتل فأصيبت إصبعه فارتجز فجعل يقول:

هل أنت إلا إصبع دميت — وفي سبيل الله ما لقيت

يا نفس إلا تقتلي تموتي — هذا حياض الموت قد صليت

وما تمنيت فقد لقيت — إن تفعلي فعلهما هديت

وإن تأخرتي فقد شقيت

ثم قال: يانفسي إلى أي شيئ تتوقين؟ إلى فلانة؟ هي طالق ثلاثًا، وإلى فلان، وفلان؟ غلمان له، وإلى معجف، حائط له، فهو لله ولرسوله.

يا نفس مالك تكرهين الجنة ؟ — أقسم بالله لتنزلنه

طائعة أو لتكرهنه — فطال ما قد كنت مطمئنة

هل أنت إلا نطفة في شنة — قد أجلب الناس وشدوا الرنة

وعن عبد الله بن الزبير قال: لما أصيب القوم، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما بلغني: أخذ زيد الراية فقاتل حتى قتل شهيدًا، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدًا، ثم صمت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان في عبد الله بعض ما يكرهون، ثم قال: ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدًا [انظر: أسد الغابة، وحلية الأولياء، وصفة الصفوة].

* * *

٥٩- عبد اللّه بن حرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

عن جابر بن عبد الله قال: لما قتل أبي يوم أحد جعلت أكشف الثوب عن وجهه، وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينهوني، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينهاني، قال: وجعلت عمتي فاطمة تبكي عليه، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَبْكِينَ أَوْ لَا تَبْكِينَ مَا زَالَتْ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ**» [صحيح البخاري].

وعن جابر بن عبد الله قال: بعد قتل أبي في أحد لقيني رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أيام فقال: «**أي بني ألا أبشرك؟؛ إن الله تعالى أحيا أباك، فقال: تمنه، فقال: يا رب أتمنى يا رب أن تعيد روحي، وتردني إلى الدنيا حتى أقتل مرة أخرى، قال: إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون**» [صحيح رواه الترمذي]، [وانظر: صفة الصفوة].

* * *

٦٠- أبو طلحة زيد بن سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصار المدينة مالًا، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]، قال أبو طلحة: يا رسول الله، الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]، اللهم إن أحب أموالي إليَّ بيرُحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَخ، وذاك مال رابح، ذاك مال رابح، وقد سمعت، وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين**»، **فقال أبو طلحة**: أفعل يا رسول الله، قال: فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه [متفق عليه].

وعن أنس: كان أبو طلحة بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرفع رأسه من خلفه ينظر إلى مواقع نبله، قال: فيتطاول أبو طلحة بصدره؛ يقي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقول: يا رسول الله نحري دون نحرك. [رواه الإمام أحمد].

وقال أنس: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة**».
[صحيح، رواه الإمام أحمد].

وعن أنس أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من قتل قتيلًا فله سلبه**»، فقتل أبو طلحة يومئذٍ عشرين رجلًا؛ فأخذ أسلابهم [صحيح، رواه أبو داود].

وعن أنس أن أبا طلحة ما أفطر بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا في مرض أو سفر؛ حتى لقي الله.

وعن أنس أن أبا طلحة غزا البحر فمات، فلم يوجد له جزيرة يدفن فيها سبعة أيام، فلم يتغير [انظر: صفة الصفوة].

❊ ❊ ❊

٦١- البراء بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أخو أنس بن مالك، شهد أحدًا، وما بعدها مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان شجاعًا، قتل مائة مبارزة.

قال محمد بن سيرين: كتب عمر: لا تستعملوا البراء على جيش من جيوش المسلمين؛ فإنه مهلكه؛ يقدم بهم.

وعن ابن سيرين: أن المسلمون انتهوا إلى حائط قد أغلق بابه، فيه رجال من المشركين؛ فجلس البراء بن مالك على ترس، وقال: ارفعوني برماحكم، فألقوني إليهم؛ ففعلوا، فأدركوه وقتل منهم عشرة.

وقال أنس بن مالك: ركب البراء فرسًا يوم اليمامة، ثم قال: أيها الناس، إنها والله الجنة، وما لي إلى المدينة سبيل، ثم كبس وكبس الناس معه، فهزم الله المشركين.

وعن أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَمْ مِنْ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ ذِي طِمْرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ**» [رواه الترمذي بإسناد حسن].

وقد لقي البراء زحفًا من المشركين، وقد أوجع المشركون في المسلمين، فقالوا له: يا براء، إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أنك لو أقسمت على الله لأبرَّك**»، فأقسم على الله، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم؛ فمنحوا أكتافهم، ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجعوا في المسلمين فقالوا: أقسم يا براء على ربك، فقال:

أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فمنحوا أكتافهم، وقتل البراء شهيدًا [انظر: صفة الصفوة].

* * *

٦٢- جليبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كان فقيرًا، ولم يكن ذا وجه جميل، وأراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يزوجه؛ فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خطب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جليبيب امرأة من الأنصار إلى أبيها، فقال: حتى أستأمر أمها، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فنعم إذًا**» قال: فانطلق الرجل إلى امرأته فذكر ذلك لها، فقالت: لا ها، الله، إذًا ما وجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا جليبيبًا وقد منعناها من فلان وفلان؟ قال: والجارية في سترها تستمع. قال: فانطلق الرجل يريد أن يخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، فقالت الجارية: أتريدون أن تردوا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمره؟ إن كان قد رضيه لكم؛ فأنكحوه قال: فكأنها جلَّت عن أبويها، وقالا: صدقت. فذهب أبوها إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إن كنت قد رضيته فقد رضيناه. قال: «**فإني قد رضيته**»؛ فزوجها، ثم فزع أهل المدينة، فركب جليبيب فوجدوه قد قتل، وحوله ناس من المشركين قد قتلهم، قال أنس: لقد رأيتها وإنها لمن أنفق ثيب في المدينة [رواه أحمد بإسناد صحيح، رجاله رجال الشيخين]، وفي رواية: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا لها، فقال: «**اللَّهُمَّ صُبَّ عَلَيْهَا الْخَيْرَ صَبًّا وَلَا تَجْعَلْ عَيْشَهَا كَدًّا كَدًّا**»، قال أبو برزة الأسلمي: فما كان في الأنصار أيم أنفق منها.

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي برزة الأسلمي، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في مغزىً له، فأفاء الله عليه، فقال لأصحابه: «**هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟**» قالوا: نعم، فلانًا، وفلانًا، وفلانًا، ثم قال: «**هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟**» قالوا: نعم، فلانًا،

وفلانًا، وفلانًا، ثم قال: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟» قالوا: لا، قال: «لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيبًا، فَاطْلُبُوهُ»؛ فطلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوه، فأتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوقف عليه، فقال: «قَتَلَ سَبْعَةً ثُمَّ قَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ هَذَا مِنِّي»، قال: فوضعه على ساعديه ليس له إلا ساعدا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: فحفر له ووضع في قبره، ولم يذكر غسلًا.

❊ ❊ ❊

٦٣- عباد بن بشر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: تهجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيتي، فسمع صوت عباد يصلي في المسجد، فقال: يا عائشة، أصوت عباد هذا؟ قالت: نعم، قال: اللهم ارحم عبادًا، وفي رواية: اللهم اغفر له.

شهد عباد بن بشر مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشاهده كلها، وكان له في كل منها موقفًا يليق بحامل القرآن، ومن ذلك:

أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قفل عائدًا من غزوة ذات الرقاع، نزل بالمسلمين في شعب من الشعاب ليقضوا ليلتهم فيه، وكان أحد المسلمين قد سبيى في أثناء الغزوة امرأة من نساء المشركين في غيبة زوجها، فلما حضر الزوج ولم يجد امرأته أقسم باللات والعزى ليلحق بمحمد وأصحابه، وألا يعود إلا إذا أراق منهم دمًا، فما كاد المسلمون ينيخون رواحلهم في الشعب، حتى قال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من يحرسنا في ليلتنا هذه؟**»، فقام إليه عباد بن بشر وعمار بن ياسر، فقالا: نحن يا رسول الله، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخى بينهما حين قدم المهاجون على المدينة، فلما خرج إلى فم الشعب قال عباد بن بشر لأخيه عمار بن ياسر: أي شطري الليل تؤثر أن تنام فيه؛ أوله أم آخره؟ فقال عمار: بل أنام في أوله. ثم اضطجع غير بعيد عنه، وكان الليل ساجيًا هادئًا وادعًا، فكان النجم والشجر والحجر تسبح بحمد ربها وتقدس له، فطاقت نفس عباد بن بشر إلى العبادة، واشتاق قلبه إلى القرآن،

وكان أحلى ما يحلو له القرآن إذا رتله مصليًا؛ فيجمع متعة الصلاة إلى المتعة التلاوة، فتوجه إلى القبلة، فدخل الصلاة، وطفق يقرأ من سورة الكهف بصوته الشجي الندي العذب، وفيما هو سابح في هذا النور الإلهي الأسنى غارق في لألاء ضيائه، أقبل الرجل يحث الخطى، فلما رأى عبادًا من بعيد منتصبًا على فم الشعب؛ عرف أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بداخله، وأنه حارس القوم، فوتر قوسه، وتناول سهمًا من كنانته رماه به فوضعه فيه، فانتزعه عباد من جسده، ومضى متدفقًا في تلاوته، وغارقًا في صلاته، فرماه الرجل بآخر، فوضعه فيه، فانتزعه كما انتزع سابقه، فرماه بثالث، فانتزعه كما انتزع سابقيه، وزحف حتى غدا قريبًا من صاحبه، فأيقظه قائلًا: انهض، فقد أثخنتني الجراح، فلما رآهما الرجل ولى هاربًا، والتفت عمار بن ياسر إلى عباد بن بشر، فرأى الدماء تنزف غزيرة من جراحه الثلاثة، فقال له: سبحان الله، هلَّا أيقظتني عند أول سهم رماك به؟ فقال عباد: كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أفرغ منها، وأيم الله لولا خوفي أن أضيع ثغرًا أمرني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفظه؛ لكان قطع نفسي أحب إليَّ من قطعها.

* * *

٦٤- لا نعرف اسمه، ولكن اللّه يعلمه

عن شداد بن الهاد، أن رجلًا من الأعراب جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة؛ غنم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبيًا، فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟، قالوا: قسم قسمه لك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخذه فجاء به إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ما هذا؟ قال: **«قسمته لك»**، قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى ها هنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم؛ فأموت فأدخل الجنة فقال: **«إِنْ تَصْدُقْ اللَّهَ يَصْدُقْكَ»**، فلبثوا قليلًا ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أهو هو؟»** قالوا: نعم، قال: **«صدق الله فصدقه»**، ثم كفنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قدَّمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: **«اللّٰهُمَّ هذا عبدك خرج مهاجرًا في سبيلك فقتل شهيدًا أنا شهيد على ذلك»**.

[رواه النسائي بسند صحيح]

* * *

٦٥- عثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أسلم قبل دخول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين، وحرَّم الخمر في الجاهلية، وقال: لا أشرب شيئًا يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني، ويحملني على أن أُنكح كريمتي من لا أريد، وشهد بدرًا، وكان متعبدًا، توفي في شعبان على رأس ثلاثين شهرًا من الهجرة، وقبل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خدَّه، وهو أول من دفن بالبقيع.

عن عبد الرحمن بن عوف قال: لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البلاء، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة، قال: والله إن غُدوّي ورواحي آمنًا بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من الأذى والبلاء مالا يصيبني، لنقصٌ كبير في نفسي؛ فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس وفَّت ذمتك، قد رددتُ إليك جوارك. قال: لِم يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي. قال: لا، ولكني أرضى بجوار الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا أريد أن أستجير بغيره. قال: فانطلِقْ إلى المسجد فاردُد عليّ جِواري علانيَةً كما أجرتك علانية. قال: فانطلقنا ثم خرجنا حتى أتينا المسجد، فقال لهم الوليد: هذا عثمان قد جاء يرد علي جواري. قال: قد صدق، وقد وجدته وفيًّا كريم الجوار، ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره. ثم انصرف عثمان ولبيدُ بن ربيعة في مجلس من مجالس قريش يُنشدهم، فجلس معهم عثمان،

فقال لبيد وهو ينشدهم:

ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل

فقال عثمان: صدقت، فقال:

وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائل

فقال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول. **فقال لبيد:** يا معشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكُم فمتى حدث فيكُم هذا؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجِدنّ في نفسك من قوله. فرد عليه عثمان حتى شري أمرهما. فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضّرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ. فقال: أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنيَّة، لقد كنت في ذمة منيعة. فقال عثمان: بلى والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها في الله، وإني في جوار مَن هو أعزّ منك وأقدر.

وعن عائشة قالت: دخلت عليّ امرأة عثمان بن مظعون وهي باذّة الهيئة، فسألتها عن ذلك فقالت: زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، فدخل النبي ﷺ فذكرتُ ذلك له؛ فلقي رسولَ الله ﷺ فقال: «**يَا عُثْمَانُ إِنَّ الرَّهْبَانِيَّةَ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْنَا أَفَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٌ فَوَاللَّهِ إِنِّي أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَحْفَظُكُمْ لِحُدُودِهِ**».

وعن ابن عباس: أن النبي ﷺ دخل على عثمان بن مظعون وهو ميت، قال: فرأيت دموع رسول الله ﷺ تسيل على خد عثمان بن مظعون.

[انظر: صفة الصفوة]

٦٦- عبد اللّه بن حذافة السهمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي السنة التاسعة عشر من الهجرة بعث عمر بن الخطاب جيشًا لحرب الروم، وفيه عبد الله بن حذافة السهمي، وكان قيصر عظيم الروم قد بلغته أخبار المسلمين وما يتصفون به من صدق الإيمان ورسوخ العقيدة واسترخاص النفس في سبيل الله ورسوله، فأمر رجاله إذا ظفروا بأسير من أسرى المسلمين أن يبقوا عليه، وأن يأتوه به حيًّا.

وشاء الله تعالى أن يقع عبد الله بن حذافة السهمي أسيرًا في أيدي الروم، فحملوه إلى مليكهم، وقالوا: إن هذا من أصحاب محمد السابقين إلى دينه، قد وقع أسيرًا في أيدينا، فأتيناك به، فنظر ملك الروم إلى عبد الله بن حذافة طويلًا، ثم بادره قائلًا: إني أعرض عليك أمرًا، قال: وما هو؟ فقال: أعرض عليك أن تتنصر؛ فإن فعلت خليت سبيلك وأكرمت مثواك، فقال عبد الله: هيهات، إن الموت لأحب إليَّ ألف مرة مما تدعوني إليه، فقال قيصر: إني لأراك رجلًا شهمًا، فإن أجبتني إلى ما أعرضه عليك؛ أشركتك في أمري، وقاسمتك سلطاني، فتبسم عبد الله، الأسير المقيد بقيوده، وقال: والله لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد طرفة عين ما فعلت، قال: إذًا أقتلك! قال: أنت وما تريد. ثم أمر به فصلب، وقال لقنَّاصته: ارموه قريبًا من يديه، وهو يعرض عليه التنصر، فأبى، فقال: ارموه قريبًا من رجليه، وهو يعرض عليه مفارقة

دينه، فأبى، وعند ذلك أمرهم أن يكفوا عنه، وطلب إليهم أن ينزلوه عن خشبة الصلب، ثم دعا بقدر عظيمة، فصُبَّ فيها الزيت، ورفعت على النار حتى غلت، ثم دعا بأسيرين من أسارى المسلمين، فأمر بأحدهما أن يلقى فيها، فإذا لحمه يتفتت، وإذا عظامه تبدو عارية، ثم التفت إلى عبد الله بن حذافة ثم التفت إلى عبد الله بن حذافة ودعاه إلى النصرانية، فكان أشد إباء لها من قبل، فلما يئس منه، أمر به أن يلقى في القدر التي ألقي فيها صاحباه فلما ذُهب به دمعت عيناه، فقال رجال قيصر لملكهم: إنه قد بكى، فظن أنه قد جزع وقال: ردوه إلي، فلما مثل بين يديه عرض عليه النصرانية؛ فأباها، فقال: ويحك،فما الذي أبكاك إذا؟ فقال: أبكاني أني قلت في نفسي: تلقى الآن في هذه القدر، فتذهب بنفسك، وقد كنت أشتهي أن يكون لي بعدد ما في جسدي من شعر أنفس فتلقى كلها في هذا القدر في سبيل الله. فقال الطاغية: هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك؟ فقال له عبد الله: وعن جميع أسارى المسلمين أيضًا؟ قال: وعن جميع أسارى المسلمين أيضًا. قال عبد الله: فقلت في نفسي: عدو من أعداء الله، أقبل رأسه فيخلي عني وعن أسارى المسلمين جميعًا، لا ضير في ذلك عليَّ، ثم دنا منه، وقبل رأسه، فأمر ملك الروم أن يجمعوا له أسارى المسلمين، وأن يدفعوهم إليه فدفعوا له. فلما قدم عبد الله بن حذافة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخبره خبره، فسر به عمر أعظم السرور، ولما نظر إلى الأسرى قال: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبدالله بن حذافة، وأنا أبدأ بذلك، ثم قام، وقبل رأسه [انظر: صور من حياة الصحابة لعبد الرحمن رأفت الباشا].

٦٧- صحابي وقع أجره على الله

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

وعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ قَالَ: هَاجَرَ خَالِدُ بْنُ حِزَامٍ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَنَهَشَتْهُ حَيَّةٌ فِي الطَّرِيقِ فَمَاتَ، فَنَزَلَتْ فِيهِ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

[رواه أبي حاتم]

قَالَ الزُّبَيْرُ: فَكُنْتُ أَتَوَقَّعُهُ وَأَنْتَظِرُ قُدُومَهُ وَأَنَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَمَا أَحْزَنَنِي شَيْءٌ حُزْنَ وَفَاتِهِ حِينَ بَلَغَنِي؛ لِأَنَّهُ قَلَّ أَحَدٌ مِمَّنْ هَاجَرَ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا مَعَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ، أَوْ ذَوِي رَحِمِهِ، وَلَمْ يَكُنْ مَعِي أَحَدٌ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَلَا أَرْجُو غَيْرَهُ.

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ سَبَبَ النُّزُولِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَرَجَ ضَمْرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

[رواه أبي حاتم]

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِي ضَمْرَةَ بْنِ الْعِيصِ الزُّرَقِيِّ، الَّذِي كَانَ مُصَابَ الْبَصَرِ، وَكَانَ بِمَكَّةَ فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ

حِيلَةً ﴾ فَقُلْتُ: إِنِّي لَغَنِيٌّ، وَإِنِّي لَذُو حِيلَةٍ، (قَال) فَتَجَهَّزَ يُرِيدُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ بِالتَّنْعِيمِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: **قَوْلُهُ:** ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ هَذَا تَحْرِيضٌ عَلَى الْهِجْرَةِ، وَتَرْغِيبٌ فِي مُفَارَقَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ حَيْثُمَا ذَهَبَ وَجَدَ عَنْهُمْ مَنْدُوحَةً وَمَلْجَأً يَتَحَصَّنُ فِيهِ، وَ «الْمُرَاغَمُ» مَصْدَرٌ، تَقُولُ الْعَرَبُ: رَاغَمَ فُلَانٌ قَوْمَهُ مُرَاغَمًا وَمُرَاغَمَةً، قَالَ نَابِغَةُ بَنِي جَعْدَةَ.

كَطَوْدٍ يُلَاذُ بِأَرْكَانِهِ عَزِيزُ الْمُرَاغَمِ وَالْمَهْرَبِ

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «الْمُرَاغَمُ»: التَّحَوُّلُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ.

وَكَذَا رُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، الثَّوْرِيِّ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا ﴾ يَعْنِي: مُتَزَحْزَحًا عَمَّا يُكْرَهُ. وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: ﴿ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا ﴾ **يَعْنِي**: بُرُوجًا.

وَالظَّاهِرُ - وَاللهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُ التَّمَنُّعُ الَّذِي يُتَحَصَّنُ بِهِ، وَيُرَاغَمُ بِهِ الْأَعْدَاءُ.

قَوْلُهُ: ﴿ وَسَعَةً ﴾ **يَعْنِي**: الرِّزْقَ. قَالَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، مِنْهُمْ: قَتَادَةُ، حَيْثُ قَالَ فِي **قَوْلِهِ:** ﴿ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ **أَي**: وَاللهِ، مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى الْهُدَى، وَمِنَ الْقِلَّةِ إِلَى الْغِنَى.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾

أَيْ: وَمَنْ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ بِنِيَّةِ الْهِجْرَةِ، فَمَاتَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، فَقَدْ حَصَلَ لَهُ مِنَ اللهِ

ثَوَابُ مَنْ هَاجَرَ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الصِّحَاحِ وَالْمَسَانِيدِ وَالسُّنَنِ، مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**».

وَهَذَا عَامٌّ فِي الْهِجْرَةِ وَفِي كُلِّ الْأَعْمَالِ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الثَّابِتُ فِي الصَّحِيحَيْنِ فِي الرَّجُلِ الَّذِي قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا. ثُمَّ أَكْمَلَ بِذَلِكَ الْعَابِدِ الْمِائَةَ، ثُمَّ سَأَلَ عَالِمًا: هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ ثُمَّ أَرْشَدَهُ إِلَى أَنْ يَتَحَوَّلَ مِنْ بَلَدِهِ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ يَعْبُدُ اللهَ فِيهِ، فَلَمَّا ارْتَحَلَ مِنْ بَلَدِهِ مُهَاجِرًا إِلَى الْبَلَدِ الْآخَرِ، أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَ هَؤُلَاءِ: إِنَّهُ جَاءَ تَائِبًا. وَقَالَ هَؤُلَاءِ: إِنَّهُ لَمْ يَصِلْ بَعْدُ. فَأُمِرُوا أَنَّ يَقِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَقْرَبُ كَانَ مِنْهَا، فَأَمَرَ اللهُ هَذِهِ أَنْ تَقْرُبَ مِنْ هَذِهِ، وَهَذِهِ أَنْ تَبْعُدَ فَوَجَدُوهُ أَقْرَبَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ إِلَيْهَا بِشِبْرٍ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ.

وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ لَمَّا جَاءَهُ الْمَوْتُ نَاءَ بِصَدْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ إِلَيْهَا.

عن عبد الله بن عتيك عن أَبِيهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَتِيكٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ خَرَجَ مَنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ - ثُمَّ قَالَ بِأَصَابِعِهِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثِ: الْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةِ وَالْإِبْهَامِ، فَجَمَعَهُنَّ وَقَالَ: وَأَيْنَ الْمُجَاهِدُونَ -؟ فَخَرَّ عَنْ دَابَّتِهِ**

فَمَاتَ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، أَوْ لَدَغَتْهُ دَابَّةٌ فَمَاتَ، فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ أَوْ مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ، فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ - وَاللَّهِ! إِنَّهَا لَكَلِمَةٌ مَا سَمِعْتُهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ قُتِلَ قَعْصًا فَقَدِ اسْتَوْجَبَ الْمَآبَ».

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ خَرَجَ حَاجًّا فَمَاتَ، كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْحَاجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فَمَاتَ، كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْمُعْتَمِرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَاتَ، كُتِبَ لَهُ أَجْرُ الْغَازِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

[أخرجه الحافظ أبو يعلى]

***

٦٨-٧٤- آية نزلت فى صدق صحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكان عددهم سبعة

قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة:٩٢].

نزلت فى البكائين وكانوا سبعة: معقل بن يسار، وصخر بن خنيس، وعبد الله بن كعب الأنصاري، وسالم بن عمير، وثعلبة بن غنمة، وعبد الله بن مغفل، أتوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: يا نبي الله إن الله عَزَّ وَجَلَّ قد ندبنا للخروج معك، فاحملنا على الخفاف المرفوعة والنعال المخصوفة، نغزو معك فقال: ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾.

وقال مجاهد: نزلت فى بني مقرن: معقل وسويد والنعمان.

[تفسير ابن جرير]

تفسير الآية

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة:٩٢].

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: كَانُوا سَبْعَةَ نَفَرٍ، مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ: سَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَمِنْ بَنِي وَاقِفٍ: هَرَمِيُّ بْنُ عَمْرٍو، وَمِنْ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ

كَعْبٍ - وَيُكَنَّى أَبَا لَيْلَى - وَمِنْ بَنِي الْمُعَلَّى: سَلْمَانُ بْنُ صَخْرٍ، وَمِنْ بَنِي حَارِثَةَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ أَبُو عَبْلَةَ، وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِعِرْضِهِ فَقَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ، وَمِنْ بَنِي سَلَمَةَ: عَمْرُو بْنُ عَنَمَةَ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو الْمُزَنِيُّ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ الْأَوْدِيُّ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ الرَّبِيعِ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ خَلَّفْتُمْ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، وَلَا نِلْتُمْ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا وَقَدْ شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ، ثُمَّ قَرَأَ**: ﴿إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ **الْآيَةَ**».

وَأَصْلُ هَذَا الْحَدِيثِ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، وَلَا سِرْتُمْ (مَسِيرًا) إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ**». قَالُوا: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**».

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ خَلَّفْتُمْ بِالْمَدِينَةِ رِجَالًا مَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، وَلَا سَلَكْتُمْ طَرِيقًا إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ، حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ**».

[رواه الإمام أحمد، ورواه مسلم، وابن ماجه]

ثُمَّ رَدَّ تَعَالَى الْمَلَامَةَ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَ فِي الْقُعُودِ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ، وَأَنَّبَهُمْ فِي رِضَاهُمْ بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ النِّسَاءِ الْخَوَالِفِ فِي الرِّحَالِ، ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٩٣].


شباب صدقوا في نشأتهم
في طاعة الله

٧٥- علي بن الفضيل بن عياض

قال الإمام الذهبي: كان علي قانتًا لله، خاشعًا، وجلاً، ربانيًا، كبير الشأن.

وقال الخطيب: مات علي قبل أبية بمدَّة من آية سمعها تُقرأ، فغشي عليه، وتُوفيِّ في الحال.

وعن فضيل بن عياض قال: بكى ابنى عليّ فقلت: يا علي ما يبكي؟ قال: يا أبة أخاف ألا تجمعنا القيامة.

وعن محمد بن الحسن قال: كان علي بن الفضيل يصلي حتى يزحف إلى فراشه ثم يلتفت إلى أبيه: يا أبة سبقنى العابدون وعن سفيان بن عيينة قال: ما رأيت أحد أخوف من الفضيل وابنه.

وقال أبو بكر عياش: صلَّيتُ خلف فُضيل ابن عياض المغرب وابنُه عليُّ إلى جانبي، فقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ فلما قال ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ سقط عليُّ وجهه مَغشيًا عليه.

وقال محمد ناحية، قال: صليتُ خلف الفضيل، فقرأ: (الحاقة) في الصُّبح. فلما بلغ إلى قوله: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ غلبه البكاء، فسقط ابنه عليُّ على وجهه مغشيًا عليه.

وعن عبد الصمد بن يزيد، قال: سمعت عليّ ابن الفضيل وهو يقول: النار، ومتى الخلاص من النَّار؟ وقال لي: يا أبت، سَلِ الذي وهبني لك في الدنيا أن يهبني

لك في الآخرة، ثم قال: لم يَزَلْ مُنْكَسِر القلب حزينًا. ثم بكى الفضيل، ثم قال: كان يُساعدني على الحزن والبكاء، يا ثمرة قلبي، شَكَرَ الله لك ما قد علمه فيك.

وقال أبو سليمان الدَّارانيّ: كان عليّ بنُ الفُضَيْل لا يستطيع أن يقرأ: (القارعة) ولا تُقْرأ عليه.

وعن إبراهيم بن بشار يقول الآية التي مات فيها علي بن الفُضَيْل، في الأنعام: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ [الأنعام:٢٧]. مع هذا الموضوع مات. وكنت فيمن صلىَّ عليه، رَحِمَهُ ٱللَّهُ [صفة الصفوة، مختصر سير أعلام النبلاء].

* * *

٧٦- عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز

روى الحافظ أبو نعيم عن بعض مَشيخَةِ أهل الشام قال: كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما أدخَلَهُ في العبادة ما رأى من ابِنهِ عبدِ الملك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال عاصم بن أبي بكر: وفدتُ إلى سليمانَ بن عبد الملك، ومعنا عُمر بن عبد العزيز، فنزلتُ على ابِنهِ عبد الملك وهو عزب، فكنتُ معه في بيتٍ فصلينا العشاء، وأوى كل رجلٍ منا إلى فراشه. ثم قام عبدُ الملك إلى المصباح فأطفاه، ثم قامَ يصليّ حتى ذهبَ بي النوم، فاستيقظتُ فإذا هو في هذه الآية: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴾ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧]، فيبكي، ثم يرجع إليها، فإذا فَرغَ منها فعل مثل ذلك، حتى قلتُ: سيقْتُلُهُ البُكاءُ، فلما رأيت ذلك قلت: لا إله إلا الله والحمد لله كالمستيقظ من النوَّم لقطع ذلك عليه، فلما سمعني سَكَتَ فلم أسمع له حسًّا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وعن حفص ابن عمر: أن عمر بن عبد العزيز جمع الناس واستشارهم في رد مظالم الحَجّاجِ.

فكان كلما استشارَ رجلاً قال له: يا أمير المؤَمنين ذاك أمرٌ كان في غير سلطانِكَ ولا ولايتك.

فكان كلما قال له رجل ذلك أقامه، حتى خلص بإبنه عبد الملك، فقال له ابنه عبد الملك: يا أَبَهْ، ما من رجل استطاع أن يردَّ مظالمَ الحجاج، إلا يشاركه فيه. فقال عمر: لولا أنك ابني، لقلت إنك أفقهُ الناس.

وقال عمر بن عبد العزيز: لولا أن أكونَ زُين لي من أمر عبد الملك ما يزين في عين الوالد من ولده، لرأيتُ أنَّهُ أهلٌ للخلافة.

وروى أبو بكر الآجري في كتاب (فضائل عمر بن عبد العزيز) لما دَفَنَ سليمان بن عبد الملك، خطب الناس ونزل ثم ذهب يتبوَّأ مقيلاً، فأتاهُ ابنُهُ عبدُ الملك فقال: يا أمير المؤمنين، من لك أن تعيش إلى الظهر قال: أدنُ مني أي بني، فدنا منه والتزمه وقبل بين عينيه، وقال الحمد لله الذي أخرج من صُلْبي من يعينُني على ديني، فخرج فلم يقلْ، وأمر مناديه أن ينادي: ألا من كانت له مَظْلَمَةٌ فليرفعها.

وروي الحافظ أبو نعيم: أن عبد الملك دخل على أبيه فقال: يا أمير المؤمنين ماذا تقول لربك إذا أتيته وقد تركت حقًا لم تُحيِهِ وباطلاً ولم تُمتهُ؟

ودخل عبد الملك بن عمر على ابيه فقال له: ماذا أنت قائل لربك غدًا إذا سألك فقال: رأيت بدعًة فلم تمتها وسُنَّة فلم تُحيها؟ فقال له: يا بنى أشىُء حمَّل الرعيةُ إلَيَّ أم رأيٌ رأيتهُ من قبل نفسك؟ قال: لا والله ولكن رأيٌ رأيته من قبل نفسي وعرفت أنك مسئول فما أنت قائلٌ؟ فقال عمر: رحَمكَ الله وجزاك عن والدك خيرًا فو الله إني لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير وعن ميمون بن مهران: أن عبد الملك

بن عمر قال لأبيه يومًا: يا أبة ما منعك أن تمضي لما تريد من العدل؟ فوالله ما كنت أبالى لو غلَت بي وبك القدور في ذلك.

وقال سعيد بن عامر: قال عمر بن العزيز لعبد الملك ابنه: ما شيء كنت أحب أن أراه فيك إلا قد رأيته إلا شيئًا واحدًا. قال: ما هو؟ قال: موتك قال: أراك الله فيه.

وعن سليمان المحاربى: أن عبد الملك بن عمر أصابه الطاعون فى خلافة أبيه فمات.

وروى ابن أبى الدنيا: أن عمر بن عبد العزيز دخل على ابنه فى وجعه فقال: يا بنى كيف تجُد؟ قال: أجدنى فى الحق. قال يا بنى إن تكون فى ميزاني أحبُ إلي من أن أكون في ميزانك فقال ابنه: وأنا يا أبي لئن أكون ما تحبُّ أحب إلي من أن يكون ما أُحب.

وعن أبى عتبة: أن عبد الملك بن عمر كان ابن تسعَ عشر سنة حين مات

[رسالة فى مناقب عبد الملك للإمام ابن رجب].

* * *

٧٧- زوج المرضية

عن عبد الواحد بن يزيد قال: بينما أنا يومًا في مجلسنا هذا وقد تهيأنا للخروج إلي الغزو وقد أمرت أصحابى أن يتهيؤا غداة الاثنين وقد قرأ رجل في مجلسنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١].

فقام غلام ابن خمس عشر سنة أو نحو ذلك وقد مات أبوه وأورثه مالًا كثيرًا .

فقال: يا عبد الواحد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ فقلت: نعم يا حبيبى!

فقال: إني أشهدك يا عبد الواحد: إنى قد بايعت نفسى ومالى بأن لى الجنة!!

فقلت له: إن حد السيف أشد من ذلك، وأنت صبي، وإني أخاف عليك أن لا تصبر وتعجز عن ذا البيع.

قال: يا عبد الواحد: إني أبايع الله بالجنة ثم أعجز! إني أشهدك أني بايعت الله.

فقال: فتقاصرت إلينا أنفسنا فقلنا: صبى يفعل. ونحن لا نفعل !

فخرج من ماله كله – يعنى تصدق به – إلا فرسه وسلاحه ونفقته.

فلما كان يوم الخروج كان أول من طلع علينا فقال السلام عليك يا عبد الواحد.

قلت: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ربح البيع!.

ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويرعى دوابنا ويحرسنا إذا نمنا حتى دفعنا إلى بلاد الروم فبينما نحن كذلك يومًا إذ أقبل وهو ينادي: واشوقاه إلى العيناء المرضية.

حتى قال أصحابي: لعله وسوس الغلام أو خلط عقله حتى دنا وجعل ينادي: يا عبد الواحد: لا صبر لي واشوقاه إلى العيناء المرضية.

فقلت: يا حبيبى وما هذه العيناء المرضية؟

فقال: إني غفوت غفوة فرأيت كأنه أتاني أتٍ فقال: أذهب بك إلى العيناء المرضية فهجم بى على روضة فيها شط نهر من غير آسن فإذا على شط النهر جوار عليهن من الحلي والحلل ما لا أصف فلما رأيتنني استبشرن وقلن: هذا زوج العيناء المرضية قد قدم فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية؟

فقلنا: لا نحن خدم لها وإماؤها فتقدم أمامك، فتقدمت، فإذا نهر فيه لبن لم يتغير طعمه في روضة فيها من كل زينة فيها جوار فلما رأيتهن افتتنت من حسنهن وجمالهن، فلما رأينني استبشرن وقلن: هذا - والله - زوج العيناء المرضية قد قدم علينا.

فقلت: السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية؟

فقلن: وعليك السلام يا ولى الله نحن خدم لها وإماء لها فتقدم أمامك، فتقدمت، فإذا بنهر آخر من خمر على شط الوادى، فيه جوار أنسينني من خلّفت أى: تركت خلفي من الجواري.

فقلت: السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية؟

فقلن: لا، نحن إماء وخدم لها أمضِ أمامك، فتقدمت فإذا بنهر آخر من عسل مصفى وروضته فيها جوار لهن من النور والجمال ما أنساني ما خلفت.

فقلت: السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية.

قلنا: يا ولي الله نحن إماء لها امض أمامك فتقدمت، فوقعت فى خيمة من درة مجوفة على باب الخيمة جارية عليها من الحلى والحلل ما لا أصفه، فلما رأتني استبشرت، ونادت من الخيمة أيتها العيناء المرضية: هذا بعلك قد قدم.

قال: فدنوت من الخيمة.... فدخلت فيها فإذا هى على سريرها قاعدة وسريره من ذهب مكلل بالدر والياقوت فلما رأيتها افتتنت بها وهي تقول: مرحبًا بولي الرحمن، قد دنا لك القدوم علينا فذهبت لأعانقها. فقالت: مهلاً فإنه لم يأن لك أن تعانقني، فإن فيك روح الحياة وأنت تفطر عندنا الليلة- إن شاء الله تعالى**!** فانتبهت – يا عبد الواحد – ولا صبر لى عنها.

قال عبد الواحد: فما انقطع كلامنا حتى ارتفعت لنا سرية من العدو فحملنا عليهم وحمل الغلام.

قال: فعددت تسعة من العدو الذين قتلهم الغلام وكان هو العاشر فمررت به وهو يتشحط في دمه، فضحك ملء فيه حتى فارق الدنيا. ا.هـ[1].

---

(١) من كتاب (تنبيه الغافلين) وذكره ابن أبي الدنيا وكذلك ابن الجوزي، في التبصرة، من كتاب حور العين

٧٨- محمد الفاتح

وهذه أم محمد الفاتح كانت تأخذه وهو طفل صغير وقت صلاة الفجر لتريه أسوار القسطنطينية، وتقول: أنت يا محمد تفتح هذه الأسوار.

والطفل الصغير يقول: كيف يا أمي أفتح هذه المدينة الكبير؟ فكانت تقول له: بالقرآن والسلطان والسلاح وحب الناس.

وكذلك قامت بتربية هذا الطفل حتى بلغ عمره ٢٢ سنة ومات أبو السلطان مراد الثاني، دخلت أمه عليه وهو يبكي على أبيه، فقالت له: أنت تبكي؟ فماذا تفعل النساء؟ قم، القسطنطينية بانتظارك، وأعداء أبيك في كل مكان.

***

ومنامات الصالحين.

٧٩-٨٠- أولاد الخنساء الأربعة

عن عبد الرحمن بن مغراء الدوسي، عن رجل من خزاعة قال: لما اجتمع الناس بالقادسية دعت خنساء بنت عمرو النخعية بنيها الأربعة فقالت: يا بني إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم والله ما نبتْ بكم الدار ولا أقحمتكم السنة، ولا أرادكم الطمع، والله الذي لا إله إلا هو، إنكم لبنو رجل واحد كما إنكم بنو امرأة واحدة، ما خنتُ أباكم ولا فضحت خالكم، ولا غيرت نسبكم ولا أوطأت حريمكم، ولا أبحث حماكم فإذا كان غدا إن شاء الله، فاغدوا لقتال عدوكم مستنصرين الله، مستبصرين، فإذا رأيتم الحرب قد أبدت ساقها وقد ضربت رواقها فتيمموا وطيسها وجالدوا خميسها، تظفروا بالمغنم والسلامة، والفوز والكرامة في دار الخلد والمقامة، فانصرف الفتية من عندها وهم لأمرها طائعون، وبنصحها عارفون فلما لقوا العدو شد أولهم وهو يقول:

يا إخوتا إن العجوز الناصحة   قد أرشدتنا إذ دعتنا البارحة

نصيحة ذات بيان واضحة   فباكروا الحرب الضروس الكالحة

فإنما تلقون عند الصائحة   من آل ساسان كلابا نابحة

قد أيقنوا منكم بوقع الجائحة   فأنتم بين حياة صالحة

أو ميتة تورث غنما رابحة

ثم أنشد الذي يليه وهو يقول:

والله لا نعصي العجوز حرفا قد أمرتنا حدبا وعطفا
منها وبرا صادقا ولطفا فباركوا الحرب الضروس زحفا
حتى تكفوا آل كسرى كفا وتكشفوهم عن حماكم كشفا
إنا نرى التقصير عنهم ضعفا والقتل فيهم نجدة وعرفا

ثم أنشد الذي يليه وهو يقول:

لستَ لخنساء ولا للأخرم ولا لعمرو ذي السناء الأقدم
إن لم تزور في آل جمع العجم جمع أبي ساسان جمع رستم
بكل محمود اللقاء ضيغم ماض عى الهول خضم خضرم
إما لقهر عاجل أو مغنم أو لحياة في السبيل الأكرم

نفوز فيها بالنصيب الأعظم

ثم أنشد الذي يليه وهو يقول:

إن العجوز ذاتُ حزم وجلد والنظر الأوفق والرأى السدد
قد أمرتنا بالصواب والرشد نصيحة منها وبرا بالولد
فباكروا الحرب نماء في العدد إما لقهر واحتياز للبلد
أو ميتة تورث خلدا للأبد في جنة الفردوس في عيش رغد

فقاتلوا جميعًا حتى فتح الله عَزَّوَجَلَّ للمسلمين، وكانوا يعطون الفىء فيجيئون بها فيصبونها في حجرها فتقسم ذلك بينهم حفنة حفنة، فما يغادو واحد من عطائه درهمًا.

❋ ❋ ❋

٨١- أبو بكر المسكي

قيل لأبي بكر المسكي: إنا نشم رائحة المسك مع الدوام، فما سببه؟ فقال: «والله لي سنين عديدة لم أمس المسك، ولكن سبب ذلك أن امرأة احتالت عليَّ حتى أدخلتني دارها، وأغلقت دوني الأبواب وراودتني عن نفسي، فتحيرت في أمري، فضاقت بي الحيل، فقلت لها: إن لي حاجة في الطهارة، فأمرت بجارية لها تمضي بي إلى بيت الراحة -مكان قضاء الحاجة-، ففعلت، فلما دخلت بيت الراحة أخذت (العذرة) وألقيتها على جميع جسدي، ثم رجعت إليها وأنا على تلك الحالة، فلما رأتني دُهِشت، ثم أمرت بإخراجي، فمضيت إلى بيتي واغتسلت، فلما كانت تلك الليلة رأيت في المنام قائل يقول لي: فعلت ما لم يفعله أحدٌ غيرك، لأطيبن ريحك في الدنيا والآخرة، فأصبحت والمسك يفوح مني». واستمرت تلك الرائحة لا تنقطع وبقيت حتى مات [المواعظ والمجالس].

❊ ❊ ❊

٨٢- الإمام النووي

الأمام العلامة شيخ الإسلام الفقيه الزاهد الحافظ محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف ابن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام النووي أو النواوى.

ولد في المحرم سنة إحدى وثلاثون وستمائة وختم القرآن وقد ناهز الاحتلام. وقد ولد بنوى من قرى حوران بسوريا وإليها نسبته وتعلم بها القرآن ثم قدم دمشق وسكن بالمدرسة الرواحية.

درس الفقه وأصول والحديث وعلومه والنحو والتصريف والتوحيد والمنطق وحج مع أبيه وأقام بالمدينة المنورة شهرًا ونصفًا وصار إمام الشافعية في عصره وهو محقق المذهب ومهذبه ومنقحه ومرتبه حتى سار في الآفاق ذكره وعلا في العالم محله وقدره وهو صاحب التصانيف المشهورة المباركة النافعة.

قال عن نفسه: زعم بعض أجدادي أن نسبه إلى حزام والد حكيم بن حزام الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولما كان له تسع عشرة سنة قدم به والده إلى دمشق فسكن المدرسة الرواحية- كما سبق القول- وبقى نحو سنتين لا يضع جنبه على الأرض وكان قوته جراية المدرسة.

وفى الوقت حفظ التنبيه وربع المهذب وذلك سنة ٦٥٠ وصحح وشرح على شيخه كمال الدين إسحاق بن أحمد المغربي. ولازمه فأعجب به وأحبه وجعله يعيد لأكثر جماعته وأكثر انتفاعه عليه. وقد لزم الاشتغال بالعلوم حوالي عشرين عاماً حتى فاق الأقران وتقدم على جميع الطلبة وحصل فضل السبق في العلم والعمل ثم أخذ في التصنيف في حدود الستين والستمائة إلى أن توفى.

كان يقرأ على المشايخ شرحًا وتصحيحًا كل يوم اثني عشر درسا: درسين في الوسيط ودرسًا في المهذب ودرسًا في الجمع بين الصحيحين ودرسًا في صحيح مسلم ودرسًا في اللمع ودرسًا في إصلاح المنطق ودرسًا في التصريف ودرساً في أصول الفقه.

وخطر له الاشتغال في علم الطب فاشترى القانون لابن سينا وعزم على الاشتغال به قال: فأظلم على قلبي وبقيت أيامًا لا أقدر على الاشتغال بشئ ففكرت في أمري ومن أين دخل على ذلك فألهمني الله أن سببه اشتغالي بالطب فبعت القانون واستنار قلبي.

ولا عيب في علوم الطب ولكن الله قد ادخره لعلم آخر شريف هو علم الحديث وغيره.

سمع صحيح مسلم من الرصا بن البرهان.

سمع البخاري ومسند أحمد وسنن أبى داود والنسائي وابن ماجة وجامع الترمذي ومسند الشافعي وسنن الدار قطنى وشرح السنة وأشياء أخرى عديدة على مجموعة من علماء عصره.

ومن أخلاقه

يقول الإمام الاسنوى: كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ على جانب كبير من العمل والزهد والصبر على خشونة العيش وكان لا يأكل من فواكه دمشق لما في ضمانها من الحيلة والشبهة وكان يتقوت مما يأتي من بلده من عند أبويه ولا يأكل إلا أكلة واحدة في اليوم والليلة بعد عشاء الآخرة ولا يشرب واحدة عند السحور ولا يشرب بالثلج كما يعتاده الشاميون ولم يتزوج وكان كثير السهر في العبادة والتصنيف آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر يواجه به الملوك فمن دونهم وابتدأ في التصنيف في حدود ٦٦٠ هـ.

تولى دار الحديث الأشرفية بعد أبى شامة سنة خمس وستين وستمائة فلم يأخذ من معلوماتها شيئاً إلى أن توفى وكان يلبس ثوبًا قطنيًا وعمامة سختيانية.

وكان في لحيته شعرات بيض عليه سكينة ووقار في البحث مع الفقهاء وفى غيره ولم يزل على ذلك إلى أن سافر إلى بلده وزار القدس الشريف (أعاده الله ديار إسلام) وزار أيضًا الخليل ثم عاد إليها فمرض بها عند أبويه وتوفى ليلة الأربعاء رابع عشر رجب سنة ست وسبعين وستمائة ودفن ببلده رضي الله عنه وأرضاه.

وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ

مات رحمه الله بنوى عند أهله في الثلث الأخير من الليل ليلة الأربعاء أربع وعشرين من رجب سنة ست وسبعين وستمائة ودفن بها من الغد. ولما مات بنوى ارتجت دمشق وما حولها بالبكاء وتأسف عليه المسلمون أسفًا شديدًا.

[ترجمة الإمام النووي من كتاب شرح رياض الصالحين طبعة ابن الجوزي]

* * *

٨٣- إمام النحو سيبويه

قال الإمام الذهبى: هو إمام النَّحو، حجَّةُ العرب، أبو بشر وعمرو بن عثمان بن قَنْبَر الفارسيُ، ثم البحريّ وقد طلب الفقه مدَّة، ثم أقبل على العربيةَّ، فبرعَ وساد أهل العصر، وألَّف فيها كتابَهُ الكبير الذي لا يُدْرَكُ شَأْوهُ فيه، استملى على حمَّاد بن سلمه، أخذ النَّحو عن عيسى بن عُمر، ويونس بن حبيب، والخليل، وأبي الخطابِ الخفش الكبير.

ويل: كان فيه - مع فرط ذكائه - حُبسةٌ في عبارته، وانطلاقٌ في قلمِهِ.

قال إبراهيم الحربي: سُمى سيبويه، لأنَّ وجنتيه كانتا كالتُّفاحتين، بديع الحسن.

وقال العيشي: كنا نجلس مع سيبويه فى المسجد، وكان شابًا جميلاً نظيفًا، قد تعلَّق من كل علم بسبب، وضرب بسهم ف كل أدبٍ مع حداثة سنِّه.

وقيل عاش اثنين وثلاثين سنة، وقيل، نحو الأربعين [مختصر سير أعلام النبلاء].

تلامذة سيبويه

لأن القدر لم يمهله طويلاً حيث تُوُفِّي فى ريعان شبابه، فلم يكن لسيبويه تلاميذ كثيرون، وكان من أبرز من تتلمذوا على يديه ونَجَم عنه من أصحابه:

أبو الحسن الخفش، وقطرب ويقال: إنه إنما سمىّ قطربًا لأن سيبويه كان يخرج فيراه بالأسحار على بابه، فيقول له: إنما أنت قطرب ليل. والقُطْرب: ديبويه لا تزال تدبُّ، ولا تفتر.

آراء العلماء فيه

قال عنه ابن عائشة: كنا نجلس مع سيبويه النحوي فى المسجد، وكان شابًا جميلاً نظيفًا، قد تعلق من كل علم بسببٍ، وضرب فى كل أدب بسهمٍ، مع حداثة سِنّه وبراعته في النحو.

قال معاوية بن بكر العليمي: عمرو بن عثمان قد رأيته وكان حدث السن، كنت أسمع فى ذلك العصر أنه أثبتُ مَن حمل عن الخليل، وقد سمعته يتكلم ويناظر في النحو، وكانت في لسانه حُبْسة، ونظرتُ في كتابه فرأيت علمه أبلغَ من لسانه.

قال الأزهري: كان سيبويه علامة حسن التصنيف جالس الخليل وأخذ عنه، وما علمت أحدًا سمع منه كتابه لأنه احتضر شابًا، ونظرت في كتابه فرأيت فيه علمًا.

قال ابن النطاح: كنت عند الخليل بن أحمد فأقبل سيبويه فقال: مرحبًا بزائر لا يمل، فقال أبو عمر المخزومي وكان كثير المجالسة للخليل: ما سمعت الخليل يقولها لأحد إلا لسيبويه.

قال ابن كثير: وقد صنف في النحو كتابًا لا يلحق شأوه وشرحه أئمة النجاة بعده فانغمروا في لجج بحره، واستخرجوا من درره، ولم يبلغوا إلى قلمه.

قال الجاحظ فى كتاب سيبويه: لم يكتب الناس في النحو كتاب مثله وجميع كتب الناس عليه عيال.

٨٤- شاب متعبد عشقته امرأة

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان شاب على عهد عمر بن الخطاب ملازمًا المسجد والعبادة، فعشقته جارية، فأتته في خلوة، فكلمته، فحدَّث نفسه بذلك، فشهق شهقة فَغُشِيَ عليه، فجاء عمٌّ له فحمله إلى بيته، فلما أفاق قال: «يا عم! انطلق إلى عمر، فأقرئه مني السلام، وقل له ما جزاء من خاف مقام ربه؟»، فانطلق عمه، فأخبر عمر، فأتاه عمر وقد شهق الفتى شهقة فمات منها، فوقف عليه عمر وقال: لك جنتان» [ذم الهوى].

* * *

٨٥- شاب عشقته بنت الوالي

وقال الحسن بن زيد رَحِمَهُمُاللَّهُ: «ولينا بديار مصر رجل فوجد على بعض عُمّاله فحبسه وقيده، فأشرفت عليه ابنة الوالي، فَهَوَته، **فكتبت إليه:**

أيها الرامي بعينيه وفي الطرف الحتوف
إن تُرد وصلًا فقد أمْكنَكَ الظبيُ الألوف

فأجابها الفتى:

إن تريني زاني العينين فالفرج عفيف
ليس إلاّ النظر الفاتر والشعرُ الظريفُ

فأجابته:

ما تأبيتُ لأني كنت للظبي عيوفا
غير أني خفتُ ربًّا كان بي برًّا لطيفًا

فذاع الشعر، وبلغت القصة الوالي، فدعا به فزوجه إيَّاها، ودفعها إليه

[روضة المحبين ونزهة المشتاقين].

* * *

٨٦- شاب من أهل الكوفة يترك الفاحشة من أجل خوفه من عذاب الله

عن إبراهيم النخعي قال: كان بالكوفة فتى جميل الوجه شديد التعبد والاجتهاد، فنزل في جوار قوم من النَّخَع، فنظر إلى جارية منهم جميلةً فهويها وهام بها عقله، ونزل بالجارية ما نزل بالفتى .. فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبره أبوها أنها مسماةٌ لابن عم لها، فلما اشتد عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى أرسلت إليه الجارية: قد بلغني شدة محبتك لي، وقد اشتد بلائي بك .. فإن شئت زرتك، وإن شئت سهلت لَكَ أن تأتيني إلى بيتي .. فقال للرسول: ولا واحدة من هاتين الخلتين: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام:١٥].

أخاف نارًا لا يخبو سعيرها، ولا يخمد لهيبها، فلما أبلغها الرسول قالت: وأراه مع هذا يخاف الله!! والله ما أحدٌ أحق بهذا من أحدٍ، وإن العباد فيه لمشتركون، ثم إنخلعت من الدنيا، وألقت علائقها خلف ظهرها، وجعلت تتعبد.

[من كتاب العفة ومنهج الاستعفاف نقلاً من كتاب مواقف إيمانية د/ أحمد فريد]

❊ ❊ ❊


علماء صدقوا في
توبتهم مع اللّه تعالى

٨٧- توبة عابد الحرمين الفضيل بن عياض

عن إبراهيم بن الليث النخشي عن على بن خشرم قال أخبرنى رجل من جيران الفضيل بن عياض قال كان الفضيل يقطع الطريق وحده فخرج ذات ليلة ليقطع الطريق فإذا هو بقافلة قد انتهت إليه ليلاً فقال بعضهم لبعض اعدلوا بنا إلى هذه القرية فإن أمامنا رجلا يقطع الطريق يقال له الفضيل قال . فسمع الفضيل فأرعد فقال ياقوم أن الفضيل جوزوا والله لأجتهدن أن لا أعصى الله أبدا فرجع عما كان عليه اثم أضافهم تلك الليلة وقال أنتم آمنون من الفضيل وخرج يرتاد لهم علفا ثم رجع فسمع قارئا يقرأ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:١٦]، قال بلى والله قد آن فكان هذا مبتدأ توبته.

[كتاب التوابون للامام بن قدامة]

وقال الفضل بن موسى: كان الفضيل بن عياض شاطراً يقطع الطريق وكان سبب توبته أنه عشق جارية هو يرتقى الجدران إليها إذ سمع تاليًا يتلو ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:١٦]، فلما سمعها قال: بلى يارب قد آن فرجع فاواه الليل إلى جربة فإذا فيها سابلة فقال بعضهم: نرحل وقال بعضهم: حتى نصبح فإن فضلاً على الطريق يقطع علينا قال ففكرت وقلت: أنا أسعى بالليل فى المعاصى.

وقوم المسلمين هاهنا يخافون وما أرى الله ساقنى إليهم إلا لأرتدع (اللهم إني تبت إليك وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام) [تهذيب سير أعلام النبلاء].

عبادته وزهده في الدنيا

عن إبراهيم بن أحمد الخزاعى قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: لو أن الدنيا كلها بحذافيرها جعلت لى حلال لكنت أتقذرها.

وعن إسحاق بن إبراهيم قال: كانت قراءة الفضيل حزينة شهية بطيئة مترسلة كأنه يخاطب إنسانا وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة أو النار يرددها.

وكان يلقى له حصير بالليل فى مسجده فيصلى من أول الليل ساعة حتى تغلبه عينه فيلقى نفسه على الحصير فينام قليلاً ثم يقوم فإذا غلبه النوم نام ثم يقوم هكذا حتى يصبح.

وقال وسمعت الفضيل يقول: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبل كبلتك خطيئتك.

وعن منصور بن عمار قال: تكلمت يوما فى المسجد الحرام فذكرت شيئاً من صفة النارفرأيت الفضيل صاح حتى غشى عليه فطرح نفسه .

وعن أبى إسحاق قال: قال الفضيل بن عياض: لو خيرت بين أن أعيش كلبًا أو أموت كلبًا ولا أرى يوم القيامة لاخترت أن أعيش كلبًا ولا أرى يوم القيامة.

وعن مهران بن عمروالأسدى قال: سمعت الفضيل بن عياض عشية عرفة بالموقف وقد حال بينه وبين الدعاء البكاء يقول واسوأتاه وافضيحتاه وإن عفوت.

وعن إبراهيم بن الأشعت قال: سمعت فضيلًا ليلة وهو يقرأ سورة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويبكى ويردد هذه الأية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، وجعل يقول ونبلو أخباركم ويردد ويقول وتبلو أخبارنا إن بلوت أخبارنا فضحتنا وهتكت أستارنا إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا.

وعن أبي إسحاق قال: قال الفضيل بن عياض لو خيرت بين أن أعيش كلباً أو أموات كلباً ولا أرى يوم القيامة لا خترت أن أعيش كلباً أو أموت كلباً ولا أرى يوم القيامة.

قال عبد الله بن المبارك: أورع الناس الفضيل بن عياض.

وعن الهيثم بن جميل سمعت شريكًا يقول: لم يزل لكل قومٍ حجَّةُ فى أهل زمانهم وإنَّ فضيل بن عياض حجةُ لأهل زمانه.

وقال إبراهيم بن الأشعش: سمعت الفضيل يقول:من أحب أنْ يذكر لم يذكر ومن كره أن يذُكر ذُكر.

وقال عبد الصَّمد بن يزيد: سمعت الفضيل يقول لو أنَّ لى دعوة مستجابة ما جعلتها إلاَّ فى إمام، فصلاحُ الإمام صلاحُ البلاد والعباد.

وقال الفضيل: كفى بالله محبًّا وبالقرآن مؤنسًا، وبالموت واعظًا وبخشية الله علمًا، وبالاغترار جهلًا.

وقال الفضيل: خصلتان تقسِّيان القلب: كثرة الكلام، وكثرة الأكل.

وقال الفضيل: حرامُ على قلوبكم أن تصيب حلاوةَ الإيمان حتى تزهدوا فى الدنيا.

وقال الأصمعى: نظر الفُضيل إلى رجل يشكو إلى رجل فقال ياهذا، تشكو من يرحمُك إلى من لا يرحمُك.

وقال الفضيل: بقدر ما يصغر الَّذنب عندك يعظُم عند الله، وبقدر ما يعظُمُ عندك يصغُر عند الله.

[صفة الصفوة وتهذيب سير أعلام النبلاء]

* * *

٨٨- توبة الإمام الزاهد إبراهيم بن أدهم

عن محمد بن إسحاق السراج قال: سمعت إبراهيم بن بشار خادم إبراهيم بن أدهم يقول قلت لإبراهيم بن أدهم: كيف كان أوائل امرك قال كان أبى من أهل بلخ وكان من ملوك خراسان وحبب إلينا الصيد فحرجت راكب فرسى وكلبى معى فبينما أنا كذلك ثار أرنب أو ثعلب فحركت فرسى فسمعت نداء من ورائى ليس لذا خلقت ولا بذلك أمرت فوقفت أنظر يمينة ويسرة فلم أر أحدا فقلت لعن الله إبليس ثم حركت فرسى فأسمع نداء أجهر من ذلك يا إبراهيم ليس لذا خلقت ولا بذا أمرت فوقفت أنظر يمنه ويسرة فلا أرى أحدا فقلت لعن الله إبليس ثم حركت فرسى فأسمع نداء من قرب فرسى يا إبراهيم ما لذا خلقت ولا بذا أمرت فوقفت فقلت أنبهت أنبهت جاء نى نذير من درب العالمين، والله لا عصيت الله بعد يومى هذا. ما عصمنيى ربى [كتاب التوابون].

وعن يونسُ البلخى قال: كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف، وكان أبوه كثير المال والخدم، والمراكب، فبينا إبراهيم فى الصيد على فرسه يرُكضه إذا هو بصوت من فوقه: يا إبراهيم ما هذا العبث؟ ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ [االمومنون: ١٥].

اتق الله، عليك بالزاد ليوم الفاقة، فنزل عن دابته ورفض الدنيا.

قال خَلَف بن تميم: سمعت إبراهيم يقول: آتانى ابن عجلان فاستقبل القبلة ساجداً وقال سجدتُ لله شكراً حين رأيتك.

[تهذيب سير أعلام النبلاء د/ محمد الشريف]

عبادته وزهده

عن أبو نعيم: قال سمعُت سفيان يقول: كان إبراهيم بن أدهم يشبه إبراهيم الخليل، ولو كان فى الصحابة لكان رجلاً فاضلاً.

وقال عبد الرحمن بن مهدى: قلتُ: لا بن المبارك إبراهيم بن أدهم ممَّن سمع؟ قال: قد سمع من الناس، وله فضل فى نفسه، صاحب سرائر، وما رأيته يظهر تسبيحًا كان آخر من يرفع يده.

ونام مخلد بن الحسينى عند إبراهيم بن أدهم فقال: فكنت كلما أستيقيظت من النوم وجدته يذكر الله فأغتمُّ ثم أغرى نفسى بهذه الآية ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [االمائدة: ٥٤].

وبالإسناد عن بقية قال: كنَّا مع إبراهيم فى البحر فهاجت ريح واضطربت السفينة، وبكوا. فقلنا: يا أبا إسحاق، ماترى؟ فقال: ياحىُ حين لا حىَّ، ويا حىُّ قبل كل حى، ويا حىُ بعد كل حىّ، يا قيوُّم يامحسن، قد أريتنا قدرتك، فأرنا عفوك فهدأت السفينة من ساعته.

وقال أبو سليمان الداراني: صلى إبراهيم بن أدهم خمس عشرة صلاة بوضوء واحد.

وقال عبد الله بن الفرج العابد: اطلعت على إبراهيم بن أدهم بالشام في بستان وهو نائم وعند رأسه أفعى في فيها طاقة نرجس تذب عنه.

قال ابن بشار: خرجت أنا وإبراهيم بن أدهم وأبو يوسف الغولي، وأبو عبد الله النجاري، نريد الاسكندرية فمررنا بنهر فقعدنا نستريح وكان مع أبي يوسف كسيرات يابسات فألقاها بين أيدينا فأكلناها وحمدنا الله عَزَّوَجَلَّ، فقمت أسعى أتناول ماء لإبراهيم فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء إلى ركبتيه، فقال بكفيه فملأهما ثم قال: باسم الله، وشرب الماء ثم قال: الحمد لله، ثم فعل مثل ذلك، ثم إنه خرج من النهر ثم قال: يا أبا يوسيف، لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا عليه بالسيوف أيام الحياة، فقلت يا أبا إسحاق طلب، القوم الراحة والنعيم فأخطئوا الطريق المستقيم، فتبسم وقال: من أين لك هذا الكلام؟

وعن إبراهيم بن عبد الله بن محمد البلخي، عن إبراهيم بن أدهم قال: وجدت يوما راحة فطاب قلبي لحسن صنيع الله بي فقلت: اللهم إن كنت أعطيت أحدا من المحبين لك ما سكَّنت به قلوبهم قبل لقائك، فأعطني ذلك،فلقد أضربني القلق، قال إبراهيم: فرأيت الله تعالى في النوم، فوقفني بين يديه وقال لي: يا إبراهيم ما أستحييت مني؟

تسألنى أن أعطيك ما تسكن به قلبك قبل لقائى، وهل يسكن قلب المشتاق إلى غير حبيبه؟ أم هل يستريح المحب إلى غير حبيبه؟ أم هل يستريح المحب إلى غير اشتياق إليه؟ فقلت: يارب تهت فى حبك فلم أدرما أقول.

وقال ابن بشار: مضيت مع إبراهيم بن أدهم إلى مدينة يقال لها طرابلس ومعى رغيفان ما لناشئْ غيرهما، وإذا سائل يسأل، فقال لى: ادفع إليه ما معك، فتلبثت، فقال لى؟ أعطيه فأعطتيه وأنا متعجب من فعله، فقال لى: يا أبا اسحاق إنك تلقى ما أسلفت ولا تلقى ما خلفت، فمهد لنفسك فإنك لا تدرى متى يفجؤك أمر ربك، وقال: فأبكانى كلامه وهون علّى الدنيا، فلما نظر إلى أبكى، وقال: هكذا فكن.

وعن يحي بن يمان، قال: كان سفيان إذا قعد مع إبراهيم بن أدهم، تحرَّز من الكلام.

وعن طالوت: سمعتُ إبراهيم بن أدهم يقول: ما صدق الله عبد أحب الشُّهرة.

[صفة الصفوة، وتهذيب سير أعلام النبلاء]

❊❊❊

٨٩- توبة الإمام الزاهد
مالك بن دينار

وروى عن مالك بن دينار أنه سئل عن سبب توبته فقال كنت شرطيًا وكنت منهمكًا على شرب الخمر ثم إنني اشتريت جارية نفيسة ووقعت منى أحسن، فولدت بنتًا فشغفت بها فلما مشت على الأرض ازدادت في قلبي حبًا وألفتني وألفتها قال فكنت إذا وضعت المسكر بين يدي جاءت إلي وجاذبتني عليه وهرقته من ثوبي فلما تم لها سنتان ماتت فأكمدني حزنها فلما كانت ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة الجمعة بت ثملاً من الخمر ولم أصل فيها عشاء الآخرة فرأيت فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت ونفخ في الصور وبعثرت القبور وحشر الخلائق وأنا معهم فسمعت حسًا من ورائي فالتفت فإذا أنا بتنين أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاه مسرعا نحوى فمررت بين يديه هاربا فزعا مرعوبا فمررت فى طريقى بشيخ نقى الثوب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد السلام فقلت أيها الشيخ أجرني من هذا التنين أرجك الله فبكى الشيخ وقال لى أنا ضعيف وهذا أقوى منى وما أقدر عليه ولكن مر وأسرع فلعل الله أن يتيح لك ما ينجيك منه فوليت هاربا على وجهى فصعدت على شرف من شرف القيامة فأشرفت على طبقات النيران فنظرت إلى هولها وكدت أهوى فيها من فزع التنين فصاح بى صائح ارجع فلست من أهلها فاطمأننت إلى قوله ورجعت ورجع التنين فى طلبى فأتيت الشيخ فقلت

يا شيخ سألتك أن تجبرني من هذا التنين فلم تفعل فبكى الشيخ وقال أنا ضعيف ولكن سر إلى هذا الجبل فإن فيه ودائع المسلمين فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك قال فنظرت إلى جبل مستدير من فضة وفيه كوى مخرمة وستور معلقة على كل كوة مصراعان من الذهب الأحمر مفصلة باليواقيت مكوكبة بالدار على كل مصراع ستر من الحرير فلما نظرت إلى الجبل وليت إليه هاربا والتنين من ورائى حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع وأشرفوا فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه فإذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فتحت فأشرف على من تلك الخرمات أطفال بوجوه كالأقمار وقرب التنين منى فتحيرت فى أمرى فصاح بعض الأطفال ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه فأشرفوا فوجا بعد فوج وإذا أنا بابنتى التى ماتت قد أشرفت على معهم فلما رأتنى بكت وقالت أبى والله ثم وثبت فى كفة من نور كرمية السهم حتى مثلت بين يدى فمدت يدها الشمال إلى يدى اليمنى فتعلقت بها ومدت يدها اليمنى إلى التنين فولى هاربًا ثم أجلستني وقعدت في حجري وضربت بيدها اليمنى إلى لحيتي وقالت يا أبت ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:١٦]، فبكيت وقلت يا بنية وأنتم تعرفون القرآن فقالت يا أبت نحن أعرف به منكم قلت فأخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكني قالت ذلك عملك السوء قويته فأراد أن يغرقك في نار جهنم قلت فأخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقي قالت يا أبت ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء قلت يا بنية وما تصنعون في هذا الجبل

قالت نحن أطفال المسلمين قد أسكنا فيه إلى أن تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم قال مالك فانتبهت فزعًا وأصبحت فأرقت المسكر وكسرت الآنية وتبت إلى الله عَزَّوَجَلَّ وهذا كان سبب توبتي [كتاب التوابون].

عبادته وزهده

عن جعفر بن سليمان قال: سمعت المغيرة بن حبيب أبا صالح بن أخت مالك بن دينار يقول قلت لنفس: يموت مالك بن دينار وأنا معه في الدار لا أدرى ما عمله؟ قال: فصليت معه العشاء الآخرة ثم جئت فلبست قطيفة في أطول ما يكون من الليل، قال: وجاء مالك فدخل فقرب رغيفه فأكل ثم قام إلى الصلاة فاستفتح، ثم أخذ بلحيته فجعل يقول: يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك بن دينار على النار، قال: فو الله ما زال كذلك حتى غلبتني عيني، ثم انتبهت فإذا هو قائم على تلك الحال يقدم رجلًا ويؤخر رجلًا ويقول: يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك بن دينار على النار فما زال كذلك حتى طلع الفجر.

وقال سلم الخواص، قال مالك بن دينار: خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها. قالوا: وما هو؟ قال: معرفة الله عَزَّوَجَلَّ.

وقال جعفر بن سليمان: سمعت مالك يقول: وددت أن الله عَزَّوَجَلَّ أذن لي يوم القيامة إذا وقفت بين يديه أن أسجد سجدة فأعلم أنه قد رضي عني، ثم يقول لي: مالك كن ترابًا.

وقال جعفر: كانت الغيوم تجيء وتذهب ولا تمطر فيقول مالك، أنتم تستبطئون وإنما أستبطىء الحجارة، إن لم تمطر حجارة فنحن بخير.

وقال جعفر: سمعت مالك يقول: يا إخواتاه بحق أقول لكم: لولا البول ما خرجت من المسجد.

وعن الحارث بن سعيد قال: كنا عند مالك بن دينار وعندنا قارىء يقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:١]، فجعل مالك ينتفض وأهل المجلس يبكون ويصرخون حتى انتهى إلى هذه الآية: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨].

فجعل مالك والله يبكى ويشهق حتى غشى عليه، فحمل بين القوم صريعًا.

وقيل: دخل عليه لصٌّ، فما وجد ما يأخده، فناداه مالك: لم تجد شيئًا من الدنيا، فترغبُ في شيء من الآخرة؟ قال: نعم. قال توضأ، وصلِّ ركعتين، ففعل، ثم جلس وخرج إلى المسجد. فسُئِلَ: من ذا؟ قال: جاء ليسرق فسرقناه.

قال أبو سمير: قال مالك: إن لكل شيء لقاحًا وإن الحزن لقاح العمل الصالح، إنه لا يصر أحد على هذا الأمر إلا بحزن فوالله ما اجتمعا في قلب عبد قط: حزن بالآخرة وفرح بالدنيا إن أحدهما ليطرد صاحبه.

وقال محمد بن عبد العزيز قال: سمعت أبي يقول: سمعت مالك بن دينار يقول: عجبًا لمن يعلم الموت مصيره والقبر مورده كيف تقر بالدنيا عينه؟ وكيف يطيب فيها عيشه؟ قال: ثم يبكى مالك حتى يسقط مغشيًا عليه.

وعن جعفر قال: قال مالك بن دينار: إذا ذكر الصالحون فأف لى وتف.

وعن مسلم قال: قال مالك بن دينار: منذ عرفت الناس لم أفرح بمدحهم ولم أكره مذمتهم، قيل: ولم ذاك:؟ قال: لأن حامدهم مفرط وذمهم مفرط.

وقال مالك بن دينار: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب.

وقال جعفر: سمعت مالك يقول: لو استطعت أن لا أنام لم أنم مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم ولو وجدت أعوانًا لفرقتهم ينادون في منار الدنيا كلها يا أيها الناس النار النار.

وقال الأصمعي، عن أبيه، قال مر المهُلب على مالك بن دينار متبخترًا، فقال: أما علمت أنها مشية يكرهُها الله إلا بين الصفين؟ فقال المُهلَّبُ: أما تعرفني؟ قال مالك: بلى، أولُك نُطفة مذرة، وآخُرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة، فانكسر، فقال: الآن عرفتني حقَّ المعرفة.

وقال حزم القطيعي: دخلنا على مالك بن دينار في مرضه الذى مات فيه وهو يكيد بنفسه فرفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب البقاء في الدنيا لبطن ولا لفرج [صفة الصفوة، وتهذيب سير أعلام النبلاء].

٩٠- توبة الزاهد بشر الحافي

قال محمد بن الدينورى يقول: سمعت بشر بن الحارث وسئل ما كان بدء أمرك لأن اسمك بين الناس كأنه اسم نبى قال هذا من فضل الله وما أقول لكم كنت رجلا عيارا صاحب عصبية فجزت يوما فإذا أنا بقرطاس فى الطريق فرفعته فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فمسحته وجعلته فى جيبي وكان عندي درهمان ما كنت أملك غيرهما فذهبت إلى العطارين فا شتريت بهما طيب ومسحته فنمت تلك الليلة فرأيت فى المنام كأن قائلا يقول يابشر بن الحارث رفعت اسمنا عن الطريق وطيبته لأطبين اسمك فى الدنيا والآخرة ثم كان ما كان.

وحكى أن بشرا كان فى زمن لهوه فى داره وعنده رفقاؤه يشربون ويطيبون فاجتاز بهم رجل من الصالحين فدق الباب فخرجت إليه جارية فقال صاحب الدار حرًا أو عبد فقالت بل حر فقال صدقت لو كان عبدًا لا ستعمل أدب العبودية وترك اللهو والطرب فسمع بشر محاورتها فسارع إلى الباب حافيا حاسرا وقد ولى الرجل فسأل الجارية من كان بالباب فقالت كذا فتبعه بشر حتى لحقه فقال له ياسيدى أنت الذى وقفت بالباب وخاطبت الجارية قال نعم قال أعد علي الكلام فأعاده عليه فمرغ بشر خديه على الأرض وقال بل عبد عبد ثم هام على وجهه حافيا حاسرا حتى عرف بالحفاء فقيل له لم لا تلبس نعلا قال لأنى ما أصلحني مولاي إلا وأنا حاف فلا أزول عن هذه الحالة حتى الممات [كتاب التوابون].

عبادته وزهده

عن عباس بن دهقان، قال: قُلت لبشر بن الحارث: أحب أن أخلُو معك، قال: إذا شئت فيكون يومًا فرأيته قد دخل قُبَّة، فصلى فيها أربع ركعات لا أحسن أُصلِّي مثلها، فسمعته يقول في سجوده: اللَّهَم إنك تعلم فوق عرشك أن الذُّل أحَّب إلَّي من الشرف، اللَّهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحب إلَّي من الغنى، اللَّهُم إنك تعلم فوق عرشك أني لا أوثر على حبك شئيًا، فلما سمعته، أخذني الشهيق والبكاء، فقال: اللهُم أنت تعلم أن لو أعلم أنه هذا ههنا لم تكلم.

وعن أبو بكر محمد بن الفياض قال: سمعت زريقا الدلال يقول: سمعت بشر بن الحارث يقول: اللهم استر واجعل تحت الستر ما تحب، فربما سترت على ما تكره، قال: ثم التفت إلي فقال: يا أخى بادر بادر فإن ساعات الليل والنهار تذهب الأعمار.

وعن زبدة أخت بشر بن الحارث قالت: دخل بشر علّي ليلة من الليالى فوضع إحدى رجليه داخل الدار والأخرى خارج الدار، وبقى كذلك يتفكر حتى أصبح فلما أصبح قلت له: في ماذا تفكرت طوال الليلة؟ قال: تفكرت في بشر النصرانى، وبشر اليهودى، وبشر المجوسى، ونفسى واسمى بشر المسلم، فقلت: ما الذى سبق منك حتى خصك؟ فتفكرت في تفضله علّي وحمدته على أن جعلنى من خاصته وألبسنى لباس أحبائه.

وعن الحسن بن عمرو قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: لو علمت أن رضاه أن أشد فى رجلى حجرا ثم ألقى نفسى فى البحر لفعلت.

وعن عمرو بن موسى الأحوال قال: سمعت بشرا يقول: يكون الرجل مرائيا فى حياته، مرائيا بعد موته، قيل: كيف مرائيا بعد موته؟

قال يجب أن يكثر الناس جنازته.

وعن الحسن بن عمرو قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: الصدقة أفضل من الحج والعمرة والجهاد.

ثم قال: ذاك يركب ويرجع ويراه الناس، وهذا يعطى سرًا لما يراه إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

وعن أحمد بن نصر قال: سمعت بشرا يقول: يا مازنى، ليت لما يكون حظى من الله هذا الذى يقول الناس بشر بشر، ورأيت أشفار عينه قد ذهبت من البكاء.

وعن الحسين بن محمد البغدادى قال: سمعت أبى يقول: زرت بشر بن الحارث فقعدت معه مليا فما زادنى على كلمة: ما أتقى الله من أحب الشهرة.

وقال الكندى: رأيت بشر بن الحارث فى النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لى، وأقعدنى على طيار من لولؤة بيضاء، وقال لى: سر فى ملكى.

وقال ابن خزيمة: لما مات أحمد بن حنبل بت ليلتى فرأيته فى النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لى وتوجنى وألبسنى نعلين من ذهب، وقال لى: يا أحمد هذا بقولك: القرآن كلامى، قلت: فما فعل بشر؟ فقال لى: بخ بخ، من مثل بشر؟ تركته بين يدى الجليل وبين يديه مائدة من الطعام والجليل مقبل عليه وهو يقول: له كل يا من لم يأكل، واشرب يامن لم يشرب، وانعم يا من لم ينعم.

[صفة الصفوة، سير أعلام النبلاء]

❊ ❊ ❊

٩١- توبة الإمام
داود الطائى

عن محمد بن حاتم البغدادى قال: سمعت الحماني يقول كان بدء توبة داود الطائى أنه دخل المقبرة فسمع امرأة عند قبر وهى تقول:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه لقاؤك لا يرجى وأنت قريب

تزيد بلى فى كل يوم وليلة وتبلى كما تبلى وأنت حبيب

وقال أبو نعيم: قدم داود من السواد ولا يفقه فلم يزل يتعلم ويتعبد حتى ساد أهل الكوفة.

[كتاب صفة الصفوة والتوابون]

عبادته وزهده

قال الإمام الذهبى عنه: برع فى العلم بأبي حنيقه ثم أقبل على شأنه ولزم الصمت وآثر الخمول وفَرَّ بِدِينه. قال ابن المبارك: هل الأمُر إلاَّ ما كان عليه داود؟

وقال إسحاق السلولى: حدثني أمُّ سعيد، قالت: كان بيننا وبين داود الطائى جدار قصير، فكنتُ أسمع حنينه عامة الليل لا يهدأ، وربما تَرَنَّمَ فى السَّحر بالقرآن، فأرى أن جميع النَّعِيم قد جمع فى ترنمه، وكان لا يسرج عليه.

وقال ابن زيان قالت داية داود الطائي: يا أبا سليمان أما تشتهي الخبز؟ قال: بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية.

وعن إسحاق بن منصور السلولي قال: دخلت أنا وصاحب لي على داود الطائي وهو على التراب، فقلت لصاحبي: هذا رجل زاهد فقال داود: إنما الزاهد من قدر فترك.

وقال الوليد بن عقبة: كان يخبز لداود الطائي ستون رغيفًا يعلقها بشريط، يفطر كل ليلة على رغيفين بملح وماء فأخذ ليلة فطره فجعل ينظر إليه، قال ومولاة له سوداء تنظر إليه، فقامت فجاءته بشيء من تمر على طبق فأفطر ثم أحيا ليلته وأصبح صائمًا، فلما جاء وقت الإفطار أخذ رغيفيه وملحًا وماء.

وقال أسود بن سالم أن داود الطائي كان يقول: سبقني العابدون وطُلِّع بى، والهفاه.

وعن قبيصة قال: حدثني صاحب لنا أن امرأة من أهل داود الطائي صنعت ثريدة بسمن ثم بعثت به إلى داود حين إفطاره مع جارية له، قالت الجارية: فأتيته بالقصعة فوضعتها بين يديه فسعى ليأكل منها، فجاء سائل فقام إليه فدفعها إليه وجلس معه على الباب حتى أكلها ثم دخل فغسل القصعة ثم عمد إلى سمر كان بين يديه، قالت الجارية ظننت أنه كان أعده لعشائه، ودفعه إليَّ وقال: أقرئيها السلام قالت الجارية: دفع إلى السائل ما جئناه به ودفع إلينا ما أراد أن يفطر عليه، قالت: وأظنه ما بات إلا طاويًا، قال قبيصة: فكنت أراه نحل جدا.

وقال صدقة الزاهد: خرجنا مع داود الطائي في جنازة بالكوفة فقعد داود ناحية وهي تدفن فجاءه الناس فقعدوا قريبًا منه فتكلم فقال: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمله ضعف عمله، وكل ما هو يت قريب، واعلم يا أخي أن كل ما يشغلك عن ربك فهو عليك مشئوم، واعلم أن أهل القبور إنما يفرحون بما يقدمون ويندمون على ما يخلفون، وأهل الدنيا يقتتلون ويتنافسون فيما عليه أهل القبور يندمون.

قال الحارث بن إدريس: قلت لداود الطائي: أوصني، فقال: عسكر الموتى ينتظرونك.

وعن محمد بن بشير قال: قال حماد لداود الطائي: يا أبا سليمان لقد رضيت من الدنيا باليسير، فقال داود: أفلا أدلك عل من رضى بأقل من ذلك؟ فمن رضى بالدنيا كلها عوضًا عن الآخرة.

قال حماد بن أبي حنيفة: قالت مولاة لداود الطائي: يا داود لو طبخت لك دسمًا؟ قال فافعلى، فطبخت له شحمًا ثم جاءته فقال لها: ما فعل أيتام بنى فلان؟ قالت: على حالهم، قال: اذهبى به إليهم، فقالت له: فديتك إنما تأكل هذا الخبز بالماء؟ قال: إنى إذا أكلته كان في الحش وإذا أكله هؤلاء الأيتام كان عند الله مدخورًا.

وقال ابن السماك: أوصانى أخى داود الطائى بوصية: انظر لا يراك الله حيث نهاك وأن لا يفقدك من حيث أمرك، واستحيه في قربه منك وقدرته عليك.

وقال حسن بن بسير: حضرت جنازة داود الطائي، فحُمل على سريرين أو ثلاثة، تَكَسَّرُ من الزحام.

وقال الإمام الذهبي: ولم يُسْمَع بمثل جنازته، حتى قيل: باتَ النَّاس ثلاث ليالٍ مخافة أن يفوتهم شهوده.

وقال إسحاق بن منصور: لما مات داود الطائي شيع الناس جنازته فلما دفن قام ابن السماك على قبره فقال: يا داود تسهر ليلتك إذ الناس نائمون فقال القوم جميعًا: صدقت، وكنت تسلم إذا الناس يخوضون وكنت تربح إذ الناس يخسرون فقال الناس جميعًا: صدقت، حتى عدد فضائله كلها، فلما فرغ، قام أبو بكر النهشلي فحمد الله ثم قال: يا رب إن الناس قد قالوا ما عندهم ومبلغ ما علموا، اللهم اغفر له برحمتك ولا تكله إلى عمله.

[صفة الصفوة، سير أعلام النبلاء]

عن عبد الله بن فروخ قال: رُئي داود الطائي في المنام وهو يحتضر، فقال: الساعة أنفلتُ من السجن فأصبحوا وقد مات.

[المقدمات السلفية في تفسير الرؤى والمنامات]

❊ ❊ ❊

٩٢- توبة الإمام ذي النون المصري

قال الحسن بن علوية قال سمعت يوسف بن الحسين يقول لما استأنست بذي النون المصري قلت أيها الشيخ ما كان بدء شأنك قال كنت شابًا صاحب لهو ولعب ثم تبت وتركت ذلك وخرجت حاجًا إلى بيت الله الحرام.

[كتاب التوابون]

عبادته وزهده

قال أبو عثمان، سعيد بن عثمان: سمعت ذا النون يقول: ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنة إلا برؤيته.

وقال أبو بكر محمد بن خلف المؤدب قال: رأيت ذا النون المصرى على ساحل البحر فلما جن الليل خرج فنظر إلى السماء والماء فقال: سبحان الله ما أعظم شأنكما، بل شأن خالقكما أعظم منكما ومن شأنكما.

وقال يوسف بن الحسين: سمعتُ ذا النُّون، يقُول: مهما تصوَّر في وهمك، فالله بخلاف ذلك.

وقال يوسف بن الحسين: سمعت ذو النون يقول: الاستغفار جامعٌ لمعانٍ، **أولها**: الندم على ما مضى، **الثاني**: العزم على الترك، **والثالث**: أداء ما ضيعت من فرض الله، **والرابع**: ردُّ المظالم في الأموال والأعراض والمصالحة عليها، **والخامس**:

إذابة كل لحم ودم نبت على الحرام، **والسادس**: إذاقة ألم الطاعة كما وجَدْت حلاوة المعصية.

وقال يوسف بن الحسن: سمعت ذا النون يقول: بصحبة الصالحين تطيب الحياة والخير مجموع في القرين الصالح إن نسيت ذكّرك، وإن ذكرت أعانك.

وقال يوسف بن الحسين: قلت لذى النون في وقت مفارقتي له: من أجالس؟ قال: عليك بصحبة من تذكرك الله عَزَّوَجَلَّ رؤيته، وتقع هيبته على باطنك، ويزيدك في عملك منطقه ويزهدك في الدنيا عمله، ولا تعصى الله ما دمت في قربه، يعظك بلسان فعله، ولا يعظك بلسان قوله.

وقال سمعت ذا النون يقول: سقم الجسد من الأوجاع، وسقم القلوب في الذنوب، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه، كذلك لا يجد القلب حلاوة العبادة مع الذنوب، وسمعته يقول: من لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم.

وقال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون يقول: دوام الفقر إلى الله تعالى مع التخليط أحب إلَيَّ من دوام الصفاء مع العجب.

وقال سعيد بن عثمان: سمعت ذو النون يقول: كل مطيع مستأنس، وكل عاص مستوحش، وكل محب ذليل، وكل خائف هارب، وكل راج طالب.

وقال يوسف: سمعت ذا النون يقول: أنت مالك مقتدر، وأنا عبد مفتقر، أسألك العفو تذللا فأعطنيه تفضلا.

وقال ذا النون: العارفُ لا يلتزم حاله واحدة، بل يتزمُ أمر ربِّه في الحالات كلها.

وقال محمد بن الفرخي: كنت مع ذي النون في زورق، فمر بنا زورق آخر، فقيل لذي النون، إن هؤلاء يمرون إلى السلطان، يشهدون عليك بالكفر. فقال: اللهم إن كانوا كاذبين، فغرقهم، فانقلب الزورق، وغرقوا. فقلت له: فما بالُ الملاح؟ قال: لم حملهم وهو يعلم قصدهم؟ ولأن يقفوا بين يدي الله غرقى خيرٌ لهم من أن يقفوا شهود زور، ثم انتفض وتغير، وقال: وعزتك لا أدعو على أحد بعدها.

وعن عمر بن السرح: قلت لذي النون: كيف خلصت من المتوكل وقد أمر بقتلك؟ قا: لما أوصلني الغلامُ، قلتُ في نفسي: يا من ليس في البحار قطراتٌ، ولا في يلج الرياح يلجاتٌ، ولا في الأرض خبيئاتٌ، ولا في القلوب خطرات إلاَّ وهى عليك دليلاتٌ، ولك شاهدات وبربوبيتك مُعْتَرِفات وفي قدرتك متحيرات، فبالقدرة التي تجير بها من في الأرضين والسموات إلا صليت على محمد وعلى آل محمد، وأخذت قلبه عني، فقام المتوكل يخطو حتى اعتنقني، ثم قال أتعبناك يا أبا الفيض.

[صفة الصفوة، تهذيب سير أعلام النبلاء]

٩٣- توبة الإمام
شقيق البلخي

قال الإمام الذهبي عن شقيق: كنتُ شاعرًا، فرزقني الله التوبة، وخرجت من ثلاث مائة ألف درهم، ولبستُ الصُّوف عشرين سنة، ولا أدري أنِّي مُراءٍ حتى لقيتُ عبد العزيز بن أبي رواد، فقال: ليس الشأن في أكل الشعير ولبس الصوف، الشأن أن تعرف الله بقلبك، ولا تشرك به شيئًا وأن ترضى عن الله، وأن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في أيدي الناس.

[تهذيب سير أعلام النبلاء]

وقال علي بن محمد شفيق: كان جدى تاجرًا، وقد خرج إلى بلاد الترك للتجارة وهو حدث فدخل إلى بيت أصنامهم، فقال لعاملهم: إن هذا الذى أنت فيه باطل، ولهذا الخلق خالق ليس كمثله شيء، رازق كل شيء، فقا له الخادم: ليس يوافق قولك فعلك، فقال له شفيق: كيف؟ قال: زعمت أن لك خالقًا قادرًا على كل شيء، وقد تعنيت إلى هاهنا لطلب الرزق، قال شقيق: فكان سبب زهدى كلام التركى، فرجع فتصدق بجميع ما ملك وطلب العلم.

[صفة الصفوة]

عبادته وزهده

قال شقيق: علامةُ التوبة البكاء على ما سلف، والخوفُ من الوقوع في الذَّنب وهجرانُ إخوان السوء، وملازمةُ الأخيار.

وقال شقيق: من شكى مصيبة إلى غير الله، لم يجد حلاوة الطاعة.

وقال محمد بن أبي عمران: سمعت حاتمًا الأصم يقول: كنا مع شقيق البلخى ونحن مصافو الترك، في يوم لا أرى فيه إلا رؤسًا تندر، وسيوفًا تقطع، فقال لى شقيق، ونحن بين الصفين: يا حاتم كيف ترى نفسك في هذا اليوم؟ ترها مثلها في الليلة التى زفت إليك امرأتك، فقلت: لا والله، فقال: لكنى والله أرى نفسى في هذا اليوم مثلها في الليلة التى زفت فيها امرأتى، قال ثم نام بين الصفين ودرقته تحت رأسه، حتى سمعت غطيطه.

وقال حاتم: سمعت شقيقًا يقول: مثل المؤمن كمثل رجل غرس نخلة وهو يخاف أن تحمل شوكًا ومثل المنافق كمثل رجل زرع شوكًا وهو يطمع أن يحصد تمرًا هيهات، كل من عمل حسنًا فإن الله لا يجزيه إلا حسنًا، ولا ينزل الأبرار منازل الفجار.

وقال الحاكم: قدم شقيق نيسابور في ثلاث مئة من الزُّهاد، فطلب المأمون أن يجتمع به، فامتنع. وقُتل شقيق في غزَاةِ كُزلان، سنة أربعة وتسعين ومئة.

[صفة الصفوة، تهذيب سير أعلام النبلاء]

٩٤- توبة الإمام القعنبي

قال أحمد بن محمد بن الصباح البزار: لم يرو القعنبي عن شعبة غير هذا الحديث الواحد وله شرح حدثني بعض القضاة عن بعض ولد القعنبي بالبصرة قال: كان أبي يشرب النبيذ ويصحب الأحداث فدعاهم يومًا وقد قعد على الباب ينتظرهم فمر شعبة على حماره والناس خلفه يهرعون فقال: من هذا قيل شعبة، قال: وأيش شعبة، قالوا محدث فقام إليه وعليه إزار أحمر فقال له: حدثني فقال له: ما أنت من أصحاب الحديث فأحدثك، فأشهر سكينه وقال: تحدثني أو أجرحك، فقال: له حدثنا منصور عن ربيعي عن أبي مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**» [رواه أحمد].

فرمى سكينه ورجع إلى منزله فقام إلى جميع ما كان عنده من الشراب فهرقه وقال لأمه الساعة أصحابي يجيئون فأدخليهم وقدمي الطعام إليهم فإذا أكلوا فخبريهم بما صنعت بالشراب حتى ينصرفوا ومضى من وقته إلى المدينة فلزم مالك بن أنس فأثر عنه ثم رجع إلى البصرة وقد مات شعبة [كتاب التوابون].

قال إسماعيل القاضي: كان القعنبي من المجتهدين في العبادة.

وقال أحمد بن منير البلخي: سمعت حمدان بن سهل البلخي الفقيه يقول: ما رأيت أحدًا إذا رُؤي ذُكر الله تعالى إلاَّ القعنبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنَّهُ كان إذا مر بمجلس يقولون: لا إله إلا الله.

وقيل: كان يسَّمى الراهب، لعبادته وفضله.

وقال أبو حاتم: القعنبي ثقة حُجةٌ لم أر أخشع منه.

وقال عمرو بن علي بن الفلاس: كان القعنبي مجاب الدعوة[١].

وعن الحنيني قال: كُنَّا عند مالك، فقدم ابن القعنبي من سفرٍ، فقال مالك: قومُوا بنا إلى خير أهل الأرض.

[تهذيب سير أعلام النبلاء]

* * *

(١) قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْلِيَاءُ الله الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ» [صحيح الجامع].

٩٥- توبة الإمام ابن القيم

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية[١] بعض ما يقوله الأشاعرة وغيرهم من الصفات من التأويلات، وبعض ما في كتب النُفاة من الطامَّات، وبيَّن ضررهم على الدين، ومناهضتهم لنصوص الكتاب والسنة.

ثم عقد فصلًا أعلن فيه أنه قد وقع في بعض تلك المهالك حتى أتاح له الإله مَنْ أزال عنه تلك الأوهام، وأخذ بيده إلى طريق الحق والسلامة، وهو شيخ الإسلام ابن تيمية -قدَّس الله روحه-.

وفي إعلانه لتوبته على يديه يقول[٢]:

يا قومُ والله العظيم نصيحةٌ ... من مشفق وأخٍ لكم مِعوانِ

جرَّبت هذا كلَّه ووقعت في ... تلك الشباك وكنت ذا طيران

حتى أتاح لي الإله بفضله ... من ليس تجزيه يدي ولساني

حبرٌ أتى من أرض حران فيا ... أهلًا بمن قد جاء من حران[٣]

فالله يجزيه الذي هو أهلُه ... من جنة المأوى مع الرضوان

أخَذَتْ يداه يدي وسار فلم يَرُم ... حتى أراني مَطلَعَ الإيمان

ورأيت أعلام المدينة حولها ... نزل الهدى وعساكر القرآن

(١) انظر: (٢/ ٦٨-٧٤) مع «شرح ابن عيسى»، ط. المكتب الإسلامي بدمشق، سنة ١٣٨٢هـ.
(٢) انظر: (٧٢-٧٣).
(٣) يريد شيخ الإسلام ابن تيمية -قدَّس الله روحه-. و(حران): من أعمال دمشق.

ورأيـــت آثـــارًا عظيمًا شأنُها محـجـوبـةً عــن زمـــرة العميان

ووردت رأس المــاء أبيض صافيًا حــصــبــاؤه كــلآلــئ التـيــجـان

ورأيـــت أكـــوابًـــا هــنــاك كـثـيرةً مــثــل الــنــجــوم لـــــواردٍ ظـمـآن

ورأيـت حوض الكوثر الصافي الذي لا زال يـشـخـب فـيـه مـيزابـان

مـــيزابُ سنتــه وقـــولُ إلـهـه وهـمـا مــدى الأيـــام لا يَـنـيـان

والنـــاس لا يـردونـه إلا مــن الــ آلاف أفـــــرادًا ذوو إيـمـان

وردوا عِــذاب مناهل أكــرم بها ووردتـــم أنـتـم عـــذاب هـــوان

ثم إن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أعاد الكرَّة بذِكر هذه النعمة، فبيَّن أنه طاف المذاهب يبتغي الهدى والنور، فما زاده ذلك الطواف إلا ظُلمة وحُرقة حتى هداه الله تعالى، وتداركه بلطفه، فأخذ بزمام الكتاب والسنة، واستعصم بهما عن المذاهب الكلامية، والمناهج الفلسفية، **وفي ذلك يقول**(١):

يـا طـالـب الحــق المـبـين ومـؤثـرًا عــلــم الـيــقــين وصــحــة الإيــمــان

اسـمـع مقالة نـاصـح خـبـر الذي عند الــورى مــذ شــب حــتى الآن

مــا زال مــذ عــقــدت يـــداه إزاره قـــد شـــدَّ مــــئزره إلى الــرحمــن

وتخلل الـفـترات للعزمات أمــر لازم لــطــبــيــعــة الإنـــســـان

وتـــولد الـنـقـصـان مــن فـتراتـه أو ليس سـائـرنـا بـني النقصان

(١) انظر: «النونية في شرح ابن عيسى» (٢/ ٣٨٠-٣٨١).

طاف المذاهب يبتغي نورًا ... ليهديه وينجيه من النيران

وكأنه قد طاف يبتغي ظلمة ... الليل البهيم ومذهب الحيران

والليل لا يزداد إلا قوة ... والصبح مقهور بذي السلطان

حتى بدت في سيره نار على ... طود المدينة مطلع الإيمان

فأتى ليقبسها فلم يمكنه مع ... تلك القيود منالها بأمان

لولا تداركه الإله بلطفه ... ولّى على العقبين ذا نكصان

لكن توقف خاضعًا متذللا ... مستشعر الإفلاس من أثمان

فأتاه جند حل عنه قيوده ... فامتد حينئذ له الباعان

والله لولا أن تحل قيوده ... وتزول عنه ربقة الشيطان

كان الرقي إلى الثريا مصعدًا ... من دون تلك النار في الإمكان

فرأى بتلك النار آكام المدينة ... كالخيام تشوفها العينان

ورأى هنالك كل هاد مهتد ... يدعو إلى الإيمان والإيقان

فهناك هنأ نفسه متذكرًا ... ما قاله المشتاق منذ زمان

إلى أن قال:

إن رمت تبصر ما ذكرت فغض ... طرفًا عن سوى الآثار والقرآن

ثم مضى في تمجيد الأخذ بالدليل، وأن فيه الشفاء لمن رام السلامة - والله أعلم-.

[ابن القيم حياته وآثاره]

عبادته وزهده

قال تلميذه الإمام ابن كثير: وكان حسنَ القراءةِ والخُلُقِ، كثيرَ التَّوَدُّدِ، لا يحسد أحدًا ولا يؤذيه ولا يستعيبه، ولا يحقد على أحد، وكنت من أصحب الناس له، وأَحَبِّ الناسِ إليه، ولا أعرف من أهل العلم في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة يُطيلها جدًا ويمد ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك [البداية والنهاية].

وقال تلميذه الإمام ابن رجب: وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القُصوى، وتألُّهٍ ولهج بالذِّكر، وشغف بالمحبة والإنابة والاستغفار والافتقار إلى الله والانكسار له، والإطراح بين يديه وعلى عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسعَ منه علمًا، ولا أعرفَ بمعاني القرآن والسُّنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لم أرَ في معناه مثله وقد امتُحِنَ وأُوذِيَ مراتٍ، وحُبِسَ مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة منفردًا عنه ولم يخرج إلا بعد موت الشيخ، وكان في مدة حبسه منشغلًا بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر، ففتح عليه من ذلك خيرٌ كثيرٌ، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة، وتسلط

بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف والدخول في غوامضهم – وتصانيفه ممتلئة بذلك –.

وحجَّ مراتٍ كثيرةً وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمرًا يُتعجب منه.

وقال الإمام ابن حجر: وكان إذا صلَّى الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار، ويقول: هذه غدوتي لو لم أقعدها سقطت قُواي، وكان يقول: بالصبر والفقر تُنال الإمامةُ بالدين، وكان يقول: لابد للسالك من همة تُسَيِّرُه وتُرقِّيه، وعلم يُبَصِّرُه ويهديه.

[ابن القيم حياته وآثاره]

* * *


علماء صدقوا مع اللّه في طلب العلم
والدعوة من الغر حتى الممات

٩٦- عمر بن عبد العزيز

اسمه

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن العاص بن أميّه أمه هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، كنيته: أبو حفص.

مولده

ولد سنة ثلاثون وستين هـ.

نشأته

عن ضمام بن إسماعيل: أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير، فأرسلت إليه أمه، وقال: ما يبكيك؟ فقال: تذكرت الموت فبكت أمُهُ حين بلغها ذلك.

وتخلف عمر وهو غلام عن الصلاة بسبب ترجله لشعره فأمره أبيه بحلق شعره.

عبادته وخوفه:

قال أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ما صليت وراء إمام أشبه بصلاة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من هذا الفتى، يعنى عمر بن العزيز وقال مقاتل بن حيان: صليت وراء عمر بن عبد العزيز فقرأ: ﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴾ فجعل يكررها وما يستطيع أن يتجاوزها.

وقالت لي فاطمة بنت عبد الملك زوجته: لم أرى من الناس أحدًا قط كان أشد خوفًا من ربه من عمر، كان إذا دخل البيت ألقى نفسه في مسجده، فلا يزال يبكي ويدعو حتى تغلبه عيناه، ثم يستيقظ فيفعل مثل ذلك ليلته أجمع.

وقال مسلمة بن عبد الملك: بكى عمر بن عبد العزيز، فبكت فاطمة، فبكى أهل الدار، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء، فلما تجلى عنهم الصبر قالت فاطمة: بأبى أنت يا أمير المؤمنين مِمَا بكيت؟ قال: ذكرت يا فاطمة منصرف القوم من بين يدي الله، فريق في الجنة وفريق في السعير، ثم صرخ وغشي عليه.

وقال على بن زيد: كان عمر يجتمع كل ليلة إليه أصحابه من الفقهاء فلا يذكرون إلا الموت والأخرة، ثم يبكون حتى كأن بينهم جنازة.

وقال ابن كثير: وكان يبكي حتى يبكي الدم من الدموع وكان إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله، وقرأ عنده رجل ﴿ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴾ فبكى بكاءً شديدًا ثم قام فدخل منزله وتفرق الناس عنه.

وروى أن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال لجلاسه يومًا ما: أرقت البارحة فلم أنم حتى طلع الفجر قالوا: ما أسهرك؟ قال: لما أويت إلى فراشي ووضعت على لحافي تذكرت القرب، وتذكرت الميت بعد ليالي تمر عليه، حينما تركه أهله وأحبته وخلانه، تغير ريحه المنتنة، وتلك الأكفان المزقة إذن لرأيت أمرًا مهولاً ثم انفجر يبكي ويقول: لا إله إلا الله ولسان حاله:

والله لـو قيل لى تـأتى بفاحشة وأم عـقـبـاك دنـيـانـا ومـا فيها
لقلت لا والذى أخـشى عقوبته ولا بأضعافها مـا كنت أتيها
يا نفس قبل الردى لم تخلقى عبثًا تجـهـزى بجـهـاز تـبـلـغـين به

زهده

قال مسلمه: دخلت على عمر بن عبد العزيز في اليوم الذى مات فيه وفاطمة بنت عبد الملك جالسة عند رأسه، فإذا عليه قميص وسخ مخرق الجيب فقلت لها: لو أبدلتم هذا القميص فقالت فاطمة: والله ما له قميص غيره.

وقال مالك بن دينار يقول الناس مالك بن دينار زاهد: إنما الزهد عمر بن عبد العزيز الذى أتته الدنيا فتركها وقال يونس بن أبي شبيب: شهدت عمر بن عبد العزيز بعد الخلافة، لو شئت أن أعد أضلاعه من غير أن أمسه فعلت.

قال رجاء بن حيوة: قومت ثياب عمر بعد الخلافه بأثنى عشر درهمًا ودخل عمر على فاطمة فقال لها عندك درهم أشترى به عنبًا؟ قالت: لا، فقالت أنت أمير المؤمنين وليس عندك درهم فقال: هذا أهون علينا من عالجة الأغلال في جهنم.

وقال ابن كثير: كان عمر يكثر من أكل العدس حتى يرق قلبه وتغزر دمعه.

وقال أبو سليمان الداراني: كان عمر أزهد من أويس القرني لأن عمر ملك الدنيا بحزافيرها وزهد فيها.

تواضعه

قال رجاء بن حيوه كنا جلوسًا عند عمر فانطفأ السراج، فقام لإصلاحه، فعُتب في ذلك فقال قمت وأنا عمر بن عبد العزيز وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز.

وعن عمر بن حفص: لما ولى عمر بن عبد العزيز خرج ليلة ومعه حرسه، فدخل المسجد، فمر في الظلمة برجل نائم، فعثر به، فرفع رأسه إليه فقال: أمجنون أنت؟

قال: لا، فَهمَّ الحرسَ عليه، فقال له عمر: مه، إنه سألنى أمجنون أنت؟ فقلت: لا.

وعن أيوب قيل لعمر: يا أمير المؤمنين، لو أتيت المدينة فإن قضى الله موتًا دفنتُ في موضع القبر الرابع مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: والله لأن يعذبني الله بغير النار أحب إلى من أن يعلم من قلبى أنى أراني أهلاً لذلك.

عدله

قال موسى بن أعين: كنا نرعى الشاء في خلافة عمر بن عبد العزيز فكانت الشاء والذئب ترعى في مكان والله واحد، فبينما نحن ذات ليلة، إذ عرض الذئب لشاة فقلت: مات عمر فوجدناه مات فى تلك الليلة.

قال ابن الجوزى: قال موسى لعمر حين رجع من جنازة سليمان: ما لى أراك مغتمًا؟ قال: لمثل ما أنا فيه يغتم إنه ليس من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحد في شرق الأرض وغربها إلا وأنا أؤدى إليه حقه غير كاتب إلىّ فيه ولا طالبه منى.

وفي عهد عمر بن عبد العزيز كثر المال فقيل له كثر المال في بيت المسلمين فقال أعطوا الفقراء فقالوا أعطينا كل الفقراء فقال: اجعلوا لكل رجل أعمى قائد يقوده واعطوه أجره وزوجوا الشباب، وضعوا القمح والشعير في أعالي الجبال حتى إذا سألنى ربي أقول له كنت أطعم الطير.

عفوه

قال ابن كثير: لما سمّه الخادم في طعامه وعلم أنه مسموم استدعى خادمه الذى سمّه فقال له: ويحك ما حملك على ما وضعت؟ فقال الخادم: ألف دينار، أعطيتها، فقال عمر: هاتها: فأحضرها فوضعها في بيت مال، ثم قال: اذهب حيث لا يراك أحد فتهلك.

وفاته

قيل لعمر: هؤلاء بنوك وكانوا أثنى عشر ألا توصي لهم بشىء فإنهم فقال: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ والله لا أعطيهم حق أحد، وهم بين رجلين، إما صالح فالله يتولى الصالحين وإما غير صالح فما كنت لأعينه على فسقه ولا أبالي في أي واد هلك.

وعن ليث بن أبي رقية عن عمر أنه لما كان مرضه الذى قبض فيه قال: أنا الذى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه، وأحدّ النظر فقال: إنى لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جان وقالت فاطمة أن عمر ظل يردد هذه الآية حتى مات ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

وقال رجاء بن حيوة كان عمر بن عبد العزيز قد أوصى إلى أن أغسله وأكفنه، وأدفنه فإذا حللت عقدة الكفن، أن أنظر في وجهه، قال: فلما فعلت ذلك إذا وجهه كالقراطيس بياضًا، وكان قد أخبرني أنه دفن ثلاثة من الخلفاء فيحل عن وجوههم فإذا هي مسودة [صفة الصفوة، مختصر سير أعلام النبلاء] [البداية والنهاية ، حلية الأولياء].

❊ ❊ ❊

٩٧- سفيان الثوري

أسمه

سفيان بن سعيد بن مسروق.

مولده

ولد سنة سبع وتسعين هـ.

نشأة سفيان

قال يحيى بن أيوب العابد: حدثنا أبو المثنى قال: سمعتهُم بِمَرْوٍ يقولون: قد جاء الثوريُّ، فخرجتُ أنظرُ إليه، فإذا هو غلامٌ قد بَقَلَ وجْهُه [أى خرج شعره].

عبادته وخوفه:

قال عبد الرحمن بن مهدى: سمعت سفيان يقول: ما بلغنى عن رسول الله ﷺ حديث قط إلا عملت به ولو مرة.

وعنه: قام سفيان يصلى قبل الزوال فمر بهذه الآية: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ فخرج مسرعًا فما لحقوه إلا في الحمراء فردوه [مكان في آخر المدينة].

عن يوسف بن أسباط قال: قال لى سفيان، وقد صلينا العشاء الآخرة، ناولنى المطهرة، فناولته فأخذها بيمينه ووضع يساره على خده، ونمت فاستيقظت وقد طلع الفجر، قال: لم أزل منذ ناولتنى هذه المطهرة أتفكر فى أمر الآخرة حتى الساعة.

قال عبد الرحمن بن مهدى: ما عاشرت فى الناس رجلاً أرق من سفيان، وكنت أرمقه الليلة بعد الليلة فما كان ينام إلا أول الليل ثم ينتفض فزعًا مرعوبًا

ينادى النار النار، شغلنى ذكر النار عن النوم والشهوات، ثم يتوضأ ويقول على إثر وضوئه: اللهم إنك عالم بحاجتي غير مُعلم، وما أطلب إلا فكاك رقبتى من النار، إلهى لو كان لى عذر فى التخلى ما أقمت مع الناس طرفة عين ثم يقبل على صلاته، وكان البكاء يمنعه من القراءة حتى إن كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه، وما كنت أقدر أن أنظر إليه استحياءً وهيبة منه.

وعن عبد الرحمن بن مهدى: بات سفيان عندى فلما اشتد به الأمر جعل يبكى، قال له رجل: يا أبا عبد الله أراك كثير الذنوب، فرفع شيئًا من الأرض فقال: والله لذنوبى أهون عندى من هذا إني أخاف أن أسلب الإيمان قبل أن أموت.

وقال يوسف بن أساط: كان سُفيان إذا أخذ في ذكر الآخرة يبول الدم، قال ابن وهب: رأيت الثورى في الحرم بعد المغرب، صلى، ثم سجد سجدة فلم يرفع حتى نودى بالعشاء.

قال أبو نعيم: كان سفيان إذا ذكر الموت لا ينتفع به أيامًا، فإذا سئل عن الشىء قال: لا أدرى، لا أدرى.

وقال عبد الله بن يونس سمعت سفيان ما لا أحصى يقول: اللهم سلم سلم، سلمنا منها إلى خير، اللهم ارزقنا العافية فى الدنيا والأخرة.

وقال الوليد بن شجاع قال أبى: كنت أخرج مع سفيان فما يكاد لسانه يفتر عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ذاهبًا وراجعًا.

وعن علي بن حمزة – ابن أخت سفيان – ذهبت ببول سفيان إلى الطبيب فقال: أنا أجيء معلك إليه، فأدخلته على سفيان فمسه وجسه ورآه وسأله، فقلت أى شئ رأيت ؟ فقل: (ما رأيت مثل هذا الرجل قطع الحزن كبده، وقال عطاء الحفاف : ما لقيت سفيان إلا باكيًا، لولا الحديث كان يصلي ما بين الظهر و العصر و المغرب و العشاء صلاة، فإذا سمع مذاكرة الحديث ترك الصلاة و جاء).

زهده

قال على بن ثابت: (رأيت الثوري في طريق مكة فقومت كل شئ عليه حتى نعليه ، فوجدته :درهماً و أربعة دوانيق).

وقال على بن ثابت: (لو لقيت سفيان في طريق مكة و معك فلسان تريد أن تتصدق بهما و أنت لا تعرف سفيان ظننت أنك ستضعهما في يده، و ما رأيت سفيان في صدر المجلس قط، و إنما كان يجلس إلي جانب الحائط و يستند إلى الحائط و يجمع بين ركبتاه).

تواضعه

قال خلف بن تميم: سمعت سفيان الثوري بمكة و قد كثر الناس عليه، فسمعته يقول: ضاعت الأمة حين احتيج إلي.

كراماته

قال عبد الله الهوري: دخلت زمزم في الحر ،فإذا بشيخ ينزع الدلو الذي يلي الركن، فلما شرب أدخل الدلو فأخذته فشربت فضله، فإذا هو سويق لوز لم أذق

سويق لوز أطيب منه، فلما كان في القابلة رصدته، فلما كان في ذلك الوقت دخل، فسدل ثوبه على وجهه، فنزع بالدلو مما يلي الركن، ثم شرب وأدخل الدلو، فأخذت فضله فشربت فإذا ماء مضروب بعسل لم أشرب عسلاً قط أطيب منه و شربت المرة الثالثة فإذا بلبن لم أرى لبناً قط أطيب منه، وكانت الشربة تكفيني إذا شربتها و لا أشعر جوعاً ولا عطشا، فقلت أسالك برب هذه البنية من أنت؟

قال تكتم عليّ حتى أموت، قلت نعم، قال: أنا سفيان الثورى.

وكان يوجد طائر يطير أول النهار فإذا جن الليل يبيت في بيت سفيان الثوري فلما مات سفيان تبع الطائر الجنازة وظل عند القبر حتى مات ودفنوه معه.

من روائع كلامه:

١ – أصلح سَرِيْرَتَك يصلح الله علانيتَك، وأصلح ما بينك وبين الله يصلح الله ماَ بينك وبين الناس، واعمل لآخرتك يكفك الله أمر دنياك، وبع دنياك بآخرتك تربحها جميعًا، ولا تبع آخرتك بدنياك، فتخسرهما جميعًا.

٢– اعمل للدنيا بقدر بقائك فيا، وللأخرة بقدر بقائك فيه ما عالجت شيئًا أشد علي من نفسي؛ مرة علي، ومرة لي. قال بشر بن الحارث: قيل لسفيان: أيكون الرجل زاهدًا، ويكون له مال؟ قال: نعم، إذا ابتلى صبر، وإذا أعطي شكر.

وقال سفيان: إن إستطعت أن لا تحك رأسك إلا بأثر فافعل.

وفاته:

قال عبد الرحمن بن مهدي: ليلة موت سفيان توضأ تلك الليلة للصلاة ستين مرة فلما كان وجه السحر قال: يا بن مهدي ضع خدى للصلاة ستين مرة فلما كان وجه السحر قال: يا بن مهدي ما أشد الموت ما أشد كرب الموت! فقال له حماد أبشر فقد نجوت مما كنت تخاف، وتقدم على رب كريم فقال سفيان: أترى الله أن يغفر لمثلي؟ قال: أي والله الذي لا إله إلا هو، فكأنما سري عنه.

مبشرات بعد موته:

قال سعيد بن الخمس: رأيت سفيان في المنام يطير من نخلة إلى نخلة وهو يقرأ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾.

وقال إبراهيم بن أعين: رأيت سفيان فقلت: ما صنعت: قال: أنا مع السفرة الكرام البررة.

وقال قبيصة: رأيت سفيان في النوم فقلت: ما فعل بك ربك؟ فقال:

نظرت إلى ربي كفاحًا
فقال لى هنيئًا رضائي عنك يا بن سعيد
فقد كنت قواما إذا أقبل الدجي
بعبرة مشتاق وقلب عمير
فدونك فاختر أي قصر أردته
وزرني فإني منك غير بعيد

وقال صخر بن راشد: رأيت عبد الله بن المبارك في منامي بعد موته فقلت: أليس قد مت؟ قال: بلى، قلت: فما صنع بك ربك؟ قال غفر لي. قلت: هل رأيت سفيان. قال: بخ بخ ذاك ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [صفة الصفوة] [مختصر سير أعلام النبلاء] [حلية الأولياء].

* * *

٩٨- الحسن البصري

اسمه

الحسن بن أبى الحسن البصري.

كنيته

أبو سعيد.

مولده

ولد فى خلافة عمر وحنكة عمر بيده؛ وكانت أمه تخدم أم سلمة زوج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فربما غابت فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به إلى أن تجيء أمه فيدر عليها ثديها فيشربه، فكانوا يقولون فصاحته من بركة ذلك.

عبادته وخوفه

عن عمران بن خالد: قال الحسن: إن المؤمن يصبح حزينًا ويمسى حزينًا ولا يسعه غير ذلك لأنه بين مخافتين، بين ذنب قد مضى لا يدري ما الله يصنعه فيه، وبين أجل قد بقى لا يدري ما يصيب فيه من المهالك.

وقال الحسن: والله لايؤمن عبد بهذا القرآن إلا حزن وذبل، وإلا نصب، وإلا ذاب، وإلا تعب.

وقال الحسن: يحق لمن يعلم أن الموت مورده وأن الساعة موعده وأن القيامة بين يدي الله تعالىٰ مشهده أن يطول حزنه.

وقال إبراهيم بن عيسى: ما رأيت أطول حزنًا من الحسن، وما رأيته إلا حسبته حديث عهد بمصيبة.

وعن يونس قال: كان الحسن يقول: نضحك ولعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا فقال لا أقبل منكم شيئًا.

وقال حكيم بن جعفر: قال لى مسمع: لو رأيت الحسن لقلت قد بث عليه حزن الخلائق من تلك الدمعة وكثرة ذلك النشيج.

وعن حفص بن عمر قال: بكى الحسن، فقيل له ما يبكيك؟ فقال: أخاف أن يطرحنى غدًا فى النار ولا يبالى.

وقال حمزة: كنت أدخل على الحسن منزله وهو يبكى، وربما جئت إليه وهو يصلى فأسمع بكائه ونحيبه، فقلت له يومًا: إنك تكثر البكاء فقال: يا بنى ماذا يصنع المؤمن إذا لم يبك؟

يا بنى إن البكاء داع إلى الرحمة، فإن استطعت أن تكون عمرك باكيًا فإفعل لعل الله تعالىٰ أن يرحمك.

وقال أيوب السختيانى: كان الرجل يجلس إلى الحسن ثلاث حجج ما يسأله عن المسألة، هيبة له.

وقد ذهب الإمام ميمون بن مهران كاتب عمر بن عبد العزيز إلى الإمام الحسن البصري، فقال ميمون: يا أبا سعيد إنى أجد فى قلبى غلظة أصوم لها، فقرأ الحسن عليه قول الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧].

فغشى على ميمون وسقط على الأرض، فكانوا يحركون قدمه كالشاة المذبوحة ودخل الحسن بيته فخرجت الجارية فقالت لميمون وولده، انصرفوا أزعجتم الشيخ سائر اليوم لأن الأيات أثرت فى الحسن.

من روائع كلامه:

قال: إن قومًا ألهتهم أمانى المغفرة ورجاء الرحمة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة، يقول أحدهم: إنى لأحسن الظن بالله، وأرجو رحمة الله، وكذب لو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة.

وقال: ابن آدم ترك الخطية أهون عليك من معالجة التوبة.

وقال: ما أعز أحد الدرهم إلا أذله الله.

وقال: أنما الفقيه الزاهد فى الدنيا، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه.

وقال: ابن آدم إنما أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك.

وقال: المؤمن أحسن الناس عملًا وأشد الناس وجلًا، فلو أنفق جبلًا من مال ما أمن دون أن يعاين، ولا يزداد صلاحًا وبرًا إلا ازداد خوفًا، والمنافق يقول سواد الناس كثير وسيغفر لى ولا بأس على فيسىء العمل ويتمنى على الله.

وقال: هانوا على الله فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم.

وقال: ابن آدم طأ الأرض بقدمك فإنها عن قليل قبرك، إنك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك.

وقال: والله، لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم للرحمن تعالىٰ بحبهم الدنيا.

وقال: إن العبد المؤمن ليعمل الذنب فلا يزال به كئيبًا.

وقال: لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم يوم القيامة لماتوا.

وقال الحسن: لقد أدركت أقواما ما أنا عندهم إلا لص.

وقال مبارك بن فضالة: سمعت الحسن وقال له شاب: أعيانى قيام الليل، فقال قيدتك خطاياك، أحسن فى نهارك يحسن لك فى ليلك وأحسن فى ليلك يحسن لك فى نهارك.

وقال: حادثوا هذ القلوب فإنها سريعة الدثور، واقنعوا هذه الأنفس فإنها طلعة إلى شر غاية، وإنكم إن لم تقاوموها لم تبق من أعمالكم شيئًا فتصبروا فإنما هى

ليال تعد، وإنما أنتم بركب ويوشك أن يدعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت فانقلبوا بصالح ما بحضرتكم، إن هذا الحق أجهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم وإنما صبر على هذا الحق من عرف فضله ورجا عاقبته.

وقال: يا بن آدم إنك لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب من نفسك فتصلحه، فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيبًا إلا وجدت عيبًا آخر لم تصلحه، فإذا فعلت ذلك كان شغلك فى خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله تعالىٰ من كان كذلك.

وقال: رحم الله عبدًا وقف عند همه، فإذا كان لله مضى، وإذا كان لغيره تأخر.

وقال: إن المؤمن والله: ما تراه إلا يلوم نفسه على كل حالاته، يستقصرها فى كل ما يفعل فيندم ويلوم نفسه، وإن الفاجر ليمضى قدمًا لا يعاتب نفسه.

وقال: إن المؤمن قوام على نفسه، يحاسب نفسه لله وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة.

وقال: فضح الموت الدنيا، فلم يترك فيها لذى عقل فرحًا.

وفاته:

قال هشام بن حسان: كنا عند محمد بن سرين يوم الخميس فدخل عليه رجل بعد العصر فقال مات الحسن فترحم عليه وتغير لونه وأمسك عن الكلام، فما تكلم

حتى غربت الشمس، وعاش الحسن نحوًا من ثمان وثمانين سنة، وكانت جنازته مشهودة، صلوا عليه عقب الجمعة بالبصرة فشيعه الخلق وازدحموا عليه، حتى إن صلاة العصر لم تقم فى الجامع.

ويروى: أن الحسن أغمى عليه ثم أفاق إفاقة فقال لقد نبهتمونى من جنات وعيون ومقام كريم.

وقال الحجاج بن دينار: كان بن حجل صديقًا لابن سرين، فلما مات بن سرين حزن عليه حتى جل يعاد كما يعاد المريض، فحدث بعد قال، رأيت أخى ابن سرين فى المنام، فرأيته فى قصر فذكر من حسن هيئته وأنه على أفضل حال، فقلت له: أي أخي قد آراك فى حال يسرنى فما صنع الحسن البصرى؟ قال: رفع فوقى بتسعين درجة، فقلت: وممم ذاك؟ قال: بطول حزنه.

[حلية الأولياء، صفة الصفوة، سر أعلام النبلاء، والبداية والنهاية]

❊ ❊ ❊

٩٩- الإمام مالك

نسبه

مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى.

قال مطرف: قال مالك: قلت لأمه: أذهب لطلب العلمُ؟ فقالت: تعالَ فالبَسْ ثياب العلم، فألبستني مسمرة، ووضعت الطويلة على رأسي وعممتني فوقها، ثم قالت: اذهب فاكتب الآن.

وكانت تقول: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه [عودة الحجاب].

وقال ابن وهب: قيل لأخت مالك: ما كان شغل مالك فى بيته؟ قالت: المصحف، التلاوة.

وقال الحافظ ابنُ عبد البر في التمهيد هذا كتبته من حفظي: إنَّ عبد الله العُمَري، العابد، كتب إلى مالك يحضُّه على الانفراد والعمل، فكتب إليه مالك: إن الله قسم الأعمال كما قسَّم الرزق، فَرُبَّ رجلٌ فُتِحَ له في الصلاة، ولم يفتح له في الصوم، وآخر فُتحَ له فى الصَّدقة ولم يُفْتَحْ له في الصوم، وآخر فُتح له في الجهاد، فَنَشْرُ العلم من أفضل أعمال البِرِّ، وقدير ضيُّب بما فُتح لي قيه، وما أظُن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبِرٍّ.

وقال ابن وهب: من نقلنا من أدب مالك أكثر مما تعلَّمنا من علْمه.

وعن حنبل بن إسحاق قال: سألت أبا عبد الله عن مالك فقال: مالك سيد من سادات أهل العلم، وهو إمام في العلم والفقه، ثم قال: ومن مثل مالك متبع لآثار من تقدم مع عقل وأدب؟

وعن عبد الله بن وهب قال: سمعت مالك بن أنس يقول: ليس العلم بكثرة الرواية إنما هو نور يضعه الله فى القلب.

وعنه: قيل لمالك بن أنس: ما تقول فى طلب العلم؟ قال: حسن جميل، ولكن انظر إلى الذى يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى فالزمه وعن أبى مصعب قال: سمعت مالك بن أنس يقول: ما أفتيت حتى شهد لى سبعون أنى أهل لذلك.

نُعيم بن حَّماد، سمعت ابن المبارّك يقول: ما رأيتُ أحدًا ارتفعَ مثل مالك، ليس له كثيرُ صلاة ولا صيام، إلاَّ أن تكونَ له سريرةٌ.

وقال الشافعي: كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء، قال إني على بينة من ديني، وأما أنت فَشَاك، اذهب إلى شاكٍّ مثلك فَخَاصِمْهُ.

وقال محمد بن رمح: رأيت النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلت: يا رسول الله، إن مالكًا والليث يختلفان، فبأيِّهما آخذ؟ قال: مالكٌ، مالكٌ.

وعن إبراهيم المنذر قال: سمعت معن بن عيسى يقول: كان مالك بن انس إذا أراد أن يحدث بحديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اغتسل وتبخر وتطيب، وكان يقول: من رفع صوته عند حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال إسماعيل بن أبي أويس: مرض مالك، فسألت بعض أهله عما قال عند الموت، قالوا: تشهد، ثم قال: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم:٤]، وتُوفِّي.

ونقل القاضي عياض: أن أسد بن موسى، قال: رأيتُ مالكًا بعد موته، وعليه طويلة، وثيابٌ خضر وهو على ناقة، يطيرُ بين السماء والأرض فقلتُ: يا أبا عبد الله، أليس قد مُتَّ؟ قال: بلى، فقُلتُ: فإلامَ صِرْتَ؟ فقال: قَدْمتُ على ربِّي وكلَّمني كفاحًا (أي مواجهة وبدون وساطة)، وقال: سَلْني أُعطِكَ وتَمَنَّعلي أُرضِكَ.قُلْتُ: ودُفِن بالبقيع اتِّفاقًا [صفة الصفوة، وتهذيب سير أعلام النبلاء].

موقف من مواقفه الصادقة

قال الإمام الذهبي: «قال محمد بن جرير: كان مالكٌ قد ضُرِب بالسِّياط، واختُلِف في سبب ذلك؛ فحدثني العباس بن الوليد، أن أبا جعفر نهى مالكًا عن الحديث: (ليس على مستكرهٍ طلاقٌ)، ثم دسَّ إليه من يسأله، فحدَّثه به على رؤوس الناس، فضربه بالسِّياط».

قال ابن سعد: «أخبرنا محمد بن عمر قال: لما دُعِيَ مالك بن أنس واستُشير وسُمِع منه وقُبِل قوله؛ شنَّف الناس له، وحسدوه وبغوه بكلِّ شيءٍ، فلمَّا ولِّيَ جعفر بن سليمان على المدينة سعوا به إليه، وكثروا عليه عنده وقالوا: لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيءٍ، وهو يأخذ بحديثٍ رواه عن ثابت الأحنف في طلاق الُمكره أنَّه لا يجوز، فغضب جعفر بن سليمان فدعا بمالك، فاحتجَّ عليه بما رُقِيَ إليه عنه، ثم جرَّده ومدَّه وضربه بالسِّياط، ومُدَّت يده حتى انخلع كَتِفَاه وارتُكِب منه أمرٌ عظيم، فوالله ما زال بعد ذلك الضرب في رفعةٍ عند الناس، وعلوٍّ من أمره، وإعظام الناس له، وكأنما كانت تلك السِّياط التي ضربها حُلِيًّا حُلِّيَ بها.

❊ ❊ ❊

١٠٠- الإمام الشافعي

نسبه

محمد بن إدريس الشافعي.

كنيته

أبا عبد الله.

وعن إسماعيل بن يحي قال: سمعت الشافعي يقول: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين.

وقال الشافعي: لم يكن لى مال فكنت أطلب العلم فى الحداثة أذهب إلى الديوان أستوهب الظهور أكتب فيها.

وعن محمد بن إسماعيل الحميرى عن أبيه، قال: كان الشافعي يطلب اللغة العربية والشعر وكان كثيرًا ما يخرج إلى البدو فيحمل ما فيه من الأدب.

وقال مسلم بن خالد الزنجى للشافعي: يا أبا عبد الله أفتي الناس، آن والله أن تفتي، وهو ابن دون عشرين سنة.

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: قال الشافعيُّ: أنتم أعلمُ بالأخبار الصِّحَاح مِنَّا، فإذا كان خبر صحيح، فأعلمني حتى أذهب إليه، كوفيًا كان، أو بصريًا أو شاميًا.

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: يروى في الحديث أن الله تعالىٰ يبعث على رأس كل مائة سنة من يصحح لهذه الأمة دينها، فنظرنا في المائة الأولى فنراه عمر، ونظرنا في المائة الثانية فنراه الشافعي.

وعن الربيع بن أنس قال: سمعت الشافعي يقول: أشد الأعمال ثلاثة: الجود من قلة، والورع فى خلوة، وكلمة الحق عند من يُرجى ويُخاف.

وعنه قال: سمعت الشافعي يقول: لوددت أن الخلق يتعلمون منى ولا ينسب إلى منه شيء، وسمعته يقول: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

وعنه قال: قال الشافعي: من طلب الرياسة فرت منه وإذا تصدر الحدث فاته علم كثير.

وقال أحمد بن الخلال: سمعت الشافعي يقول: ما ناظرت أحدًا فأحببت أن يخطىء.

وعن الحسين الكرابيسى قال: سمعت الشافعي يقول: ما ناظرت أحدًا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ وما ناظرت أحدًا إلا ولم أبال بيّن الحق على لسانى أو لسانه.

وقال الربيع: كان الشافعي قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء: الثلث الأول يكتب، والثلث الثاني يصلي، والثلث الثالث ينام.

وقال الربيع: كان للشافعي ستون ختمة لا يحسب منها ما يقرأ فى الصلاة.

وقال أبو بكر النيسابورى: سمعت الربيع يقول: كان الشافعي، يختم كل شهر ثلاثين ختمة وفى رمضان ستين ختمة.

وقال حسين الكرابيسى: بتُ مع الشافعيَّ ليلةُ، فكان يُصلِّي نحو ثُلُث الليل، فما رأيتُه يزيدُ على خمسين آية، فإذا أكثر، فمئة آية، وكان لا يمرُّ بآية رحمه إلا سأل الله، ولا بآية عذاب إلا تعوذ، وكأنما جُمع له الرجاء والرهبةُ جميعًا.

وعن إسحاق ابن راهوية قال: كنت مع أحمد بن حنبل بمكة فقال لى: تعالىٰ حتى أريك رجلاً لم ترى عيناك مثله، فأرانى الشافعى.

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قلت لأبى: يا أبي أى رجل كان الشافعى؟ سمعتك تكثر من الدعاء له فقال يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر لهذين من خلف أو عوض؟

وقال الربيع: سمعت الشافعي، يقولُ: ما شبعت منذ ستَ عشرة سنةً إلا مرة فأدخلت يدى فتقيأتُها، لأن الشبع يُثقل البدن، ويُقسى القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعفُ عن العبادة.

وقال الشافعى: العلم ما نفعَ، ليس العلم ما حُفِظ.

وقال: اللبيبُ العاقلُ، هو الفطن المتغافل.

وقال: لو أعلم أن الماء البارد ينقُص مروءتي، ما شربتُه.

وقال الشافعى: ما أفلح سمين قطُ إلا أن يكون محمد بن الحسن، قيل، ولم؟ قال: لأن العاقل لا يعدد من إحدى خلتين، إما يغتنم لآخرته أو لدنياه، والشحم مع الغم لا ينعقد.

وقال الشافعى: بئس الزاد إلى المعاد، العدوان على العباد.

وقال: ضياعُ العالم أن يكون بلا إخوان، وضياعُ الجاهل قلَّة عمِلِه، وأضيعُ منهما من أم وأخى من لا عقل له.

وقال الشافعى: أصلُ العلم التثبيتُ، وثمرتُهُ السلامةُ، وأصلُ الورع القناعة وثمرتهُ الراحةُ، وأصلُ الصبر الحزمُ، وثمرتُهُ النُّجْحْ وغايةُ كُل أمرِ الصدقُ.

وعن المزنى قال: دخلت على الشافعى فى علته التى مات فيها فقلت: كيف أصبحت؟

فقال: أصبحت ن الدنيا راحلاً ولإخوانى مفارقًا ولكأس المنية شاربًا ولسوء أعمالى ملاقيًا وعلى الله تعالىٰ واردًا فلا أدرى وحى تصير إلى الجنة فأهنئها أو إلى النار فأعزيها، ثم بكى وأنشد يقول:

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى ... جعلت الرجا منى لعفوك سلما

تعاظمنى ذنبى فلما قرنته ... بعفوك ربى كان عفوك أعظما

وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منه وتكرما

وعن الربيع قال: رأيت الشافعي بعد وفاته بالمنام فقلت: يا أبا عبد الله ما صنع الله بك؟ قال أجلسني على كرسي من ذهب ونثر على اللؤلؤ الرطب، والسلام.

[صفة الصفوة، مختصر سير أعلام النبلاء]

* * *

١٠١- الإمام أحمد إمام أهل السنة

نسبه:

أحمد بن محمد بن حَنْبَل، الذّهلي، الشيباني، المروزي، ثم البغدادي.

قال الإمام الذهبي: رُبِّي أحمدُ يتيمًا.

طلب العلم وهو ابنُ خمس عشرة سنة، فى العام الذى مات فيه مالك.

وعن إبراهيم بن شماس قال: كنت أعرف أحمد بن حنبل وهو غلام يحيّى الليل.

وعن عبد الله بن أحمد قال: كان أبى أصبر الناس على الوحدة، لم يره أحد إلا فى مسجد أو حضور جنازة أو عيادة مريض، وكان يكره المشى فى الأسواق.

وعنه قال: كان أبى يصلى فى كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة، وقد كان قرب من الثمانين، وكان يقرأ فى كل يوم سبعا يختم فى سبعة أيام، وكانت له ختمة كل سبع ليال سوى صلاة النهار، وكان ساعة يصلى عشاء الآخرة ينام نومه خفيفة ثم يقوم إلى الصباح يصلى ويدعو، وحج أبى خمس حجج ماشيًا واثنين راكبًا، وأنفق فى بعض حجاته عشرين درهمًا.

وعنه قال كنت أسمع أبى كثيرًا يقول فى دبر الصلاة: اللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرك صنه عن المسألة لغيرك.

وعن ابى عيسى بن زاذان قال: صلينا بجوار أحمد بن حنبل، فسمعته يقول: اللهم من كان على هوى أو على رأى وهو يظن أنه على الحق وليس هو على الحق فرده إلى الحق حتى لا يُضل من الأمة أحد.

وقال ابن مهدى: ما نظرت إلى أحمد بن حنبل إلا ذكرت به سفيان الثورى، ولقد كاد هذا الغلام أن يكون إمامًا فى بطن أمه.

وقال المروزي: كان أحمد بن حنبل إذا ذُكر الموت خنقته العبرة، وكان يقول: الخوف يمنعني أكل الطعام والشَّراب، وإذا ذكرتُ الموت هان عليَّ كلُّ أمر الدُّنْيَا. إنَّما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، إنَّها أيامٌ قلائل.

وقال المروذي: رأيت أبي عبد الله يقوم لورده قريبًا من نصف الليل حتى يُقارب السحر رايتُه يركع فيما بين المغرب والعشاء.

وقال عبد الله: ربما سمعت أبي في السَّحر يدعو لأقوام بأسمائهم. وكان يُكثر الدعاءَ ويُخفيه، ويُصَلِّي بين العشاءين، فإذا صلّى عشاء الآخرة ركع ركعات صالحة، ثم يُوتر وينام نومةً خفيفةً، ثم يقوم ويُصلِّي، وكانت قراءته ليِّنة، ربَّما لم أفهم بعضها. وكان يصوم ويُدمن، ثم يُفطر ما شاء الله، ولا يترك صوم الاثنين والخميس وأيام البيض، فلما رجع من العسكر، أدمن الصوم إلى أن مات.

قال المروزي: قال لي أحمد: ما كتبتُ حديثًا إلاَّ قد عملْتُ به حتى مرَّ بي أن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احتجم وأعطى أبا طيبة دينارًا، حين احتجمتُ.

وقال يحيى بن معين: ما رأيتُ مثل أحمد، صاحبناه خمسين سنة، ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير.

وعن رجل قال: رأيتُ أثر الغمِّ في وجه أحمد بن حنبل، وقد أثنى عليه شخص، وقيل له: جزاك الله عن الإسلام خيرًا، قال: بل جزى الله الإسلام عني خيرًا. ومن أنا؟ وما أنا؟

وعن المروزى: قال سمعت أبا عبد الله يقول: قد وجدت البرد في أطرافى ما أراه إلا من إدمانى أكل الخل والملح.

وعن محمد بن الحسن بن هارون قال: رأيت أبا عبد الله إذا مشى فى الطريق يكره أن يتبعه أحد.

وقال حرملة: سمعتَ الشافعي، يقولُ: خرجتُ من بغداد فما خلَّفتُ بها رجلاً أفضل، ولا أعلمَ ولا أفقه، ولا أتقى من أحمد بن حنبل.

وروي عن إسحاق بن راهوية، قال: أحمدُ حجَّة بين الله وبين خلقه.

وقال عبد الله بن أحمد: قال أصحابُ بشر الحافي له حين ضَربَ أبي: لو أنك خرجت فقلت: إنِّي على قول أحمد، فقال: أتَريدُون أن أقوم مقام الأنبياء؟

وقال الحنيني: سمعت إسماعيل بن الخليل، يقول: لو كان أحمدُ بن حنبل في بني إسرائيل، لكان آية.

وقال صالح: ربَّما رأيت أبي يأخذ الكِسَر، ينفُضُ الغبار عنها، ويُصيِّرُها في قصعة، ويَصُبُّ عليها ماءً ثم يأكلُها بالملح. وما رأيتُه اشترى رُمَّانًا ولا شيئًا من الفاكهة، إلا أن تكون بطيخة فيأكلها بخبز وعنبًا وتمرًا.

وعن أبي عصمة بن عصام البيهقي قال: بت ليلة عند أحمد بن حنبل، فجاء بالماء فوضعه، فلما أصبح نظر في الماء فإذا هو كما كان: فقال: سبحان الله، رجل يطلب العلم لا يكون له ورد بالليل؟

وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله، يقول: تزوجت وأنا ابن أربعين سنة، فرزق الله خيرًا كثيرًا.

وقال عبد الله بن أحمد: قال لي أبو زرعة: أبُوك يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له. وما يدريك؟ قال: ذاكرته، فأخذت عليه الأبواب.

وقال إبراهيم الحربي: رأيت أحمد بن حنبل كأن الله جمع له علم الأوَّلين والآخرين.

وقال عبد الرزاق: ما رأيتُ أحدًا أفقه ولا أروعَ من أحمد بن حنبل، قُلتُ: قال هذا، وقد رأى مثل الثوريِّ ومالك.

وكنت اسمعه كثيرًا، يقول: اللهم سَلِّم سَلِّم.

وقال أبو داود السجستاني: كانت مجالسة أحمد بن حنبل مجالسة الآخرة، لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا، وما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط.

وعن إسحاق بن راهوية قال: لما خرج أحمد بن حنبل إلى عبد الرازق انقطعت به النفقة فأكرى نفسه من بعض الجمالين، إلى أن وافى صنعاء، وقد كان أصحابه عرضوا عليه المواساة فلم يقبل من أحد شيئًا.

وعن الرمادى قال: سمعت عبد الرازق، وذكر أحمد بن حنبل فدمعت عيناه، فقال: قدم وبلغنى أن نفقته نفذت فأخذت عشرة دنانير وأقمته خلف الباب، وما معى ومعه أحد، وقلت: إنه لا تجتمع عندنا الدنانير وقد وجدت الساعة عند النساء عشرة دنانير فخذها فأرجو ألا تنفقوها حتى يتهيأ عندنا شىء، فتبسم وقال لى: يا أبا بكر، لو قبلت شيئًا من الناس قبلت منك ولم يقبل.

وفاة الإمام أحمد:

توفى فى سنة إحدى وأربعين ومائتين، وقد استكمل سبعًا وسبعين سنة.

قال المروزي: مرض الإمام أحمد ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين، ومرض تسعة أيام وتسامع الناس فأقبلوا لعيادته ولزموا الباب الليل والنهار يبتون، فربما أذن للناس فيدخلون أفواجًا يسلمون عليه، فيرد عليهم بيده.

وقال أبو عبد الله: ووضأته فقال: خلل الأصابع، فلما كان يوم الجمعة اجتمع الناس حتى ملئوا السكك والشوارع، فلما كان صدر النهار قُبض رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: لما حضرت أبى الوفاة جلست عنده وبيدى الخرقة لأشد بها لحييه، فجعل يعرق ثم يفيق، ثم يفتح عينيه ويقول بيده هكذا: لا بعد، لا بعد، ففعل هذا مرة ثانية، فلما كان فى الثالثة قلت له: يا أبة أى شىء هذا قد لهجت به فى هذا الوقت؟

تعرف حتى نقول قد قضيت، ثم تعود فنقول: لا بعد لا بعد.

فقال لى: يا بنى ما تدرى ما قلت؟ قلت: لا، فقال: إبليس لعنه الله قائم حذائى عاض على أنامله يقول لى: يا أحمد فُتَّنى، فأقول: لا بعد لا بعد حتى أموت.

وعن بنان بن أحمد القصانى أنه حضر جنازة أحمد بن حنبل فيمن حضر، قال: فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة باب القطيعة، وكان من حضرها من الرجال ثمان مائة ألف، ومن النساء ستين ألف امرأة.

وقال أبو بكر المروزي: رأيت أحمد بن حنبل فى النوم كأنه فى روضة وعليه حلتان خضروان، وعلى رأسه تاج النور، وإذا هو يمشى مشية لم أكن أعرفها فقلت: يا أحمد ما هذه المشية التى لم أكن أعرفها لك؟ فقال: هذه مشية الخدام فى دار السلام، فقلت: ما هذا التاج الذى أراه على رأسك؟ فقال: إن ربى عَزَّوَجَلَّ أوقفنى وحاسبنى حساب يسيرًا وحبانى وقربنى وأباحنى النظر إليه، وتوجنى بهذا التاج وقال لى: يا أحمد هذا تاج الوقار توجتك به كما قلت، القرآن كلامى غير مخلوق.

[صفة الصفوة، تهذيب سير أعلام النبلاء]

موقف من مواقفه الصادقة

يقول علي بن المديني: «أعزَّ الله الدين بالصدِّيق يوم الرِّدة، وبأحمد يوم المحنة».

ومحنة الإمام أحمد فيها من الأهوال والعظائم ما تقشعرُّ لها الجلُود، ولكن حسبُنا منها خيوطها العامة التي تُعرِّفنا بالملامح العامة لهذه المحنة.

في عام (٢١٨هـ) وبسبب شِرذمة هلكى من ضُلاَّل المعتزلة يرأسهم أحمد بن أبي دواد؛ ظهرت بدعة القول بخلق القرآن، واستطاعوا أن يلبسوا على الخليفة بهذا القول حتى اعتقده، فكتب الخليفة المأمون إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم يأمره أن يمتحن القضاة والمحدثين بالقول بخلق القرآن، وأمره بأن من أجاب منهم شهر أمره في الناس، ومن لم يجب منهم أن يبعثه إلى عسكر أمير المؤمنين يرسف في أغلاله، حتى يصل إلى أمير المؤمنين فيرى فيه رأيه، فأجاب أكثرهم إلا أربعة؛ وهم: أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح، والحسن بن حماد (سجادة)، وعبيد الله بن عمر القواريري، ثم أجاب سجادة، ثم أجاب القواريري، وأُرسِل أحمد وابن نوح إلى الخليفة، فسارا مقيدين في محمل على جمل، وفي الطريق جعل الإمام أحمد يدعو الله عَزَّوَجَلَّ ألا يجمع بينهما وبين المأمون، وألا يرياه ولا يراهما، فلما كانوا ببعض الطريق بلغهم موت المأمون، فعادوا إلى بغداد.

قال محمد بن إسماعيل بن أبي سمينة: «سمعت شاباص التائب يقول: لقد ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطًا، لو ضربته فيلًا لهدَّته».

١٠٢- الإمام البخاري

اسمه

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه ويظهر من الأسمين الأخرين أن الإمام البخاري كان عجمى النسل.

الكنية

أبو عبد الله.

اللقب

إمام المحدثين أو أمير المؤمنين فى الحديث.

مولده

ولد فى (بخارا) المدينة المعروفة فى خرسان.

بداية طلب العلم

عن محمد بن أبى حاتم قال: قلت للبخاري: كيف كان بدءُ أمرك؟ قال: أُلهمت حفظ الحديث وأنا فى الكتاب فقلت: كم كان سنك؟ فقال: عشر سنين، أو أقل: ثم خرجت من الكُتاب بعد العشر، فجعلت اختلف إلى الشيخ الداخلي وغيره، فقال يومًا فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبى الزبير عن إبراهيم، فقلت له: إن أبا الزبير لم يروى عن إبراهيم، فانتهرنى، فقلت له: ارجع إلى الأصل، فدخل فنظر فيه، ثم خرج فقال لى: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدى عن إبراهيم، فأخذ

القلم مني وأحكم كتابه، وقال: صدقت، فقيل للبخاري: ابن كم كنت حين رددت عليه؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة.

عبادته وزهده وصلاحه:

قال مسيح بن سعيد: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان فى أول ليلة من رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلى بهم فيقرأ فى كل ركعة عشرين آية، وكان يقرأ فى السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختم عند السحر فى كل ثلاث ليال، ويقول عند كل ختمة: دعوة مستجابة.

وقال محمد بن أبى حاتم: كنت أرى أبا عبد الله يقوم فى ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرة مرة إلى عشرين مرة فى كل ذلك يأخذ فيورى نارًا ويسرج ثم يخرج أحاديث فعلم عليها ثم يضع رأسه و كان يصلى فى وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة.

وقال محمد بن أبى حاتم: صلى البخاري بأصحابه الظهر فى بستان، ثم قام يتطوع، فلما فرغ من صلاته، رفع ذيل قميصه، فقال لبعض من معه، انظر هل ترى تحت قميصى شيئًا؟ فإذا زنبور (ذكر النحل) قد أَبَرَهُ فى ستة عشر موضعًا وقد تورم من ذلك جسده، فقال له بعض القوم: كيف لم تخرج من الصلاة أول ما أبرَك؟ قال كنت فى سورة، فأجبت أن أتمها.

وقال محمد بن منصور قال: سمعت أبى يقول: كنا فى مجلس الإمام البخاري، فرفع إنسان من لحيته قذارة فطرحها على الأرض، فرأيت البخاري ينظر إليها وإلى

الناس فلما غفل الناس رأيته مد يده فرفع القذارة من الأرض فادخلها فى كمه، فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها فطرحها على الأرض.

حفظه وسعة علمه

قال حاشد بن إسماعيل: كان البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما تصنع؟ فقال لنا يومًا بعد ستة عشر يومًا: إنكما قد أكثرتما عليَّ وألححتما فاعرضا علي ما كتبتما، فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزاد علينا خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر القلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه، ثم قال: أترون أني أختلف هدرا وأضيع أيامي؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد.

وقال محمد بن خمروية: سمعت البخاري يقول: أحفظ مئة ألف حديث صحيح: واحفظ مئتى ألف حديث غير صحيح.

وقال البخاري: لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم من أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وبغداد والشام ومصر.

مبشرات البخاري

قال النجم بن الفضيل: رأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى النوم كأنه يمشي، والبخاري يمشي خلفه، فكلما رفع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدمه، وضع البخاري قدمه.

وقال الفربرى: رأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى النوم فقال لي أين تريد؟ فقلت: أريد البخار، فقال: أقرئه مني السلام.

وقال عبد الواحد بن آدم: رأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى النوم، ومعه جماعة من أصحابه، وهو واقف فى موضع، فسلمت عليه فرد علي السلام، فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ قال: أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري فلما كان بعد أيام، بلغني موته فنظرت فإذا قد مات فى الساعة التي رأيت بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بداية صحيح البخاري

قال الإمام البخاري: كنا عند إسحاق بن راهوية فقال: لو جمعتم كتابًا مختصرًا لصحيح سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: فوقع ذلك في قلبي، فأخذت فى جمع الجامع الصحيح.

وقال الإمام البخاري: رأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكأنني واقف بيد يديه، وبيدى مروحة أذب بها عنه فسألت بعض المعبرين فقال لي أنت تذب عنه الكذب، فهو الذى حملني على إخراج الجامع الصحيح.

كيف صنف صحيح البخاري

قال الإمام البخاري: ما وضعت فى الكتاب الصحيح حديثًا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.

وقال الإمام البخاري: أخرجت هذا الكتاب يعني صحيح البخاري من ستمائة ألف حديث.

مدة تأليف صحيح البخاري

قال الإمام البخاري: صنفت الجامع الصحيح من ستمائة ألف حديث فى ستة عشر سنة.

وقال الإمام البخاري: صنفت كتابى الجامع فى المسجد الحرام وما أدخلت فيه حديثًا حتى استخرت الله تعالى، وصليت ركعتين وتيقنت صحته.

شروط صحيح البخاري

١- أن يكون جميع رواة الحديث ثقات إلى الصحابي بحيث يقع الاتفاق على ثقتهم، أي أن يكونوا مسلمين، صادقين، غير مدلسين متصفين بصفات العدالة، ضابطين، حافظين، حاضرين الذهن، قليلي الوهم، سليمي الاعتقاد، وتكون هذه الصفات من الدرجة العليا.

٢- يثبت لقاء الراوي بشيخه.

٣- أن لا يكون الانقطاع فى السند.

٤- أن يتفق على صحة الحديث المحدثون من قبل الإمام البخاري، أو المعاصرون له.

٥- أن يكون خاليًا من العلة والشذوذ.

صحيح البخاري وعلماء الأمة

فقد أجمع علماء الأمة على أن صحيح البخاري أصح كتاب بعد القرآن وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تجتمع أمتي على ضلالة**»، والإجماع لا يكون إلا للعلماء ولم يلق كتاب القبول عند العلماء مثل صحيح البخاري بل قد جعل الله تعالىٰ له القبول بين عامة الأمة وإذا قلت لأحدهم أخطأت يقول لك يعني أخطأت فى البخاري، فلا يعترض على البخاري إلا جاهل أو منافق، كما قال أحد العلماء.

وفاة الإمام البخاري

قال عبد القدوس السَمِرقندي: سمعت البخاري ذات ليلة يدعو وقد فرغ من صلاة الليل: اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحُبَت، فاقبضني إليك فما تم الشهرُ حتى مات.

وقال أبا منصور بن جبريل: لما دفنا البخاري فاح من تراب قبره رائحة غالية، أطيب من المسك، فدام ذلك أيامًا ثم علت سواري بيض فى السماء مستطيلة بحذاء قبره، فجعل الناس يتعجبون وأما التراب فإنهم كانوا يرفعونه عن القبر، حتى ظهر القبر، ولم نكن نقدر على حفظ القبر بالحراس، فنصبنا على القبر خشبًا مشبكًا لم يكن أحد يقدر على الوصول إلى القبر، وخرج بعض مخالفيه إلى قبره، وأظهروا التوبة والندامة مما كانوا شرعوا فيه من مذموم المذهب [مختصر سر أعلام النبلاء] [صفة الصفوة] [حياة الإمام البخاري].

موقف من مواقفه الصادقة

قال الخطيب البغدادي: «سمعت أبا سعيد بكر بن منير بن خليد بن عسكر يقول: كان سبب مُفارقة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري البلد -يعني: بُخارى- أنَّ خالد بن أحمد الذُّهلي الأمير خليفة الظاهرية ببُخارى سأله أن يحضر منزله فيقرأ (الجامع) و(التاريخ) على أولاده، فامتنع أبو عبد الله عن الحضور عنده، فراسله أن يعقد مجلسًا لأولاده لا يحضره غيرهم، فامتنع عن ذلك أيضًا وقال: لا يسعني أن أخص بالسماع قومًا دون قوم، فاستعان خالد بن أحمد بحريث بن أبي الورقاء وغيره من أهل العلم ببخارى عليه، حتى تكلموا في مذهبه ونفاه عن البلد، فدعا عليهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، فقال: اللهم أرهم ما قصدوني به في أنفسهم وأولادهم وأهاليهم؛ فأما خالد فلم يأت عليه ألا أقل من شهرٍ حتى ورد أمر الظاهرية بأن ينادى عليه، فنودي عليه وهو على أتان وأشخص على إكافٍ، ثم صار عاقبة أمره إلى ما قد اشتهر وشاع، وأما حريث بن أبي الورقاء فإنه ابتلي بأهله، فرأى فيها ما يجل عن الوصف، وأما فلان أحد القوم -وسماه- فإنه ابتُلِيَ بأولاده وأراه الله فيهم البلايا.

[تاريخ بغداد]

* * *

١٠٣- أبو قلابة

كان من أعلم الناس بالقضاء وأشدهم منه فرارًا، وأشدهم منه فرقًا.

قال أيوب السختياني عنه: «ما أدركت بهذا المصر أعلم بالقضاء من أبي قلابة، ابتلاه الله بالضراء، فصبر واحتسب وتجمل».

يروي حكايته ابن حبان (في الثقات) بسنده عن الأوزاعي، عن عبد الله بن محمد، قال:

«خرجت إلى ساحل البحر مرابطًا وكان رباطنا يومئذٍ عريش مصر، قال: فلما انتهيت إلى الساحل فإذا أنا بِبُطَيْحة، وفي البُطيْحة خيمة، فيها رجل قد ذهب يداه ورجلاه وثقل سمعه وبصره، وما له من جارحة تنفعه إلا لسانه، وهو يقول: «اللهم أوزِعني أن أحمدك حمدًا أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها عليَّ، وفضلتني على كثيرٍ ممن خلقت تفضيلًا».

قال الأوزاعي: قال عبد الله: قلت: والله لآتينَّ هذا الرجل، ولأسألنَّه أنَّى له هذا الكلام؟ فهمٌ، أم علمٌ، أم إلهامٌ أُلهِمُه؟! فأتيتُ الرجل، فسلَّمت عليه، فقلت: سمعتك وأنت تقول: «اللهم.... تفضيلًا»، فأي نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها، وأي فضيلة تفضل بها عليك تشكره عليها؟

قال: وما ترى ما صنع ربي؟ والله لو أرسل السماء عليَّ نارًا فأحرقتني، وأمر الجبال فدمرتني، وأمر البحار فأغرقتني، وأمر الأرض فبلعتني، ما ازددت لربي إلا شكرًا لما أنعم عليَّ من لساني هذا، ولكن يا عبد الله؛ إذ أتيتني لي إليك حاجة، قد تراني على أي حالة أنا، أنا لست أقدر لنفسي على ضرٍّ ولا نفع، ولقد كان معي بُنيٌّ لي يتعاهدني في وقت صلاتي، فيوضيني، وإذا جعت أطعمني، وإذا عطشت سقاني، ولقد فقدته منذ ثلاثة أيام، فتحسَّسه لي -رحمك الله-.

فقلت: واللهِ ما مشى خلقٌ في حاجة خلقٍ كان أعظم عند الله أجرًا ممن يمشي في حاجة مثلك، فمضيتُ في طلب الغلام، فما مضيتُ غير بعيد حتى صِرت بين كثبانٍ من الرمل، فإذا أنا بالغلام قد افترسه سبع وأكل لحمه، فاسترجعت وقلت: أنَّى لي وجه رقيق آتي به الرجل؟ فبينما أنا مُقبِل نحوه؛ إذ خطر على قلبي ذِكر أيوب النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلما أتيته سلَّمت عليه، فرد عليَّ السلام، فقال: ألست بصاحبي؟ قلت: بلى. قال: ما فعلت في حاجتي؟ فقلت: أنت أكرم على الله أم أيوب النبي؟ قال: بل أيوب النبي، قلت: هل علمت ما صنع به ربُّه. أليس قد ابتلاه بماله وآله وولده؟ قال: بلى. قلت: فكيف وجده ربُّه؟ قال: وجده صابرًا شاكرًا حامدًا. قلت: لم يرضَ منه ذلك حتى أوحش من أقربائه وأحبائه؟ قال: نعم. قلت: فكيف وجده ربُّه؟ قال: وجده صابرًا شاكرًا حامدًا، قلت: فلم يرض منه بذلك حتى صيَّره عَرَضًا لمارِ الطريق، هل علمتَ؟ قال: نعم، قلت: فكيف وجده ربُّه؟ قال: صابرًا شاكرًا حامدًا -أوجز رحمك

الله-. قلت له: إن الغلام الذي أرسلتني في طلبه وجدته بين كُثبان الرمل، وقد افترسه سبع فأكل لحمه، فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر، فقال المبتلى: «الحمد لله الذي لم يخلق من ذريتي خلقًا يعصيه فيعذبه بالنار».

ثم استرجع، وشهق شهقة، فمات، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، عظمت مصيبتي، رجل مثل هذا إن تركته أكلته السباع، وإن قعدتُ، لم أقدر على خير ولا نفع، فسجَّيته بشملةٍ كانت عليَّ، وقعدت عند رأسه باكيًا، فبينما أنا قاعد؛ إذ تهجم علي أربعة رجال، فقالوا: يا عبد الله، ما حالك؟ وما قصتك؟ فقصصت عليهم قصتي وقصته، فقالوا لي: اكشف لنا عن وجهه فعسى أن نعرفه، فكشفت عن وجهة، فانكبَّ القوم عليه، يُقَبِّلون عينيه مرة ويديه أخرى، ويقولون: بأبي عينٌ طالما غُضّت عن محارم الله، وبأبي جسم طالما كان ساجدًا والناس نيام، فقلتُ: من هذا يرحمكم الله؟ فقالوا: هذا أبو قلابة الجرمي صاحب ابن عباس، لقد كان شديد الحب لله وللنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فغسَّلناه وكفنَّاه بأثواب كانت معنا، وصلينا عليه ودفنَّاه، فانصرف القوم وانصرفتُ إلى رباط، فلما أن جنَّ عليَّ الليل، وضعت رأسي، فرأيته فيما يرى النائم في روضة من رياض الجنة، وعليه حُلَّتان من حُلل الجنة، وهو يتلو: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]، فقلتُ: ألست بصاحبي؟ قال: بلى. قلت: أنَّى لك هذا؟ قال: «إن لله درجاتٍ لا تُنَال إلا بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء مع خشية الله عَزَّوَجَلَّ في السرِّ والعلن».

١٠٤- الإمام ربيعة الرأي

قال عبد الوهاب بن عطاء الخفاف: حدثني مشايخ أهل المدينة أن فروخًا أبا عبد الرحمن ابن ربيعة خرج في البعوث إلى خرسان أيام بني أمية غازيًا، وربيعةُ حَمْلٌ في بطن أمه، وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرسًا، وفي يده رمح، فنزل ودفع الباب برمحه، فخرج ربيعه، وقال: يا عدو الله، أتهجم على منزلي؟ فقال فروخ: يا عدو الله، أنت دخلت على حرمي، فتواثبا وتلبَّبَ كل واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران، فبلغ مالك بن أنس والمشيخة فأتوا يعينون ربيعة، فجعل ربيعة يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان، وجعل فروخ يقول: والله لا فارقتك إلا بالسلطان وأنت مع امرأتي؛ وكثر الضجيج، فلما أبصروا بمالك سكتوا، فقال مالك: أيها الشيخ، لك سعة في غير هذه الدار، فقال الشيخ: هي داري وأنا فروخ، فسمعت امرأته كلامه فخرجت وقالت: هذا زوجي، وهذا ابني الذي خلفه وأنا حامل به، فاعتنقا جميعًا وبكيًا. فدخل فروخ المنزل وقال هذا ابني فقالت: نعم، قال: أخرجي المال الذي لي عندك وهذه معي أربعة آلاف دينار، قالت: قد دفنته، وأنا أخرجه بعد أيام، ثم خرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقته، فأتاه مالكٌ، والحسنُ ابنُ زيدٍ، وابنُ عليٍّ اللهبي والمساحقي، وأشرافُ أهل المدينة، وأحدق الناس به، فقالت امرأته لزوجها فروخ: اخرج فصل في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخرج فنظر إلى حلقة وافرة

فاتاها فوقف فأفرجوا له قليلاً فنكس ربيعةُ رأسَه يوهمه أنه لم يَرَهُ، فشك أبوه فيه، فقال: من هذا الرجل؟ فقالوا: هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فقال: فقد رفع اللهُ ابني، ورجع إلى منزله، وقال لوالدته: لقد رأيتُ ولدك على حالة ما رأيت أحدًا من أهل العلم والفقه عليها، فقالت أمه: فأيُّهما أحب إليك ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه فقال: لا والله بل هذا، فقالت: فإني أنفقتُ المالَ كُلَّهُ عليهِ، قال: فو اللهِ ما ضَيعتهِ [صفة الصفوة].

* * *

١٠٥- شيخ الإسلام ابن تيمية

نسبه

أحمد بن عبد الحليم بن عبد الله بن أبى القاسم الخضر بن محمد بن الخضر ابن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني.

مولده

وُلِدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم الاثنين، عاشر - وقيل: ثاني عشر- ربيع الأول سنة ٦٦١هـ بِحِرَّان.

وفي سنة ٦٦٧هـ أغار التتار على بلده، فاضطرت عائلته إلى ترك حِران متوجهين إلى دمشق، وبها كان مستقر العائلة، حيث طلب العلم على أيدي علمائها منذ صغره، فنبغ ووصل إلى مصاف العلماء من حيث التأهل للتدريس والفتوى قبل أن يتم العشرين من عمره.

نشأته العلمية

قال عنه تلميذه الحافظ البزَّار: كان شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حال صغره إذا أراد المضي إلى المكتب يعترضه يهودي -كان منزله بطريقه- بمسائل يسأله عنها -لما كان يلوح عليه من الذكاء والفطنة- وكان يجيبه عنها سريعًا؛ حتى تعجب منه، ثم أنه صار كلما اجتاز به يخبره بأشياء مما يدل على بطلان ما هو عليه، فلم يلبث أن أسلم، وحَسُنَ إسلامه، وكان ذلك ببركة الشيخ رغم صِغَر سنه.

وكان منذ صغره حريصًا على الطلب، مُجِدًّا على التحصيل والدأب، ولم يكن رَحِمَهُ ٱللَّهُ حال صِغَرِهِ يعني بما يعني به أترابه من اللعب واللهو؛ إذ كان لا يؤثر على الاشتغال بالعلم أي لذة، ولا يؤثر أن يضيع منه لحظة في غير العلم، فختم القرآن صغيرًا، ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعربية؛ حتى برع في ذلك، مع ملازمة مجالس الذكر وسماع الأحاديث والآثار.

قال عنه الإمام الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان آية في الذكاء وسرعة الإدراك، رأسًا في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف، بحرًا في النقليات، هو في زمانه فريد عصره علمًا وزهدًا وشجاعة وسخاء وأمرًا بالمعروف ونهيًّا عن المنكر وكثرة تصنيفه، قرأ وحصَّل، وبرع في الحديث والفقه، وتأهل للتدريس والفتوى وهو ابن سبع عشرة سنة، وتقدم في علم التفسير والأصول وجميع علوم الإسلام أصولها وفروعها، دِقها وجلَّها سِوى علم القراءات، فإن ذُكِرَ التفسير فهو حامل لوائه، وإن عد الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق، وإن حضر الحفاظ نطق وخرسوا، وسرد وأبلسوا، واستغنى وأفلسوا.

وهو أعظم من أن يصفه كلمي، أو ينبه على شأوة قلمي، فإن سيرته وعلومه ومعارفه ومحنه وتنقلاته تحتمل أن توضع في مجلدين، وهو بشر من البشر له ذنوب، فالله يغفر له، ويسكنه أعلى جنته، فإنه كان ربَّاني الأمة، وفريد الزمان، وحامل لواء الشريعة، وصاحب معضلات المسلمين وكان رأسًا في العلم.

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»[1]. فلقد أحيا الله به ما كان قد درس من شرائع الدين، وجعله حجة على أهل عصره أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

قال الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي: «واتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب قدم إلى دمشق، وقال: سمعت في البلاد بصبي يقال له: أحمد ابن تيمية، وأنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصدًا لعلِّي أراه، فقال له خياط: هذه طريق كُتَّابه، وهو إلى الآن ما جاء فاقعد عندنا، الساعة يجيء يعبر علينا ذاهبًا إلى الكُتَّاب، فجلس الشيخ الحلبي قليلًا، فمرَّ صبيان، فقال الخياط: هذاك الصبي الذي معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية، فناداه الشيخ، فجاء إليه، فتناول الشيخ اللوح منه، فنظر فيه ثم قال له: امسح يا ولدي هذا، حتى أُملي عليك شيئًا تكتبه، ففعل، فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر -أو ثلاثة عشر- حديثًا، وقال له: اقرأ هذا، فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إيَّاه، ثم دفعه إليه، وقال: أسمِعَهُ عليَّ، فقرأه عليه عرضًا كأحسن ما أنت سامع، فقال له: يا ولدي! امسح هذا، ففعل، فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها، ثم قال: اقرأ هذا، فنظر فيه، كما فعل أول مرة، ثم أسمعه إيَّاه كالأول، فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش الصبي ليكونن له شأن عظيم، فإن هذا لم يُرَ مثله» [العقود الدرية].

---

(١) رواه أبو داود [٤٢٩١]، وصححه السخاوي في (المقاصد الحسنة) [١٤٩]، والألباني في (السلسلة الصحيحة) [٥٩٩].

ومن أعجب ما سمعته عنه ما حدثني به بعض أصحابه: «أنه لما كان صبيًا في بداية أمره أراد والده أن يخرج بأولاده يومًا إلى البستان على سبيل التنزه، فقال له: يا أحمد! تخرج مع إخوتك تستريح، فاعتل عليه، فألح عليه والده، فامتنع أشد الامتناع، فقال: أشتهي أن تعفيني من الخروج، فتركه وخرج بإخوته، فظلوا يومهم في البستان ورجعوا آخر النهار، فقال: يا أحمد! أوحشت إخوتك اليوم وتكدر عليهم بسبب غيبتك عنهم، فما هذا؟! فقال: يا سيدي! إنني اليوم حفظت هذا الكتاب لكتاب معه، فقال: حفظته؟! -كالمنكر المتعجب من قوله-، فقال له: استعرضه عليَّ، فاستعرضه، فإذا به قد حفظه جميعه، فأخذه وقبله بين عينيه وقال: يا بني! لا تُخبِر أحدًا بما قد فعلت؛ خوفًا عليه من العين» -أو كما قال- [العقود الدرية].

غزارة علمه

قال تلميذه البزار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما غزارة علمه فمنها: ذكر معرفته بعلوم القرآن المجيد واستنباطه لدقائقه، ونقله لأقوال العلماء في تفسيره، واستشهاده بدلائله، وما أودعه الله تعالىٰ فيه من عجائبه وفنون حكمه وغرائب نوادره وباهر فصاحته وظاهر ملاحته، فإنه في الغاية التي يُنتهى إليها، والنهاية التي يعوَّل عليها.

ولقد كان إذا قُرئ في مجلسه آيات من القرآن يشرع في تفسيرها، فينقضي المجلس بجملته، والدرس بزمنه، وهو في تفسير بعض آيةٍ منها.

وكان مجلسه في وقت مقدر بقدر ربع النهار، يفعل ذلك بديهة من غير أن يكون له قارئ معين يقرأ له شيئًا معينًا يبيته ليستعد لتفسيره، بل كان من حضر يقرأ ما تيسر ويأخذ هو في القول على تفسيره، وكان غالبًا لا يقطع إلاَّ ويفهم السامعون أنه لولا مُضِّي الزمن المعتاد لأورد أشياء أُخر في معنى ما هو فيه من التفسير لكن يقطع نظرًا في مصالح الحاضرين، ولقد أملى في تفسير: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، مجلدًا كبيرًا، وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، نحو خمس وثلاثين كراسة، ولقد بلغني أنه شرع في تفسير لو أتمه؛ لبلغ خمسين مجلدًا».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقَلَّ أن سمع شيئًا إلاَّ حفظه، ثم اشتغل بالعلوم وكان ذكيًا كثير المحفوظ، فصار إمامًا في التفسير وما يتعلق به، عارفًا بالفقه، فيُقال: إنه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها الذين كانوا في زمانه وغيره، وكان عالمًا باختلاف العلماء، عالمًا في الأصول والفروع والنحو واللغة وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية، وما قطع في مجلس ولا تكلَّم معه فاضل في فنٍ من الفنون إلاَّ ظن أن ذلك الفنَّ فنُّه ورآه عارفًا به مُتقِنًا له، وأما الحديث؛ فكان حامل رايته، حافظًا له متنًا وإسنادًا، متميزًا بين صحيحه وسقيمه، عارفًا برجاله متضلعًا في ذلك، وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة في الأصول والفروع كَمُل منها جملةٌ وبُيِّضت وكُتبت عنه وقُرئت عليه أو بعضها، وجملة كثيرة لم يُكملها، وجملة كمَّلها ولم تُبيض إلى الآن، وأثنى عليه وعلى فضائله وعلومه جماعة من علماء عصره.

وُجِدت بخط ابن الزملكاني أنه قال: «اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها، وأن له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتدين، وكتب على تصنيف له هذه الأبيات:

مَــــاذَا يَــقُــولُ الــوَاصِــفُــونَ لَهُ   وَصِــفَــاتُــهُ جَــلَّــتْ عَــنِ الْحَــصْرِ

هُــــوَ حُــجَّــةٌ لله قَـــاهِـــرَةٌ   هُــوَ بَــيْــنَــنَــا أُعْــجُــوبَــةُ الدَّهْــرِ

هُــوَ آيَـــةٌ لِــلْــخَــلْــقِ ظَــاهِــرَةٌ   أَنْـــوَارُهَـــا أَرْبَـــتْ عَلَى الْــفَــجْــرِ

وهذا الثناء عليه وكان عمره يومئذ نحو الثلاثين سنة».

وقال الإمام الحافظ أبو عبد الله الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نشأ الشيخ ابن تيمية - قدَّس الله روحه - في تصوُّن تام، وعفاف وتألُّه وتعبُّد واقتصاد في الملبس والمأكل، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره ويناظر ويفحم الكبار، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم، فأفتى وله تسع عشرة سنة بل أقل، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت.

ومن أعجب الأشياء في ذلك؛ أنه في محنته الأولى بمصر لما أُخِذَ وسُجِن وحيل بينه وبين كتبه صنَّف عدة كتب صِغارًا وكِبارًا، وذكر فيها ما احتاج إلى ذكره من الأحاديث والآثار وأقوال العلماء وأسماء المحدثين والمؤلفين ومؤلفاتهم، وعزا كل شيءٍ من ذلك إلى ناقليه وقائليه بأسمائهم وذكر أسماء الكتب التي ذُكِرَ فيها وأيِّ مَوضع هو منها، كلُّ ذلك بديهةً من حفظِهِ لأنه لم يكن عنده حينئذ كُتَّابٌ

يُطالعه، ونُقِبت واختُبِرت واعتُبِرت فلم يوجد فيها -بحمد الله- خللٌ ولا علل، ومن جملتها كتاب (الصارم المسلول على شاتم الرسول)؛ وهذا من الفضل الذي خصَّه الله تعالىٰ به، وما منحه من معرفة اختلاف العلماء ونصوصهم وكثرة أقوالهم واجتهادهم في المسائل وما رُوِيَ عن كلٍّ منهم من راجح ومرجوح ومقبول ومردود، في كل زمانٍ ومكانٍ وعصرٍ، من الصحيح الثاقب الصائب للحق مما قالوه ونقلوه وعزوه؛ ذلك إلى الأماكن التي بها أودعوه، حتى كان إذا سُئِلَ عن شيءٍ من ذلك كأن جميع المنقول عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والعلماء فيه من الأولين والآخرين متصورٌ مسطور، يقول ما شاء الله، ويذكرُ ما يشاء؛ وهذا قد اتفق عليه كل من رآه، أو وقف على شيءٍ من علمه ممن لا يغطي عقله الجهل والهوى.

عبادتــه

قال الحافظ عمر بن علي البزار: «أما تعبده رَحِمَهُ اللَّهُ فإنه قلَّ أن سمع بمثله؛ لأنه كان قد قطع جُلَّ وقته وزمانه فيه، حتى إنه لم يجعل لنفسه شاغلةً تشغله عن الله تعالى، ما يرادُ له لا من أهل ولا مال، وكان في ليله منفردًا عن الناس كلهم، خاليًا بربه عَزَّوَجَلَّ، ضارعًا مواظبًا على تلاوة القرآن العظيم، مكررًا لأنواع التعبدات الليلة والنهارية؛ وكان إذا ذهب الليل وحضر مع الناس بدأ بصلاة الفجر يأتي بسنتها قبل إتيانه إليهم، وكان إذا أحرم بالصلاة يكادُ يخلعُ القلوب لهيبة إتيانه بتكبيرة الإحرام، فإذا دخل في الصلاة ترتعدُ أعضاؤهُ حتى يميله يمنةً ويسرةً، وكان إذا قرأ يمدُّ قراءته مدًّا كما صح في قراءة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا فرغ من الفجر

وكان قد عُرفت عادتُه لا يكلمُهُ أحدٌ بغير ضرورة بعد صلاة الفجر، فلا يزالُ في الذكر يُسمعُ نفسهُ، وربَّما يسمعُ ذكره من إلى جانبه مع كونه في خلال ذلك يكثرُ من تقليب بصره نحو السماء، هكذا دأبُه حتى ترتفع الشمسُ، ويزول وقت النهي عن الصلاة.

وإذا رأى منكرًا في طريقه أزاله، أو سمع بجنازة سارع إلى الصلاة عليها أو تأسّف على فواتها وربما ذهب إلى قبر صاحبها بعد فراغه من سماع الحديث فصلي عليه كما فعل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مع المرأة السوداء، ثم يعود إلى مسجده فلا يزالُ تارةً في إفتاء الناس، وتارةً في قضاء حوائجهم حتى يصليَّ الظهر مع الجماعة ثم كذلك بقية يومه.

وكان مجلسه عامًا للكبير والصغير والجليل والحقير والحر والعبد والذكر والأنثى قد وسع على كل من يرد عليه من الناس يرى كل منهم في نفسه ان لم يُكرم أحدًا بقدره، ثم يصلي المغرب، ثم يتطوع بما يسره الله، ثم اقرأ عليه من مؤلفاته أنا أو غيري فيفيدُنا بالطرائف ويمدُّنا باللطائف حتى يصليَّ العشاء، ثم بعدها كما كنا، وكان من الإقبال على العلوم إلى أن يذهب هويٌّ من الليل طويلٌ وهو في خلال ذلك كله في النهار والليل لا يزال يذكر الله تعالىٰ ويوحده ويستغفره.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرًا ما يرفعُ طرفهُ إلى السماء لا يكادُ يفتُرُ عن ذلك، كأنه يرى شيئًا يُثبُته بنظره، فكان هذا دابةُ مدة إقامتي بحضرته؛ فسبحان الله ما اقصر ما

كانت يا ليتها كانت طالت ولا والله ما مرَّ على عُمري إلى ألان زمان كان احبَّ إلىَّ من ذلك الحين، ولا رأيتني في وقتٍ أحسن حالًا مني حينئذٍ، وما كان إلا ببركةِ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكان في كل أسبوع يعودُ المرضى خصوصًا الذين بالمارستان.

وأخبرني غيرُ واحدٍ ممن لا يُشكُ في عدالته أن جميع زمن الشيخ ينقضي على ما رأيتُهُ، فأيُّ عبادة واجتهاد أفضلُ من ذلك؟! فسبحان الموفق من يشاء لما يشاء».

وكان يقول: «من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية».

وكان يقول: «أعظم الكرامة لزوم الاستقامة».

وقال عنه الإمام ابن عبد الهادي: «ثم لم يبرح شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ازدياد من العلوم وملازمة الاشتغال والإشغال، وبث العلم ونشره، والاجتهاد في سبل الخير حتى انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل، والزهد والورع، والشجاعة والكرم، والتواضع والحلم والإنابة، والجلالة والمهابة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسائر أنواع الجهاد مع الصدق والعفة والصيانة، وحسن القصد والإخلاص، والابتهال إلى الله وكثرة الخوف منه، وكثرة المراقبة له وشدة التمسك بالأثر، والدعاء إلى الله وحسن الأخلاق، ونفع الخلق، والإحسان إليهم والصبر على من آذاه، والصفح عنه والدعاء له، وسائر أنواع الخير؛ وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ سيفًا مسلولًا على المخالفين وشجى في حلوق أهل الأهواء المبتدعين وإمامًا قائمًا ببيان

الحق ونصرة الدين وكان بحرًا لا تكدره الدلاء وحبرًا يقتدي به الأخيار الألباء»

[العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام].

وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال الشيخ علم الدين البرزالي في (تاريخه): «وفي ليلة الاثنين العشرين من ذي العقدة توفي الشيخ الإمام العالم العلم العلامة الفقيه الحافظ الزاهد العابد المجاهد القدوة شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن شيخنا الإمام العلامة المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ الإمام شيخ الإسلام أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم محمد بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني ثم الدمشقي، بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوسًا بها، وحضر جمع كثير إلى القلعة، وأذن لهم في الدخول عليه.

فلما فرغ من غسله أخرج ثم اجتمع الخلق بالقلعة والطريق إلى الجامع وامتلأ الجامع أيضًا وصحته والكلاسة وباب البريد وباب الساعات إلى باب اللبادين والغوارة، وحضرت الجنازة في الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك ووضعت في الجامع، والجند قد احتاطوا بها يحفظونها من الناس من شدة الزحام، وصلّي عليه أولًا بالقلعة، تقدم في الصلاة عليه أولًا الشيخ محمد بن تمام، ثم صلّي عليه بالجامع الأموي عقيب صلاة الظهر.

وقد تضاعف اجتماع الناس على ما تقدم ذكره، ثم تزياد الجمع إلى أن ضاقت الرحاب والأزقة والأسواق بأهلها ومن فيها، ثم حمل بعد أن صلّي عليه

على الرؤوس والأصابع، وخرج النعش به من باب البريد واشتد الزحام وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب والترحم عليه والثناء والدعاء له.

وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم وثيابهم، وذهبت النعال من أرجل الناس وقباقيبهم ومناديل وعمائم لا يلتفتون إليها لشغلهم بالنظر إلى الجنازة، وصار النعش على الرؤوس تارة يتقدم وتارة يتأخر، وتارة يقف حتى تمر الناس، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها وهي شديدة الزحام، كل باب أشد زحمة من الآخر، ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام فيها، لكن كان معظم الزحام من الأبواب الأربعة: باب الفرج الذي أخرجت منه الجنازة، وباب الفراديس، وباب النصر، وباب الجابية.

وعظم الأمر بسوق الخيل وتضاعف الخلق وكثر الناس، ووضعت الجنازة هناك وتقدم للصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن، فلما قضيت الصلاة حمل إلى مقبرة الصوفية فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

وكان دفنه قبل العصر بيسير، وذلك من كثرة من يأتي ويصلي عليه من أهل البساتين وأهل الغوطة وأهل القرى وغيرهم، وأغلق الناس حوانيتهم ولم يتخلف عن الحضور إلا من هو عاجز عن الحضور، مع الترحم والدعاء له، وأنه لو قدر ما تخلف، وحضر نساء كثيرات بحيث حزرن بخمسة عشر ألف امرأة، غير اللاتي كن على الأسطحة وغيرهن، الجميع يترحمن ويبكين عليه فيما قيل.

وأما الرجال فحزروا بستين ألفًا إلى مائة ألف إلى أكثر من ذلك إلى مائتي ألف، وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير، وتضرع وختمت له ختمات كثيرة بالصالحية وبالبلد، وتردد الناس إلى قبره أيامًا كثيرة ليلًا ونهارًا يبيتون عنده ويصبحون، ورؤية له منامات صالحة كثيرة، ورثاه جماعة بقصائد جمة.

ولم يتخلف من الناس إلا القليل من الصغار والمخدرات وما علمت أحدًا من أهل العلم إلا النفر اليسير تخلف عن الحضور في جنازته وهم ثلاثة أنفس وهم ابن جملة والصدر والقفجاري وهؤلاء كانوا قد اشتهروا بمعاداته فاختفوا من الناس خوفًا على أنفسهم بحيث إنهم علموا متى خرجوا قتلوا وأهلكهم الناس» [البداية والنهاية] [المناقب العلية فى مناقب شيخ الإسلام].

وذكر الإمام ابن رجب أن الإمام ابن القيم قد رأى قبل موته بمدة الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النوم، وسأله عن منزلته؟ فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر، ثم قال له: وأنت كدت تلحق بنا، ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة.

رحم الله ابن تيمية رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام وأهله خيرًا، وأسكنه فسيح جناته، آمين [ابن القيم حياته وآثاره].

صور من صدق شيخ الإسلام ابن تيمية

تُعتبر محنة شيخ الإسلام ابن تيمية محنةً من نوعٍ خاص؛ حيث أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كانت حياته كلها محن مستمرة. فقد ظلَّ ينتقل من اختبارٍ لآخر، ومن سجنٍ لآخر، ومن

بلدٍ لآخر، ومن سلطان جائرٍ لفقيهٍ متعصب، لحاسد حاقد؛ وما ذلك إلا لأن الله -سبحانه- أنار عقله وقلبه، فأراد أن ينهض بهذه الأمَّة من شِراك البدع والمحدثات، فوقع له ما وقع.

سُجِنَ شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ سبع مرات لمدد متفاوتة، بلغت جملتها خمس سنوات أسبابها كلها واهيات، فهي نتيجة حسد، ووشاية، وسعايات.

أما نتائجها وثمراتها فجد عجيبات؛ إذ العبرة بالخواتيم، حيث خلفت العديد من المآثر والمؤلفات التي أضحت حياة لصاحبها بعد الموت.

* * *

المحتويات

مواقف صادقة للأنبياء

صور من صدق رجال في الأمم السابقة

صور من صدق أصحاب رسول الله

شباب صدقوا في نشأتهم في طاعة الله

علماء صدقوا في توبتهم مع اللّه تعالى

علماء صدقوا مع اللّه في
طلب العلم والدعوة من الغر حتى الممات

تم بحمد الله